

ابراهيم الوائلي



الشاعر الشيباني العراقي  
في القرن التاسع عشر

١٩٦١

ساقها جامحة بشداد على نشره

مطبعة العانى - بغداد



مَكْتَبَةُ  
لِسَانِ الْعَرَبِ

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

ساعدت جامعة بغداد على نشره

# الشِّعرُ السِّيَّئُ الْعَرَقِيُّ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ

تأليف

ابراهيم الوائلي

المدرس بكلية الآداب - جامعة بغداد

مطبعة العانى - بغداد

١٩٦١ هـ ١٣٨١ م

893. 782

W13



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanearb.com](http://lisanearb.com) رابط بديل

26414H

## مقدمة

قبل أن أخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة كانت تدفعني رغبة ملحة إلى معالجة الموضوعات الحديثة من الشعر العربي ، و كنت - على الرغم من اعتقادى بأننا لم نتهى بعد من دراسة الأدب القديم -أشعر بضرورة البحث في الأدب الحديث وما جد في عصر النهضة التي ظهرت طلائهما في أول القرن التاسع عشر ، ولاحتظت أن اشبع هذه الرغبة عمل صعب لا يسلم فيه المنهج من الاتواء ولا تأتي فيه الدراسة بأكثر من التأليف والجمع وبما قد يكون غير ذي جدوى من الاستنتاج والتحليل لذلك رأيت أن أقصر دراستي على الشعر السياسي في العراق خلال القرن التاسع عشر لتكون الدراسة أطوع للسلامة والوضوح ، وإن شعورى بال الحاجة إلى استجلاء الحالة السياسية وغيرها في العراق أيام خضوعه للحكم العثماني ولو في فترة من الفترات والى معرفة الآخر الذي تركه في حياة السكان ومدى صلتها بالشعر وتأثيرها فيه كل ذلك قد دفعني إلى اختيار هذا اللون من الشعر الذي قد يكون ضعيفا في كثير من خصائصه أو في ناحيته الموضوعية على الأقل .

و قبل أن أقدم على كتابة هذا الموضوع فكرت فيه من كل جوانبه وتأملت فيمن يكون قد سبقني إليه فظهر لي أنه لا يزال غير مبحوث فيه بعناية واستقصاء وأنه يحتاج إلى دراسة شاملة ، ومن ثم أخذت أتبع مصادره ومراجعه وشرعت أتصفح ما يمكن الاعتماد عليه في تاريخ السياسة العثمانية ولاسيما التي تخص العراق ، و مكثت ستين<sup>(١)</sup> في القاهرة كنت أرتد فيهما دار الكتب وغيرها نام أربع سنوات في العراق أبحث وأفتش حتى توفرت لدى المادة الكافية لعرض الجانب السياسي ولكن المصاعب التي لم تقف عند

(١) من صيف ١٩٤٩ - حتى صيف ١٩٥١

حدود الانة وبذل الوقت تلك التي حالت دون دراسة الحياة الاجتماعية في العراق فلقد كانت الحالة الاجتماعية في القرن التاسع عشر لم تأخذ في بحوث التاريخ نصيبها من العناية الا القليل مما كتبه بعض العراقيين والرحلة الاجانب وقد استطاعت أن تأخذ من هذا القليل مفتاحاً لدراسة لا تعدو الواقع في مجتمع متاخر آنذاك كالعراق ، ومثل هذا ما يقال عن الحالة العلمية فان هذه الناحية لم تظفر من الباحثين بدراسة موضوعية شاملة عدا قليل من المؤلفات التي ترجمت بعض العلماء والادباء ولكنها لم تستقص وانما اكتفى أصحابها بالفريق الذي ينتمون اليه وأهملوا ما سواه ٠

وكانت المصاعب في دراسة الشعر لا تقل عن غيرها ولا سيما الشعر الذي لا يزال قيد المخطوطات المتفرقة ومعظم هذه المخطوطات مدفون في زوايا البيوت القديمة بعيد عن يربد أن يقرأ أو يطلع ٠

وكان الى جانب هذا غموض المناسبات والحوادث التي أهلت كثيراً من الشعر سواء منه ما كان مطبوعاً أم مخطوطاً . ولعل هذا الغموض يرجع الى جهل النسائح أو عدم اهتمامهم - على الأقل - بتدوين المناسبات . وقد يرجع الى اغفال الشعراه أنفسهم تلك المناسبات ثلاثة يكون في ذكرها شيء من الفضافة التي قد تسيء الى سمعة الشاعر أو تؤذى أبناءه وقد يكون من أسباب الاغفال اعتماد بعض الشعراه على شهرة المناسبة ومعرفة الناس بها فلا يذكرونها حتى يمتد الزمن فيصير المعلوم مجهولاً لدى الباحثين . على أن بعض القصائد قد أهلت فيه ذكر المناسبة لا لاسباب المتقدمة بل للسياسة نفسها كقصائد الآخرين في الوالى ( مدحه ) فان الاشارة الى المدح قد حذفت عندما طبع الديوان في الاستانة أيام السلطان عبدالحميد .

وقد ذلت صعوبة الاطلاع بما أخذت من مكتبة الآثار ببغداد<sup>(٢)</sup> فقد أغتنى هذه المكتبة بما فيها من مطبوع ومخوط يتصالن بموضوع البحث

---

(٢) من الحق أن اعترف بجميل الاستاذ كوركيس عواد أمين المكتبة لما كان يبذل هو ومساعدوه من عناية في تهيئة المراجع المطلوبة .

ولذت بمن آمنت بهم الاربعة والسبعين للوقوف على بعض القصائد التي لم أجدها في مكتبة الآثار .

ثم ذلت صعوبة الفحوص الذي أحاط بمعنیات بعض القصائد بتبع الحوادث والاسماء والسكنين ودراسة الشعر نفسه للالعتماد على ما فيه من قرائن زمنية ومكانية وما فيه من كلمات وأسماء ترتبط بالمناسبة والحادثة وتقف عندها وتستوحى منها فجأة الدراسة واضحة في أكثر جوانبها .

أما المصادر والمراجع التي استعنت بها على هذه الدراسة فهي دواوين الشعراء والمجموعات الأدبية من مطبوع ومحفوظ مما استطعت أن أظفر به ولعل هذا معظم ما يمكن الوصول إليه من مصادر الشعر التي كونت هذا البحث والي جانب هذه المصادر ما استعنت به من المراجع العربية والاجنبية الترجمة وغير الترجمة في كتابة التمهيد ثم الفصول الثلاثة التي اشتمل عليها الباب الأول وقد وضع ليكون مفسراً لبواعث الشعر مما اشتمل عليه الباب الثاني . ولا بد لي في هذه المقدمة من الاعتراف بجهد الاستاذ عمر الدسوقي استاذ الادب الحديث بكلية دار العلوم في وضع المنهج الذي سرت عليه في كتابة هذه الرسالة وفيما أبداه من ارشاد قيم ، ولا بد لي أيضاً أن أسجل تقديرى لمناقشة الدكتورين الفاضلين عبدالرزاق حميده وأحمد محمد الحوفي وملحوظاتهما الدقيقة التي ساعدت على تنسيق بعض الموضوعات واختصار ما يجب اختصاره ولا سيما ما يتصل بالحالة الاجتماعية فان الفصل الخاص بها قد كتب بتوسيعة في استعراض المظاهر العامة والعادات والتقاليد التي يمكن الاستفادة عن ذكر بعضها وعدم الاسهام في بعضها الآخر والاكتفاء بذلك مراجعتها في الهوامش ، وقد ساعدت هذه الملاحظات أيضاً على كتابة تمهيد للباب الثاني يوضح معنى الشعر السياسي وتطوره ولم يكن هذا التمهيد موجوداً في صلب الرسالة قبل المناقشة . أما ما حذفه من موضوع الشعر فهو جانب من الفصل الخامس من الباب الثاني يتصل بموازنة عقدتها بين الشعر في العراق وبينه في سوريا ولبنان ومصر خلال القرن التاسع عشر فقد بدا لي أن هذه الموازنة - على ما فيها من طرافه وجهد

وعلى ما فيها من صلة بالجانب الفنى والتارىخى - لم تكن من صلب البحث  
وليس فى حذفها ما يؤدى الى خلل فيه . فإذا كان ثمة شىء يستحق أن  
يضاف الى الدراسات الادبية فى هذه الرسالة فهو كل ما أرجو من بحث  
استند كثيراً من الجهد والزمن ، وأنا - حين أقدم هذه الدراسة الى قراء  
الادب - انما أقدمها مع الاعتذار عما يمكن أن يروه فيها من الهنات التي  
لا يسلم منها أى باحث أو مؤلف .

ابراهيم حرج الوانى

# تمهيد

## الحالة السياسية والأدبية في العراق

قبيل القرن التاسع عشر

الاستيلاء العثماني

اتسعت فتوحات العثمانيين فرسخت أقدامهم في ثلاث قارات عده قرون و خضع لسلطانهم الوطن العربي ، وما كانت بغداد ذات أهمية تاريخية وسياسية فقد اتجه العثمانيون إلىاحتلالها وكانت اذا ذاك بيد الفرس الصفوين<sup>(١)</sup> ، وفي سنة ١٥٣٤ هـ ٩٤١ م استولى عليها السلطان سليمان القانوني وتعاقب فيها الولاية العثمانيون الذين حكموا العراق وهم بحاجة إلى كثير من الفهم والمرؤنة فقد كان ظهورهم أمام القبائل بلغتهم وأخلاقهم الغريبة من عوامل الاشتئاز الذي أدى إلى كثير من الثورات القبلية ، وكان الانكشاريون - وهم المسئمون في بناء الحكم المهزوز المستقلون بالاقطاعيات التي منحوها - لا يألون جهدا في محاربة هذه القبائل .

واستمر العثمانيون يحكمون العراق حتى سنة ١٦٢٣ هـ ١٠٣٣ م اذا هوجمت بغداد من قبل الفرس أيام الشاه عباس حتى فتحها السلطان مراد سنة ١٦٣٨ هـ ١٠٤٨ م ودخلها على رأس جيش وهي تعانى مرارة جوع

(١) كان الصفويون قد احتلوا العراق سنة ٩١٤ هـ ١٥٠٨ م وقد سبقت حملة العثمانيين حروب طاحنة بين السلطان سليم والشاه اسماعيل وتبودلت بينهما رسائل شديدة اللهجة . راجع رسالة سليم إلى اسماعيل في « تاريخ الاتراك العثمانيين » حسين لبيب ص ٤١ - ٤٥ ج ١ .

شديد بعد أن دارت المعارك في أزقتها • وتعاقب الولاة المستبدون في بغداد والموصل طيلة القرن السابع عشر الذي انتهى دون استقرار وجاء القرن الثامن عشر فكان بداية عهد انحلال للدولة نفسها إذ انتقلت من سياسة الفتح الى سياسة السلام<sup>(٢)</sup> وكانت اوروبا قد استيقظت بعد الثورة الفرنسية وأخذت تنظر الى الدولة العثمانية نظرة مصحوبة بالحسد والحدق فتشبت الحروب بين العثمانيين والرومن الى جانب الحروب المستمرة مع الفرس وقد أدى هذا الانشغال بالحروب الى ت سابق الدول ا لاخرى على استلاب ما يمكن استلابه فاحتل الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨م واتصلت ببريطانيا بالخليج العربي ووطئت أقدامها بعض امارات الساحل •

وفي اواخر هذا القرن ظهرت بوادر الدعوة الوهابية ، وكان العراق خلال هذه الفترة يموج بحوادث بعضها امتداد للتاريخ وبعضها ايدان بتاريخ جديد ومعنى بالاول استمرار الحكم الصارم الغريب على السكان ، والحوادث الداخلية التي كانت تزعج هؤلاء الحكام والتورات القبلية في الجنوب والشمال والغزو الايراني الذي تابعه على بغداد والموصل والبصرة ومناطق الشمال الكردية حتى متتصف القرن الثامن عشر لتعود مرة اخرى • ومعنى بالثانى انتقال الحكم من الولاة العثمانيين الى معايلكم من الكرج فى متتصف القرن الثامن عشر بينما كانت القبائل فى وسط العراق وجنوبه تسعى بكثير من الجهد الى تقوية زعاماتها ونفوذها •

#### بداية المماليك

كان حسن باشا الذى ولى بغداد سنة ١١١٦هـ ١٧٠٤م من ابرز الولاة فقد بقى فى الحكم مدة عشرين سنة وهى مدة يحسد عليها وال مثله كان يعيش فى الجو الذى عاش فيه أسلافه ولم يكن سبب بقائه طيلة هذه المدة الا انشغال الدولة بنفسها عما يتبعها وكونه من الذين وقفوا فى وجه الفرس بقوة وحزم وقد مات فى حملته التى توجه بها الى ايران سنة ١٧٢٣م<sup>(٣)</sup>

(٢) دائرة المعارف الاسلامية • ج ٥ م ٥ الترجمة العربية .

(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث للونكريك ص ١٢٤ ط ٢ ترجمة جعفر خياط .

فخلقه ابنه أحمد وكان كأبيه في حروبه مع الفرس حتى مات في صيف سنة ١٧٤٧م وكان يقود حملة لمحاربة البابانين من زعماء الأكراد في شمال العراق<sup>(٤)</sup> .

إن المدة التي قضتها حسن بائنا في الحكم قد دفعته إلى أن يجعل من قصره بلاط يشبه بلاط السلطان في الاستانة وكان قد عرف - وهو مستخدم في الباب العالى - كيف ينظم السلطان مستخدميه فأخذ يؤسس على غرار ذلك درجات مستخدميه في بغداد<sup>(٥)</sup> وكان من هؤلاء طائفة من الارقاء جي . بهم صغارا من بلاد الكرج<sup>(٦)</sup> ثم تدرجو في الخدمة فاسندت إليهم الوظائف المختلفة من مدينة وعسكرية وكان من بين هؤلاء المملوك سليمان فقد أعتقه الوالى أحمد بن حسن حين أنسنت إليه الولاية بعد أبيه وزوجه ابنته عادلة<sup>(٧)</sup> وجعله نائبا له (كتخدا) وبعد وفاة أحمد كان المعالى قد رسمت أقدامهم في بغداد فلم يخضعوا للولاية الثلاثة الذين عيّنهم الدولة بل شفروا عليهم طيلة حكمهم الذي لم يتجاوز ثلاث سنوات<sup>(٨)</sup> وأثاروا الفوضى ضد هم حتى اضطرت الدولة إلى تعين سليمان المملوك المعتق واليا بغداد سنة ١١٦٣هـ ١٧٥٠م<sup>(٩)</sup> وهو أول وال مملوك حكم هذه الولاية ثم أضيفت إليه البصرة وماردين وبقي يحكم مدة انتي عشرة سنة كان فيها أهل بغداد

(٤) المصدر السابق ص ١٥٢ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٤ وتاريخ المعالى لسليمان فائق الورقة ٦ . ترجمة نجيب ارمنازى .

(٦) الكرج من شعوب الهند الجermanية وتسمى بلادهم كرجستان وهم مشهوروں بالجمال وقد دالت دولتهم سنة ١٨٠١م واستولت عليهم روسيا وحاضرتهم تقليص على ضفاف نهر (الكر) Kour ومنهم معالى بغداد الذين عرفوا بالكوله من . اي : الاسراء . راجع (لغة العرب) الجزء الاول من السنة الرابعة - تموز ١٩١٤ - بغداد .

(٧) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ص ١٥٥ و : Baghdad the city of peace. by richard koke. p. 227. 2nd. London.

(٨) راجع (سانناما) بغداد الدفعة ٢٢ سنة ١٣٢٩هـ و ( تاريخ المعالى . الورقة ٣ ) .

(٩) كان بعد وفاة سيده وصهره أحمد قد عين واليا لاطنه فذهب إليها ثم جاء به إلى بغداد تعصب المعالى .

راضين قانعين لانه كان يحميهم من غارات القبائل في حين كان هو محكوماً  
لزوجته ذات النفوذ القوى وفي حين كان سيل المالك يتدفق من تفليس  
إلى بغداد لتسلم أهم الوظائف والمناصب بينما كان يكفي المرء أن يكون ببغدادياً  
ليجد من طمعه في الوظيفة<sup>(١٠)</sup> .

وتوفي سليمان سنة ١١٧٦هـ ١٧٦٢م فتعرضت بغداد - كعادتها -  
لشعب المتنافسين على الحكم من المالك و كان هؤلاء سبعة من الضباط فأتيح  
لأحدهم وهو (على آغا) أن يكون ولباً ووزيراً بعد سليمان ولكن أصله  
الفارسي وما قيل عن تشيعه كان من أسباب الفوضى التي عافت استمراره في  
الحكم قتله<sup>(١١)</sup> وخلفه عمر زوج بنت أحمد الثانية<sup>(١٢)</sup> قتله أيضاً وخلفه  
عبدى ثم حسن ثم سليمان الكبير الذي ختم به القرن الثامن عشر واستمر  
بعده حكم المالك فكان آخرهم داود الذي انتهى به حكم هؤلاء سنة  
١٨٣١هـ ١٢٤٧م .

أما الموصل فإنها كانت خاضعة للاسرة الجليلية الموصلية وكان أبناء هذه  
الاسرة يتغذون على الحكم ولاة من قبل السلطان وأما مقاطعات الاقراد فهي  
خاضعة لزعماء القبائل الكردية التابعين للسلطان ، وكانت البصرة ونواحيها  
تابعة لوالى بغداد .

#### الحالة العامة :

ليس من السهل أن نسرد الحوادث مفصلاً في تمهد قصير خلال  
النصف الثاني من القرن الثامن عشر فقد كانت عقابات الطمع الإيرانية  
تستدعي التحفظ والاستعداد لمنع تكرر الحوادث التي تعرضت لها بغداد  
وموصل والبصرة في النصف الأول منه ، وكان خطر الحركات الوهابية  
قد تجاوز حدود نجد إلى بادية العراق وأخذ يهدد سكان الضفة الغربية من

(١٠) Baghdad the city of peace. p. 229.

(١١) كان قتيلاً على يد خلفه عمر الذي استعان ببعض متنفذى بغداد  
عليه . وقد دافع رسول حاوي في كتابه ( دوحة الوزراء ) عن على آغا هذا  
في ص ٢٥٩ من الأصل التركي المخطوط في مكتبة الآثار .

(١٢) اسمها عائشة وهي اخت عادلة زوجة سليمان .

نهر الفرات وقد بلغ التهديد درجة مخيفة في نهاية القرن الثامن عشر فرحت لمحاربة الوهابيين قبائل الجنوب من المتفق وغيرهم ثم جيش مؤلف من معظم القبائل العراقية وجند الدولة بقيادة الكتخدا (على) أيام ولادة سليمان الكبير وكان هذا الزحف سنة ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م وقد باع كل هذه المحاولات بالخيء ولم تجد نفعاً

وكان اليه الأجنبي قد مدت أصبعها إلى العراق فبريطانيا وفرنسا ممثلون في بغداد والبصرة<sup>(١٣)</sup> ولهؤلاء الممثلين صلة بولاية بغداد بعثها مساعدات جمة لهم وكان الوالي عمر من ساعده الانكليز<sup>(١٤)</sup> وكان نفوذ وكلاه الشركة البريطانية<sup>(١٥)</sup> ونجاحهم بعث حق الفرنسيين وحسدهم فقد ظفرت هذه الشركة بعطف الوالي سليمان الكبير لأنها ساعده على ارتقاء النصب وقد طلب بواسطتها بعض السلاح والعتاد من بومي وتكسر هذا الطلب مع استقدام مدربين أوروبين من الهند . وكان تدخل المقيم البريطاني قد ساعد سليمان هذا على البقاء في منصبه عندما شاع خبر تعين سليمان الشاوي البغدادي والياً لبغداد سنة ١٢٠٢هـ - ١٧٨٨م فقد كتب المقيم إلى السفير البريطاني في الاستانة ليساعد الوالي المملوك على بقائه في الولاية<sup>(١٦)</sup> .

ولقد كانت الحياة العامة في بغداد غير مستقرة ومنتها المدن الأخرى وكان الشغف الذي يثيره المالك وحاشية الوالي طمعاً بالمال والحكم عاملاً هاماً في عدم الاستقرار وفي آثاره الهلع والخوف بين السكان . أما القبائل فقد كانت أشد اضطراباً ونوراتها تكاد تكون مستعصية على الحكومة ولكن الولاة لم يدخلوا أي جهد لخضد شوكة الناثرين وقمع نوراتهم .

(١٣) أول مقيميه استتها بريطانيا في البصرة كانت سنة ١٧٦٤م وفي بغداد سنة ١٧٩٨م . راجع : (العراق دراسة في تطوره السياسي ) لايرلاند ص ١٤ ترجمة جعفر خياط .

(١٤) Baghdad the city of peace. p. 230.

(١٥) تأسست هذه الشركة في البصرة سنة ١٧٥٥م .

(١٦) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ص ٢٤١ .

وقد كانت قبائل الفرات الاوسط تحمل راية التمرد على الحكم وتنقض بين حين وآخر ساخطة متبرمة من نقل الضرائب وفداحتها . ومثلها قبائل المتفق في الجنوب وقبائل جنوبى دجلة وكذلك شمر وعنة في الشمال الغربى ، والاكراد في المناطق الجبلية غير انها كانت مبعثرة لا يجمعها هدف موحد ولكن ثورة واحدة يمكن أن تعبّر عن هدف وتصميم وتؤدي إلى احساسا بوجوب طرد الولاة الاجانب وهذه الثورة كانت سنة ١٢٠١ هـ ١٧٨٦ - ١٧٨٧ م وقد بدأها سليمان الشاوي<sup>(١٧)</sup> في بغداد فهدم هذه المدينة وماجاورها وامتدت ثورته إلى أماكن أخرى وكاد يتتصّر على الوالي سليمان الكبير لولا التخاذل الذي سبب انتكاس الثورة وهرّب الشاوي<sup>(١٨)</sup> إلى قبائل المتفق ومن ثم حدث اتفاق ثلاثة جمع سليمان الشاوي وحمد بن حمود رئيس خزانة ثوبيني بن عبدالله شيخ المتفق<sup>(١٩)</sup> وأدى هذا الاتفاق إلى استيلاء ثوبيني على البصرة<sup>(٢٠)</sup> وطرد المسلمين العثمانيين غير أن سياسة التفكيل والتقرير والتبعيد وعوامل قبلية وعنصرية يراقبها جهل يحول دون التطبيق الصحيح كانت تبدد هذه الثورات وتنكل بأهلها فقد كان الوالي يستعين بالاكراد لمحاربة العرب<sup>(٢١)</sup> وبمحاكم الموصل لمحاربة

(١٧) كان الشاوي قد شاهد مصرع أبيه عبدالله وعمه سلطان على يد الوالي المملوك عمر سنة ١١٨٣ هـ ١٧٦٩ - ١٧٧٠ م . راجع (غاية المرام) لياسين العمري الورقة ١٠٣ .

(١٨) مطالع السعود لعثمان بن سند : الورقتان : ٥٥ و ٥٦ وغاية المرام . الورقتان : ١٠٦ و ١٠٧ وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٩١ .

(١٩) مطالع السعود : الورقة ٥٧ . ومن الغريب أن هؤلاء الثلاثة كانوا على ميعاد في الموت فقد قتل الشاوي سنة ١٢١٠ هـ ٧٩٥ - ٧٩٦ م . وقتل ثوبيني سنة ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ - ١٧٩٨ م وتوفي حمد سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ - ١٨٠٠ م .

(٢٠) مطالع السعود . الورقة ٥٧ وغاية المرام . الورقة ١٠٧ وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٩٢ .

(٢١) مطالع السعود . الورقة ٥٧ وأربعة قرون ٠٠ ص ١٩٢ . وخلاصة تاريخ الكرد وكردستان لمحمد أمين زكي . ص ٢٣٢ من الترجمة العربية لمحمد علي عوني .

أهل الوسط والجنوب<sup>(٢٢)</sup> بل كان يستعين بالقريب على القريب<sup>(٢٣)</sup> وبهذه  
الوسائل قضى على الثورة الثالثة ٠

ومهما يكن من شيء في سوء النتائج فإن هذه الثورات الضخمة المتكررة  
في الشمال والجنوب وعلى الفرات ودجلة دليل واضح على عدم الاستقرار  
وبرهان جلي على فساد الحكم وعدم انسجامه مع المحكومين ٠

#### الثقافة العامة :

لقد كان من نتيجة استيلاء المغول وتعاقب الحكومات الأجنبية على  
العراق أن هبطت الحركة العلمية عن مستواها في العصر العباسي وكان هذا  
الهبوط عاماً شاملاً في البلاد العربية ولا غرابة في أن تضعف الحركة  
العلمية ويختفت صوت الشعر ويتكسر الشر إلى أضعف درجاته فقد كانت  
هذه العصوا المتأخرة لا ترى فيها حكامها على العراق غير الذين قد ذلت بهم  
مسارب الفلام من آفاق بعيدة فجأوا وهم لا يعرفون غير الرطانة الاعجمية  
وليس في أدمعتهم خمرة من علم أو معرفة ولا في نفوسهم أو نفوس  
الكثيرين منهم ميل إلى العلم والمعرفة ولقد كان من الهين لو أنهem كانوا  
حكاماً للدولات التي شقت في العصر العباسي إذ دفعتهم قوة الاستمرار  
إلى تشجيع العلم والآداب ولكن هؤلاء كانوا يتسلطون على العراق كما  
تسقط الاختبار الخاوية المتائلة على أمثالها في بناء قد انهارت جوانبه  
وستقوفه فلا ترى إلا الغبار الذي يملأ الخياشيم ويمنع نور الشمس أن  
يصل إلى بقایا الاشتباكات والبراعم ٠ ولقد كان العصر العثماني من أشد  
العصور وبالاً على العلم والآداب لا في العراق وحده بل في جميع أنحاء  
الدولة العثمانية فالجهل عام في تركيا وفي كل بلد تابع لها وقد شمل كل

(٢٢) غاية المرام ٠ الورقة ١٠٧ ٠ وذكرى السعدون للشيخ على  
الشرقي ٠ ص ٣٥ ٠

(٢٣) كما حدث لحمد الشامر فقد انضم إلى الوالي سليمان الكبير  
لحاربة عمه ثوبيني بن عبدالله وجوزي بمنصبه شيخاً بدل عمه ٠ راجع  
مطالع السعدون ٠ الورقة ٥٧ وأربعة قرون ٠٠ ص ١٩٢ ٠

الطبقات وكان تعصب العثمانيين قد حملهم على أن يجعلوا لغتهم التركية لغة رسمية في الدواوين ومجالس القضاء<sup>(٢٤)</sup> وقد أدى هذا إلى أن يتعلم التركية من أراد التقرب إلى الوالي وأن يعني بها ويعلمها أبناءه . وكانت بغداد من كثر هذا الزلزال المخيف الذي اهتزت له جوانب دجلة فيما حول بغداد . غير أن هذا السلطان الذي فرض على بغداد والمدن الكبرى لم يستطع أن يهيمن على المدن الجنوبية الصغيرة أو على القرى والارياف فقد كانت السلطة النافذة بيد زعماء القبائل ولم يكن لهؤلاء صلة بالدولة غير دفع الضرائب في مواسم الدفع وغير مساعدة الوالي عندما يحتاج إلى المساعدة وبسبب ذلك لم تتأثر عادات القبائل وسبجاياهم الموروثة بعادات الآتراك وسبجاياهم ولم تخضع خصائصهم العربية لهذا الذوبان الذي خضعت له بغداد بما غمرها من الأجناس المختلفة ، وبقيت اللغة العربية لغة التعليم فيما بقى من المعاهد القديمة في بعض الحواضر كالحلة والنجف وكانت هذه المعاهد تحت اشراف رجال الدين تغذيها الاعانات التي يجمعها ذوو اليسار وهي - على علاتها وعلى ما فيها من اهتمام - لها فضل كبير على رعاية التراث العربي الموروث وكان المتخرون في هذه المعاهد معمورين بعطف الزعماء في الارياف كزعماء خزانة وربيعة وزيد وبني لام والستيق وغيرهم<sup>(٢٥)</sup> وكان في هؤلاء الزعماء من يقدر رجال العلم والأدب ويحسن إلى الشعراء ، وكان منهم من يأنس للشعر بل كان في خزانة - مثلا - من له المام بالأدب ومحاسن الكلام<sup>(٢٦)</sup> . وليس معنى هذا أن اللغة الفصحى كانت شائعة في الارياف وبين القبائل بل كانت العامية الدارجة أقوى منها نفوذاً إن لم تكن هي السائدة آنذاك .

(٢٤) كان السلطان مراد قد فرض التركية لغة رسمية عندما احتل بغداد ومنع أن تكتب عريضة واحدة بغيرها . جريدة (العرب) البغدادية العدد - ٥ - من السنة الأولى .

(٢٥) من مقال للشيخ محمد رضا الشبيبي في جريدة (الزمان) البغدادية ٢٩ نيسان ١٩٥٠ .

(٢٦) مقدمة ديوان الشيخ صالح التميمي الورقة ٢ من النسخة الخطية . والمسك الأذفر لمحمد شكري اللوسي ص ١٤٨ .

أما الموصل فقد تعلمـت في القرن الثامن عشر واستعادـت شيئاً من نشاطها الموروث وكان فيها علماء وشعراء لا يقلون عن أخوانهم في النجف والحلة ، وهذا لا يعني أن بغداد في القرن الثامن عشر كانت راكدة كل الركود وإن كانت معاهـد العلم فيها تخضع لرعاية الدولة وأوقفـها فقد كانت أسرة الشاوي أقوى دعامة للمحافظة على الخصائص العربية في بغداد وكان للعلماء والشعراء نصيب من احترامـها وتقديرـها وكان سليمان الشاوي في طليعة الزعمـاء الذين حفلـت مجالسـهم بالشعراء بل كان هو نفسه شاعـراً وكان الشـيخ كاظم الأزـري المتوفـي سنة ١٢١١هـ ١٧٩٦م شاعـره الخاص غير أن مكانـة بغداد وشهرتها لا يناسبـهما ما كانت عليه من علم وأدب كالذـى كان في الحلة والتحـف .

### الشعر والنثر في هذه المرحلة :

كان الشعر في هذه الفترة يتلـفت إلى الماضي في بعض المواطن فيحاول الشـاعر أن يأخذ بـأساليـب الـقدمـاء ولكـنه لا يستطـيع أن يزـاحـم الصـفـ ليأخذ مكانـه منه بل كان يهدـف إلى ذلك باـذـلامـه أقصـى الجـهـدـ في الـاطـلاـعـ على الـادـبـ الـقـديـمـ والـاستـعـانـةـ بما بـقـىـ منـ الـمـخـطـوـطـاتـ وـاستـظـهـارـ ماـيمـكـنـ استـغـلـهـارـهـ منـ الـشـعـرـ الـعـربـيـ الـقـديـمـ وـتبـدوـ مـظـاـهـرـ هـذـهـ الـمـحاـولـاتـ فيـ التـعـاـيرـ وـالـأـوزـانـ وـفـيـ الـابـتـاعـ - جـهـدـ الـمـسـطـطـاعـ - عنـ الـمـحسـنـاتـ الـتـىـ طـمـسـتـ مـعـالـمـ الـاـصـالـةـ فـيـ الـشـعـرـ خـلـالـ الـفـتـرـةـ الـمـقـلـمـةـ وـلـكـنهـ كـانـ فـيـ مـعـظـمـ الـمـواـطنـ لاـيـسـتـطـعـ التـخلـصـ مـنـ أـسـالـيـبـ الـعـصـورـ الـمـقـلـمـةـ فـتـغـيـرـ عـلـيـهـ الـمـحـسـنـاتـ وـتـؤـخـرـ الـرـكـاـةـ عـنـ سـيـرـ الـقـافـلـةـ . وـقـدـ شـاعـ فـيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ فـنـ التـخـمـيسـ وـالتـسـطـيـرـ وـماـيـشـاـكـلـهـمـاـ مـنـ الـفـنـونـ ذـاتـ الصـبـغـةـ الـمـصـطـنـعةـ .

أما من النـاحـةـ الـمـوـضـوعـيةـ فـانـ الشـعـرـاءـ لمـ يـجـددـواـ فـيـ شـيـءـ وـلـمـ يـخـرـجـواـ عـنـ نـطـاقـ الشـعـرـ الـقـدـيمـ مـنـ غـزـلـ وـمـدـحـ وـرـثـاءـ وـحـكـمـ وـأـمـتـالـ إـلـىـ جـانـبـ الشـعـرـ الـدـينـيـ الـذـىـ شـاعـ فـيـ التـصـوـفـ وـمـدـائـحـ النـبـىـ وـآلـ الـبـيـتـ وـمـرـاثـيـمـ وـقـدـ نـظمـ فـيـ هـذـهـ الـمـدـائـحـ وـالـرـائـىـ مـعـظـمـ شـعـرـاءـ الـعـرـاقـ .  
وهـذاـ الشـعـرـ الـذـىـ لـمـ يـزـدـ عـلـىـ الـمـوـضـوعـاتـ الـمـعـروـفةـ لـمـ يـجـددـ أوـ يـطـورـ

في الموضوعات نفسها فلم يخرج بالغزل والرثاء والمدح وغيرها مما كانت عليه في العصور القديمة .

أما الشكوى من الحياة والتذمر من الزمن فان له في شعر هذه الفترة نصياً غير قليل ولكن اللون السياسي كان ضعيفاً من الوجهة السلبية فالخطرات التي نظمها الشعراء في مناؤة الحكم الشمالي لا تؤلف مجموعة ذات دلالة قوية على مواجهة الحكم من قبل الشعراء كالمسلية التي كانت تظهر من مجتمع الشعب العراقي بين حين وآخر .

ومن أمثلة هذا الشعر - لا على سبيل الاختيار - قول شاعر هذه الفترة الشيخ كاظم الأزرى من قصيدة يمدح بها سليمان الشاوي :

فأركب من الاقدام أحسن مركب  
ان رمت توطة المرام الاصعب  
لا تكترن من الشباب وذكره  
أنت ابن يومك لا ابن ماضي الاحقب  
وتلاف من قبل الفوات فربما  
أعياك غمز العود بعد تصلب

ومنها :

فالناس في زمن كجلد الأجرب  
لا تعجب لفساد كل صحيحة  
ما لليلى حاجة في عاجز  
يأبى المدرس في هجير السبس (٢٧)  
وقد ورد لمدحه سليمان الشاوي شعر فيه بعض الحكم وهو دون  
مستوى هذا الشعر (٢٨) .

وينظم الشيخ حسين العشارى في مدح ( سعيد ) كاتب الوالى الملعوك

(٢٧) رابع ديوان الأزرى ص ١٧ - ٢١ .

(٢٨) رابع (غاية المرام) الورقة ١٠٨ .

عمر (٢٩) سنة ١١٨١ هـ ١٢٦٧ م ١٧٦٨ م فيقول :

با صاحب القلم الاعلى الذى سعدت به الملوك فاغناهم عن السمر  
جعلته سيف مولانا الرضا عمر لذاك سميت بالصارم العمري (٣٠)  
ويسدح الامام علياً و قد رأى قبة المذهبة عند زيارته النجف سنة  
١١٨٣ هـ ١٢٧٠ م فيقول :

لقبة مولانا على أشعة تغنى على الابصار والأعين الدمع  
فما هي الا برج فضل وقد بدا محي أبي السبطين من ذلك البرج (٣١)  
وللسيد أحمد فخرى الموصلى (٣٢) شعر فيه كثير من الاتجاهات  
الدينية ومنه قوله في مدح الامام علي . ولعله قد زار النجف كما يظهر  
من القصيدة :

لوبنا عنان اليميلات لتشهد به قد ثوى كثر المكارم والفحير  
أبو الحسين الليث من آل غالب وغالب فرسان بأسيافه البر  
هو المرتضى للمصطفى وابن عمه وصاحبها الصنوف العسر واليسر (٣٣)

(٢٩) راجع الهاشم ١٧ من هذا التمهيد .

(٣٠) ديوان العشاري ، الورقتان : ٢٧ و ٢٨ .

(٣١) المصدر السابق الورقة : ١٧ .

(٣٢) كان مفتياً للموصل وقد توفي سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٥ م .

(٣٣) غایة المرام الورقة ٤٠٠ .

ومن شعر المدح ما قاله يحيى بن مراد العمري في الوالي أحمد ابن حسن عندما قضى على بعض الثورات القبلية في الشمال والجنوب :

ألم تعلم الاعراب وقع سيفكم وفي كل قفر موحش لكم قبر  
 فمستق لما أبتدت نفافهم وفرقهم في البيد صرعي لهم عفر  
 عدوا كلاب حين يلحقهم ذعر  
 وأما (بنو لام) لما نابهم قتل وحاق بهم أمر<sup>(٣٤)</sup>  
 ولا أرى حاجة للتعليق على لغة هذه الآيات وضعف نسجها وما فيها من تحامل على القبائل العربية من شاعر عربي فهي لغة بعض الشعراء - أو  
 كبير منهم - في العصر العثماني .

ومن الشعر السياسي المنادى للحكم العثماني قول مصطفى الغلامي الموصلى مستخدما بعض الالفاظ التركية :

ما قولكم يا علما (أدرنه) في زمن لا يشبه الازمنه  
 ترعد من أنفاسه ركتني وتشعر الجلد منه سنه  
 هذا وذو كركين أو ثالث يقول : (بوقيش صاو جفتر كنه)  
 والترك ان تدن لهم يبعدوا يصحوا في غلمانهم (قاوسنه)  
 كانت - ورب البيت - مستهجنه<sup>(٣٥)</sup> وان أعزوك بالفاظهـ

(٣٤) شمامه العنبر ل محمد مصطفى الغلامي . الورقة : ٣٠ .

(٣٥) راجع هذه القصيدة في (شمامه العنبر) الورقة ٥١ - ٥٢ وفي تاريخ الموصل ل سليمان صانع ص ١٣٣ و ١٣٤ ج ٢ ، وقد حذفنا منها بعض الآيات .

أما التر فانه كان أحط من الشعر ، وإذا استثنينا التر الذى كتب به العلوم الدينية فاننا لا نجد ترًا أدبًا يستطيع أن ينبع إلى مساماة التر القديم في أدبى عصوره فان مقدمات الكتب والرسائل وتر الكتب التاريخية أيضًا كان كل ذلك مثلاً من أمثلة التهافت على اللفظ لا المعنى ، والعناية بالالوان البدوية المتکلفة السقیمة ، ومن صور ذلك ما جاء للشيخ عبد الرحمن السویدی (٣٦) في ( حديقة الزوراء ) (٣٧) وهو يستعرض تاريخ فترة من فترات القرن السابع عشر . قال تحت عنوان : « فصل في بيان غزوة زيد » (٣٨) .

« ۰۰۰ وهذه الغزوة تحتاج في البيان الى بسط مقدمة وافية الايضاح والبيان ۰۰۰ وهو أن هؤلاء الاشقياء ومن والاهم من أهل الفساد في تلك اليداء كانوا جحش وآل سعيد وآل عامر وآل خالد وآل دليم وآل نوقل أظهروا الاعتزال وخرجوا على طاعة العمال ۰۰۰ » (٣٩) .

وقال في ثورة خزانة سنة ١١٠٥ هـ ١٦٩٣ م :

« ۰۰۰ كان صاحب المشورة على البغى والعصيان والمحرض للاعراب

(٣٦) توفي سنة سنة ١٢٠٠ هـ ١٧٨٦ م .

(٣٧) لا يزال هذا الكتاب مخطوطاً في بعض نسخ توجد في بغداد .

(٣٨) كانت سنة ١١٠٦ هـ ١٦٩٤ م .

(٣٩) على هامش العراق بين احتلالين للحاج وادي العطية ، ص ٩ .

على الفساد والطغيان والحزب للحزاب الخزعلى سلمان ٠٠٠٤٠<sup>٤٠</sup>  
هذا النثر واضح في ركته التي تلائم عصر المؤلف أما موضوعه فاته  
استعداء سافر على القبائل واتهام لها بالمرroc والفساد على حكام الدولة  
العثمانية الجاثرين وليس هذا بغريب على بعض رجال الدين الذين كانوا  
يؤيدون الولاة في أعمالهم ومحاربتهم القبائل ٠

---

(٤٠) المصدر السابق ص ١٣ و ١٤ ٠

الباب الأول  
عوامل الشعر السياسي  
في القرن الناجع عشر

- ١ - الحالة السياسية في الدولة العثمانية عامة وفي  
العراق خاصة
- ٢ - الحالة الاجتماعية في العراق
- ٣ - الحالة العلمية . . .

# الفصل الأول

## الحالة السياسية

### القسم الأول

#### الحالة السياسية في الدولة العثمانية

##### السلطان ونظام الحكم :

بدأ القرن التاسع عشر وسلطان الدولة العثمانية سليم الثالث ، وانتهى حكمه بالقتل بعد الخلع سنة ١٢٢٢ هـ ١٨٠٧ م فخلفه مصطفى الرابع وكانت نهاية القتل أيضاً سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وجاء بعده محمود الثاني وانتهى حكمه سنة ١٢٥٥ هـ ١٨٣٩ م فلاد عدالجيد ومات سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦١ م وجاء بعده عبدالعزيز وخليع ومات سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م واستد الحكم إلى مراد ولكن هذا لم يبق في الحكم سوى بضعة أشهر فخلع وبويغ بعده السلطان عبد الحميد الثاني \*

سبعة سلاطين تداولوا الحكم العثماني في قرن واحد كان من أخلف القرون بالتطور في العالم الغربي . ومن أشدتها حركة ويقظة في العالم الإسلامي في حين كان جهاز الحكم في الدولة العثمانية لا يتحرك إلا ببطء وقد يتحرك يوماً ولكنه يقف سنين \*

سبعة سلاطين ليسوا على مثال واحد في الحكم والتفكير ، بعضهم كان يميل إلى العلم والعمل والاصلاح ، وبعضهم كان جامد الفكر تستحوذ عليه الرجعية المتعصبة ، فالسلطان سليم الثالث حاول الاصلاح وأرسل البعث وشجع الطباعة وأسس المدارس وحدد مدة حكم الوالي في آية ولاية بثلاث سنوات ولكن أعماله كانت تصطدم برجمية جامحة \*  
ومصطفى الرابع كان يسير في ركب الرجعيين الذين رفعوه إلى العرش ثم قتلوه كما قتلوا سليماناً قبله \*

ومحمود الثاني قضى على (السيجيرية) وغير زى الرأس بالظربوبوش

وأنشأ مفنا حرية ومسرحا يشرف عليه إيطاليون وأرادوا القضاء على الحر كات الوهابية فلم ينجده غير الجيش المصري وصمم على ابادة المالك في بغداد فتم له ذلك على يد جيوش معظمها من الارناؤود وحلب والموصى في حين أضاع الصرب واليونان وأتاح للدول الأجنبية أن تتدخل في شؤون حكومته وفسح المجال لتابعه محمد على والى مصر أن يحارب الدولة ثم مات نتيجة لادمانه الخمر<sup>(١)</sup> .

وأما عبدالمجيد فقد أعلن المساواة في الحقوق بين المسلمين وغيرهم عام ١٨٣٩ م نم عام ١٨٥٦ م ولكن ذلك كله لم يكن أكثر من كلام مسطور إذ كانت المساواة مفقودة حتى بين المسلمين أنفسهم وقد دفعته الحاجة الى الاقتراض من اوروبا +

وعبدالعزيز كان مبدرا متلافا أعطى الاجانب حرية التملك في الدولة وانصرف الى اللهو والبذخ وحشد النساء في القصر والاكتار من المغينيات والخدم والحواشي<sup>(٢)</sup> وألقى الدولة تحت عبء ثقيل من الديون<sup>(٣)</sup> . ولم يكن مراد سوى سلطان مختل العقل لا قدرة له على ادارة شؤون نفسه فضلا عن ادارة شؤون الدولة فلم يمكن في الحكم أكثر من ثلاثة أشهر +

وداهية الدواهي عبدالحميد كان مستبدا موسوساً أعلن الدستور ثم طواه وحارب المفكرين والاحرار وأضاع سيادة الدولة على الصرب ورومانيا وبليغاريا والجليل الاسود وقبرص ومعظم مقدونيا ، واستفحلا في عصره شأن الجاسوسية ، وأخمد كل جذوة من جذوات الحرية ثم غلف سلطانه بغلالة شفافة هي غلاله الجامعة الاسلامية يهدى بها خصومه في الداخل والخارج وحشد لها حشدا كبيرا من الزعماء ومشايخ الطرق في الحجاز والشام والعراق ونجد واليمين ومصر وطرابلس وتونس والمغرب وبعض زعماء

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان ص ٣١ ج ٤ الترجمة العربية لتبهه أمين فارس ومنير البعلبكي .

(٢) عبدالحميد من ولاية العهد الى المنفى لجلال نوري ص ٣٤ و ٣٥ الترجمة العربية لابراهيم سليم التجار .

(٣) مذكرات مدبحة ص ٥٧ الترجمة العربية ليوسف كمال حاته .

الاكراد والارناؤود حتى صير الاستانة مكة ثانية<sup>(٤)</sup> في حين كان قصره  
 حافلا بعثاث الجوادى ، وكانت بطانته من الجواسيس والمنجعين<sup>(٥)</sup> ويدمه  
 لا ترفع عن اغتصاب المزارع والمقاطعات وتسجيلها باسمه وتفويضها الى  
 مقربيه<sup>(٦)</sup> ، نفسه لا تكتفى من السماح لليهود بالتملك فى العراق<sup>(٧)</sup> ،  
 وأصابعه - وهى أصابع خليفة المسلمين - لا تورع عن العزف<sup>(٨)</sup> ، وسجونه  
 ومنافقه تضم بين جدرانها مئات من المفكرين الماوتين لسياسة  
 فإذا تركنا السلاطين الى غيرهم فانت لا تجد سوى أنماط وأنشكال  
 من الموظفين الذين لا هم لهم سوى جمع المال ، الصدور هم الصدور  
 والوزراء هم الوزراء ، والولاة هم الولاة لم يختلفوا عن سبقهم فى الجهل  
 والنفاق .. وفي شراء المناصب ونهب الناس وسرقة الدولة ولا زجر ولا  
 عقاب أكثر من النقل من مكان الى آخر ، والى جانب هؤلاء جنود يحملون  
 البنادق للارهاب ، وجباة لا يحمى الناس منهم قانون ، وقضاة يعنون  
 وينهبون<sup>(٩)</sup> ويشيدون الدور من أموال الارامل واليتامى .

وقد بلغ التراحم على الوظائف أشده وصار الموظفون من كبارهم الى  
 صغارهم يأكل بعضهم بعضاً وينافق بعضهم على بعض ينهبون ويرتشون ثم  
 يقدمون ما نهبوه للموظفي الباب العالى طبعاً فى منصب أعلى أو وظيفة كبيرة .  
 وكانت الابواب مفتوحة لكل من يقدم أكثر من غيره ولو كان جاهلاً أمياً حتى

(٤) حاضر العالم الاسلامي تاليف لوثروب ستودار ص ٣٠٩ الجزء الاول من الترجمة العربية لعياج نويهض .

(٥) كان للمنجعين رئيس ، راجع (ال الوزراء) العدد ٦٠٥ السنة السابعة .

(٦) أخذ مقاطعة كبيرة فى شمال العراق وفوضها الى أحد اليونان .  
 راجع جريدة (اليقطة) البغدادية العدد ٧٥٤ الصادر بتاريخ ١٩٥٢-٢-١٩ .

(٧) بواعث الحرب العالمية الاولى فى الشرق الادنى لجان بيشنون ،  
 ص ١١٩ من الترجمة العربية لمحمد عزة دروزة .

(٨) كان مغروماً بالبيانو الذى اهدى اليه من اميراطور المانيا .  
 راجع (الانقلاب العثماني) لبرجي زيدان ص ٥٨ طبعة ١٩٥٠ .

(٩) غرائب الاغراب لابى الثناء اللوسى ص ٤٢٢ . ومطالع السعود  
 الورقة ١٠٠ .

صار لكل ولاية خمسة ولاة أربعة معزولون يقضون مرتب العزل وواحد في وظيفته ينتظر نهايته ليخلفه صاحب القرعة ، ومتلهم المتصروفون ومن دونهم حتى املاة خاتنات الاستانة وفنادقها بالمعزولين وطلاب الوظائف ، وصار من المأثور في الدولة - من اليمن الى ازمير - أن يتبدل شكل الحكم مرة أو مرتين في العام حتى في القرية الواحدة<sup>(١٠)</sup> . والحكومون غارقون في الجهل والذلة يؤدون ما عليهم ولو كان بسيع القدر والاناء والزاد والراحلة ، وصار الحاكم يظلم بلا وازع ، والمحكوم يُظلم وليس له من شفيع وقد سدت أبواب الشكوى دونه<sup>(١١)</sup> فإذا ثار أحد أو طلب بالحق قوبيل بالسيف والنار والتدبر والخراب<sup>(١٢)</sup> ، وأثناء الامرين من سموا أنفسهم رجال دين يتنافسون على الاقاب والرتب والاوسمة ويعالون السلطان ويسبون من لم يعلن له الطاعة والخضوع ، والتکايا<sup>(١٣)</sup> والربط وزوايا المتصوفين ومشايخ الطرق كأنها أو كار اليوم ومساكن التمل يزحف بعضها فوق بعض ولا هم لها غير التحدير والتتويم وبيع الوظائف لمن يتق بالطوال والتجموم<sup>(١٤)</sup> وما أكثر هؤلاء في الدولة حتى زهد الناس في العمل وانصرفوا الى الخمول واعتادوا العطالة والجوع ، وعبارات مصطنعة من التفحيم والملق والعبودية تطفى على ألسنة المتملقين من رجال الدين والكتاب والشعراء والسماسرة الذين لا يحسنون غير الكذب والدجل<sup>(١٥)</sup> وسلطان لا يحترم موظفيه ، وموظفوون ينحرون أمام السلطان ولتهم يحضر بعضهم بعضاً وينحي بعضهم البعض على اختلاف درجاتهم ومراتزهم . وحرروب في الداخل والخارج عرضت الدولة للتمزيق والتقطیم في أوروبا وآسيا

(١٠) مذكرات مدبحة ص ٢٣٤ .

(١١) من أمير الى سلطان لمصطفى فاضل ص ١١ من الترجمة العربية لاحمد فتحي زغلول .

(١٢) مذكرات مدبحة ص ٢٣٤ .

(١٣) كان في الاستانة وحدها ٢٦٠ تکية . راجع . حاضر العالم الاسلامي ص ٢٢٩ ج ١ .

(١٤) راجع : غرائب الاغتراب ص ١٨٨ .

(١٥) راجع مذكرات مدبحة ص ٢١٦ .

وافريقيا، وقن ونورات في كل مكان، وتحريض للغناصر والطواائف بعضها على بعض وضرب العربي بالتركي والارمني بالكردي<sup>(١٦)</sup> والعربي بالارناؤودي، والروماني بالكاثوليكي، والمسلم بالنصراني، والشيعي بالسني<sup>(١٧)</sup>، العربي بالعربي بل ضرب السوري بالسوري والعراقي بالعربي<sup>(١٨)</sup>، وكانت حروب الدولة في الخارج مع روسيا والنمسا وغيرهما وهي لا ترى سلاحاً تحارب به هذه الدول غير التهديد بالجامعة الإسلامية وما الجامعة الإسلامية الا وبال على المسلمين فقد تقاسمتهم بسبها انكلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا ولم يستفد المسلمون من هذه الدولة شيئاً حتى يساعدوها في كل حادثة وإن ساعدها في أكثر الحوادث<sup>(١٩)</sup> .

وقد أدى هذا الفساد المستتر إلى نورات عارمة في كل أنحاء الدولة كما أدى إلى ظهور مفكرين مصلحين في البلاد التركية نفسها وفي الشرق العربي ولكن صيحات هؤلاء كانت أخف من طنين الذباب على مسمع السلطان وبطانته، وقد استمرت الرجعية في سلطوتها وقوتها غير مكتوبة بالقدر حتى هبت العاصفة الطورانية وقضت على الجامعتين الإسلامية والعثمانية<sup>(٢٠)</sup> .

### أهم الحروب والحوادث :

تعرضت الدولة العثمانية لمشكلات خطيرة في القرن التاسع عشر وواجهت حروباً وحوادث لم تكن هينة سهلة، وكانت لهذه المشكلات والحروب والحوادث أسباب وعوامل ليس من السهل استقصاؤها بل ليس

(١٦) أنشأ عبد الحميد كتبة من الأكراد ليحارب بها الارمن .

(١٧) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على ص ٥٠٥ ج ٢ .

(١٨) المصدر السابق ص ٥١٣ .

(١٩) الجامعة العثمانية يشتراك فيها كل أتباع الدولة ورعاياها وهي نافعة لها في حروبها الداخلية أما الطورانية فهي اعزاز بالتركية لغة وجنساً وقد صارت مقابلة للجامعة الإسلامية النافعة للسلطان . راجع جريدة (الاساس) القاهرة العدد ٩١٣ من السنة الثالثة الصادر بتاريخ ١٩٥٠-٥-١٩ من مقال لعباس محمود العقاد .

من السهل استقصاء تلك الحروب والحوادث جميعها في بحث أدبي لا يتعرض للتاريخ إلا في حدود ما يتصل به ولا يتناول الحوادث السياسية إلا بقدر ما تدعو الحاجة إليه ، ومحاولة الربط بين الاثنين هنا لا تعنى أكثر من عرض أهم الحوادث التي استجاب لها الشعر وتناولها شعراء العراق فقد كان من حروب الدولة وحوادثها ما له صلة بالشعر العراقي ولكنها صلة لا تسمى انعكاساً لتلك الحروب والحوادث أو أثرًا لها ، ومنها ما كان ذا أثر واضح في الشعر وتوجيه الشعرا ، ويعود السبب في الناحية الأولى إلى بعد تلك الحروب والحوادث عن العراقيين ، وفي الثانية إلى احتكاك بعض الحروب والحوادث بالعراق نفسه .

#### الحرب مع روسيا :

سجلت بداية القرن التاسع عشر حرباً مع روسيا سنة ١٨١٢-١٨٠٩ ثم تجددت الحرب سنة ١٨٢٨ م بسبب نورة اليونان التي ناصرتها روسيا وانتهت هذه الحرب بمعاهدة (أدرنة) سنة ١٨٢٩ م . وكانت حرب القرم سنة ١٨٥٥ م من أشهر الحروب بين الدولة العثمانية وروسيا ولعل من أسبابها الهمة تناقض روسيا وفرنسا على الحماية الدينية في القدس فقد كانت الأولى تدعم الارثوذكس ، والثانية تحمي الكاثوليك الذين تويدهم الدولة العثمانية ، ولهذا السبب تدخلت إنكلترا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية خوفاً من زحف الروس ، وقد هوجم الجيش الروسي في شبه جزيرة (القرم) واندحر أمام أساطيل إنكلترا وفرنسا بعد أن كاد يصل إلى الاستانبول ، وسقطت قلعة (سواستيول) بيد الدولة العثمانية وحلقائها في السنة نفسها<sup>(٢٠)</sup> . ولكن روسيا لم تبق صامتة فقد عادت إلى الحرب سنة ١٨٧٧ م واشتركت معها رومانيا التي أعلنت استقلالها التام عن الدولة العثمانية آنذاك . وانتهت هذه الحرب بعقد الهدنة في (أدرنة) سنة ١٨٧٨ م . وقد تبع عن هذه الحرب المستمرة انفصال كثير من أجزاء الدولة

---

(٢٠) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٥ ج ٤ .

العثمانية كبلغاريا ورومانيا والجبل الاسود والصرب واليونان . وجعل  
اليونان والهرسك تحت اشراف النمسا وقد احتلتهما بجيوشها بعد ذلك .

### مع اليونان وجيرانهم :

كانت ثورة اليونان سنة ١٨٢١ م من الثورات التي كلفت الدولة جهودا  
شاقة فقابلتها بالسلاح مدة طويلة ، وكانت الدول الاوروبية ولاسيما روسيا  
تشجع اليونان على هذه الثورة<sup>(٢١)</sup> التي استمرت بحروبها وحوادثها ومن  
أشهرها حرب (المورة) سنة ١٨٢٦ م وقد أسممت بها الجيوش المصرية  
وساعدت باسطولها أساطيل الدولة العثمانية وحصار التوار وسقطت أثينا  
بيد الجيش العثماني في حزيران سنة ١٨٢٧ م ولكن الحلف الثلاثي الذي  
عقدته انكلترا وروسيا وبروسيا في السنة نفسها لتحرير الشعب اليوناني  
حال بين القوة المصرية وبين أى عمل عسكري جديد وقد دمرت أساطيل  
هذا الحلف اسطول الدولة العثمانية تدميراً كاملاً<sup>(٢٢)</sup> . ثم أعقبه اعلان  
روسيا الحرب على الدولة سنة ١٨٢٨ م اتصاراً لليونان حتى نالت استقلالها  
سنة ١٨٣٠ . غير أن اليونان لم تهدأ وانما أخذت تحرض جيرانها على  
الثورة فوقعت بينها وبين الدولة العثمانية معارك اخرى ومن أهمها ما حدث  
سنة ١٣١٤ هـ ١٨٩٧ م وكان سبب هذه الحرب تحريض اليونان لسكان  
(كريت) في السنة نفسها بسبب ضغط الدول الاوروبية فعن أحد الامراء  
اليونانيين حاكماً عليها<sup>(٢٣)</sup> .

### مع محمد على الكبير :

لم تكن ثورة محمد على والى مصر على السلطان المتبع ثورة انفصالية  
مجردة وانما كانت تهدف الى أكثر من ذلك حين اندفعت جيوش مصر

(٢١) كان بعض شعراء الغرب وكتابه أمثال (بيرون) الشاعر الانكليزي . و (فيكتور هوغو) الشاعر الفرنسي من المؤيدين لهذه الثورة باشعارهما المماسية .

(٢٢) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٨ ج ٤ .

(٢٣) راجع تاريخ الاتراك العثمانيين ص ٦٣ ج ٣ .

لاحتلال السواحل السورية سنة ١٨٣٢م وعبرت الارض السورية فاحتلت (قوية) وبلغت (كوتاهية) حتى اضطر السلطان محمود الثاني الى الاستجداد بالعدو التقليدي وهو روسيا ، ووصل الاسطول الروسي الى (البسفور) غير أن هذا العمل استفز انكلترا وفرنسا والتمسا وعقدت اتفاقية (كوتاهية) بين الدولة العثمانية وبين محمد على بالحاج من هذه الدول لتعود قوة روسيا من حيث أتت<sup>(٤)</sup> ولكن الحرب عادت بين التابع والمتبوع سنة ١٨٣٩م ووقفت فرنسا الى جانب مصر التي احتل جيشها (نصيبين) في السنة نفسها ثم وقفت الحرب بسبب تدخل انكلترا وعقد مؤتمر (لندن) سنة ١٨٤٠م فآخرت الجيوش المصرية على الخروج من سوريا<sup>(٥)</sup> .

#### مع الوهابيين :

كانت نجد خلال الاحتلال العثماني للاقطان العربية لم تخضع الخضوع المطلق للحكام والسلطانين من الانزال<sup>(٦)</sup> لذلك بقيت شبه مستقلة ولكنها مع هذا الاستقلال الذي يتعهد به شيخ البدو الرجل ورؤساء القبائل كانت مسرحاً للفتن والحرab القبلية والغزو والنهب وكل ما تفرضه الحياة البدوية ، وكانت الى جانب خصائصها الموروثة من صدق وكرم ونجد مرتعاً خاصاً للخرافات والعقائد الفاسدة كغيرها من الاقطان الاسلامية ، فاتبرك بالاحجار والأشجار والقبور والنذر لهذه كلها ، والاستعاذه بالجن والذبح لهم من أجل شفاء المرضى ، وعدم التسمية على ما يذبح ليتم الشفاء<sup>(٧)</sup> وما الى ذلك من الخرافات كان كله شائعاً في هذا القطر العربي الذي انتشر فيه الجهل كما انتشر في غيره من الاقطان العربية . وفي هذه القطر ظهرت

(٤) المسالة الشرقية لمصطفى كامل ص ٩٠ - ٩١ .

(٥) تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٥ - ٣٦ ج ٤ .

(٦) لم يستطع العثمانيون بسط سلطانهم ونفوذهم الا على الاماكن المقدسة في الحجاز .

(٧) عنوان المجد لعثمان بن بشر ص ٦ - ٧ ج ١ و (جزيرة العرب في القرن العشرين) لحافظ وهبة ص ٣٣٦ الطبعة الاولى .

الدعوة الوهابية التي لم تكن جديدة على الدين الاسلامي ولكنها كانت جديدة على الدولة العثمانية وعلى السلطان نفسه .

ظهرت هذه الدعوة فلم يلتفت إليها في بادئ الأمر ولكنها تطورت فأستقرت الدولة استقراراً شديداً<sup>(٢٨)</sup> وأفاقت السلطان فاستقر لها جبوشه وأتباعه وألب عليها رجال الدين واستثار عليها جموع المسلمين من مختلف العناصر والاجناس حتى وقعت الحروب الكثيرة وأريقت الدماء من العرب سينين عدة .

### مؤسس الدعوة الوهابية ومبادئه :

كان رأس هذه الدعوة محمد بن عبد الوهاب التجدي<sup>(٢٩)</sup> وقد بدأ حياته العلمية في تنقل بين نجد والججاز وال العراق وايران . وقرأ على أبيه الفقه الحنفي ودفع بشدة عن مبدأ الأخذ بال الحديث والاعتماد عليه مناً لا الأخذ بالرأي ، ودرس مؤلفات ابن تيمية وانتهت به الدراسة إلى الاعتقاد بأن الإسلام في عصره مشوب بالمساوئ<sup>(٣٠)</sup> ، وقد جمع خلاصة دعوته في مؤلفاته العدة ومنها ( كتاب التوحيد )<sup>(٣١)</sup> و ( تفسير القرآن ) و ( كشف الشبهات ) وغير ذلك من الفتاوى والرسائل التي ضمنها آراءه ومعتقداته من وجوب العودة إلى القرآن والسنة ، ونفي القبور وتحريم زياراتها والذبح لها ، والتسلل بالأولياء والصالحين الذين يعتقد المسلمون بقداستهم ، وكان يعتقد كفر من يفعل ذلك . فالتوجه إلى الصالحين بالدعاء شرك أكبر ، والتسمية بما عبد لغير الله حرام ، وتعليق التسمية شرك ، وإن كلمة ( لا إله إلا الله ) وحدها لا تحرم المال والدم من قاتلها ما لم يقل بکفر من كفرهم

(٢٨) كانت التقارير قد وصلت إلى الدولة من شريف مكة سنة ١١٦٢هـ ١٧٤٩م وهي أول ما وصل الدولة عن هذا المذهب . راجع ( دائرة المعارف الإسلامية ) ص ١٩١ المجلد الأول .

(٢٩) ولد عام ١١١٥هـ ١٧٠٣م في بلدة العيينة وتوفي عام ١٢٠٦هـ ١٧٩٢م .

(٣٠) راجع : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٨ و ١٩ ج ٤ .

(٣١) طبع هذا الكتاب أكثر من مرة .

هو<sup>(٣٢)</sup> فمن أطاع فقد سلم ومن أبى فقد حل دمه وماله<sup>(٣٣)</sup> .

اتصل محمد بن عبد الوهاب بعض الرؤساء ودعاهم الى تأسيسه فلم يستجيبوا له فاتجه الى (الدرعية) واتصل بمحمد بن سعود فآيده وتزوج ابنته<sup>(٣٤)</sup> . ثم كتب الى رؤساء نجد وقضاتها أن يطليعوه فمنهم من أجاب ومنهم من سخر به واستهزأ ولكنه مع ذلك بقى المشير الاعظم لابن سعود ، ولما مات محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ ١٧٦٥م تولى قيادة الدعوة عبدالعزيز ابن محمد ولم تكدر تمر بضع سنوات حتى كانت الغارات الوهابية تشن على أنحاء نجد وغيرها وتغنم كل ما وقفت عليه يدها من أموال المغلوبين وأمتعتهم ومواشيهم حتى ملئت الدرعية بالغنائم الكثيرة وصارت تباع في سوقها خلال مواسم البيع<sup>(٣٥)</sup> .

#### الحرب في المرحلة الأولى :<sup>(٣٦)</sup>

ان أول حرب قام بها الوهابيون خارج ديارهم - بعد تأسيس الحكم - كانت مع بني خالد في الاحساء<sup>(٣٧)</sup> بعد أن استولوا على الرياض وحرر يملاء . وكانت المعركة الكبيرة مع بني خالد سنة ١٢٠٢هـ ١٧٩٣م وفيها انتصر سعود ابن عبدالعزيز على بني خالد وخضم له أهل الاحساء .

وأخذت الغزوات الوهابية تستند على العراق والمحجاز وكان شرفاء

(٣٢) راجع (كتاب التوحيد) لمحمد بن عبد الوهاب ص ١٠ و ١٥ و ٤١ و ٧٣ طبعة دار الكتب العربية ومطبعتها بمصر .

(٣٣) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٤١ .

(٣٤) Baghdad the city of peace. p. 234.

(٣٥) راجع عنوان المجد لابن بشر ص ١٣ ج ١ .

(٣٦) ينقسم الحكم السعودي الى ثلاث مراحل : الاولى تبدأ بتأسيس الحكم في الدرعية الى هجوم الجيش المصري ، والثانية تبدأ باسترداد تركي وفيصل الحكم وجعل الرياض عاصمة وتنتهي بغزو ابن رشيد سنة ١٨٩٦م . والثالثة تبدأ من سنة ١٩٠٢م .

(٣٧) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٢٠١ .

مكة يحاربون من جانب (٣٨) وقبائل العراق تحارب من جانب آخر (٣٩)  
وسهول نجد تتحرك بين الحين والحين \*

ولقد شق على الدولة هجوم الوهابيين على كربلاء سنة ١٨٠٢  
وهجومهم على المدينة سنة ١٨٠٣ لما تخلل هاتين الحادتين من قتل ونهب  
واعتداء على الاضرحة المقدسة وانتزاع ما عليها من الذخائر والتحف .  
وكانت حادثة الهجوم على المدينة أشد تأثيراً على البلاد الإسلامية لما فيها من  
تجاوز على المرقد النبوى (٤٠) \*

ولم تقف الحوادث الوهابية عند هذا الحد ولم يؤثر فيها مقتل  
عبدالعزيز بن محمد (٤١) ، فقد ولى الامر من بعده ابنه سعود وأخذ يوجه  
الحملات ذات اليمين ذات الشمال في نجد والمحجاز والعراق وجنوب  
سوريا ، وكانت أهم حادثة وقفت في أيامه فشقت على الدولة هدم القباب  
في المدينة (٤٢) عام ١٢٢٠ هـ ١٨٠٨ م وما تفاقم خطر الوهابيين اهتمت الدولة  
أيضاً اهتمام للقضاء على هذا الخطر ، وفي سنة ١٢٢٦ هـ ١٨١٢ م طلبت  
من محمد علي الكبير (٤٣) وإلى مصر أن يستعد لمحاربة الوهابيين وأن يجهز  
جيشاً كافياً لذلك \*

---

(٣٨) حدثت معارك متكررة بين شرفاء مكة والوهابيين . منها ما حدث  
سنة ١٧٩٠ م ومنها سنة ١٢١٠ هـ ١٧٩٦ م . وأعممها ما حدث سنة ١٢١٢ هـ  
١٧٩٨ م وقد شارك الشرفاء كثير من المصريين والمغاربة إلى جانب أهل  
المجاز .

(٣٩) سيأتي في القسم الثاني تفصيل ما يتصل بالعراق من هذه  
الحوادث .

(٤٠) راجع تاريخ الشعوب الإسلامية - ص ٢١ ج ٤ . ودائرة  
المعارف الإسلامية ج ٥ م ٥ .

(٤١) كان قتيلاً في رجب سنة ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م ٠٠ راجع ( عنوان  
المجد ) لابن بشير ص ١٢٣ - ١٢٤ ج ١ .

(٤٢) راجع - عنوان المجد - لابن بشير ص ١٣٥ ج ١ .

(٤٣) كان الامر قد تم لمحمدعلى سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٧ م وقد أقره  
السلطان على ولاية مصر .

## الحملة المصرية :

توجه جيش مصرى بقيادة أحمد طوسون<sup>(٤٤)</sup> وابراهيم ولدى محمد على ووصل الى الحجاز فاحتل مكة والمدينة بين سنتي ١٢٢٧هـ و١٢٢٨هـ وارسلت مقاييس الحجرة النبوية الى الاستانة وخرج السلطان وحاشيته لاستقبالها<sup>(٤٥)</sup> وسافر محمد على بنفسه الى مكة<sup>(٤٦)</sup> ليشهد زحف قواه . وفي سنة ١٢٢٩هـ توفي سعود بن عبدالعزيز فخلفه اباه عبدالله وقاد الجيوش بنفسه غير أن المعارك الطاحنة كانت تكشف دائمًا عن انتصار المصريين . واتتهى المطاف الى احتلال الدرعية عاصمة السعوديين آنذاك ، وما كادت سنة ١٢٣٣هـ ١٨١٨م تنتهي حتى كان عبدالله بن سعود قد طلب الصلح فحمل الى مصر ثم الى الاستانة حيث شنق<sup>(٤٧)</sup> .

## المرحلة الثانية :

بعد أن تم الانتصار للجيش المصري أمر جميع آل سعود وأبناء الشیخ محمد بن عبد الوهاب أن يرحلوا بأهلهم الى مصر ولم يهرب منهم الا القليل ومن هؤلاء الهاريين تركي بن عبدالله<sup>(٤٨)</sup> وقد أغتنم هذا فرصة انسحاب الجيش المصري من الحجاز وتجدد فجأة قواه واحتل الرياض وأقام فيها

(٤٤) في الخامس من صفر سنة ١٢٢٦هـ قلد طوسون السيف المرسل اليه من السلطان لهذه الغاية . راجع - (الوفيات الالهامية) لمحمد مختار ص ٦١٣ الطبعة الاولى .

(٤٥) مطالع السعود - الورقة ٩٦ . وجاء في (مباحث عراقية) ليعقوب سركيس ص ٢٢ من الجزء الاول ما يلي : « في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٢٢٨هـ ١٨١٣م قرر في البصرة فرمان بانتصار محمد على والي مصر على الوهابي ودعى للسلطان محمود واقيمت الافراح سبعة أيام ... » .

(٤٦) كان سفراه في ٢٨ شعبان سنة ١٢٢٨هـ ٢٥ آب (أغسطس) ١٨١٣م .

(٤٧) كان شنقه هو ومن معه في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨١٨م راجع - (دائرة المعارف الاسلامية) ص ١٩٤ من المجلد الاول .

(٤٨) تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود . وابوه عبدالله شقيق عبدالعزيز بن محمد .

حتى قتل سنة ١٢٤٩ هـ ١٨٣٤ م<sup>(٤٩)</sup> وكان ابنه فيصل في القطيف فلما سمع بقتل أخيه عاد إلى الرياض واحتلها وقتل قاتل أخيه • ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى وفأه جيش مصر بقيادة اسماعيل آغا وخالد بن سعود وكان هذا منيماً في مصر مع المنفيين فاحتل الجيش الرياض وسيق فيصل بن تركى إلى مصر سنة ١٢٥٤ هـ<sup>(٥٠)</sup> ولكنه استطاع أن يهرب سنة ١٢٥٩ هـ من مصر ليعود إلى الرياض فاستقر فيها وكتب إلى البدان المجاورة يدعو أهلها إلى الطاعة<sup>(٥١)</sup> واعترف بسيادة الاتراك وفاوض الانكليز سنة ١٨٦٢ م لتوسيع صلات المودة والصداقه<sup>(٥٢)</sup> بين البلدين وتوفي سنة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ م وترك أربعة أولاد منهم سعود وعبد الله ولكن هذين الأخرين اختلفا في طريقة الحكم فقد كان عبدالله يريد استرجاع النفوذ السعودى بدون مناولة الدولة العثمانية وكان معتدلاً في أعماله لا يرى حاجة إلى نشر الدعاوة الوهابية بمثل ما دعا إليها أسلافه<sup>(٥٣)</sup> ، غير أن أخيه سعوداً كان لا يرى هذا الرأى فهرب إلى عسير خوفاً من أخيه ثم عاد بقوته كبيرة في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م وحارب أخيه عبدالله وانتصر عليه داخل قلاع الاحساء والقطيف<sup>(٥٤)</sup> ثم اتجه إلى الرياض مقر أخيه فلم يجد هذا وسيلة غير طلب التجدة من وإلى بغداد وكان يومئذ ( مدحه ) فكتب هذا إلى الدولة أيام السلطان عبد العزيز وجاءه الرد بأن يحارب سعوداً فسير حملة كبيرة في سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م واحتل الاحساء والقطيف وفر سعود مع أعونه<sup>(٥٥)</sup> .

(٤٩) قتله ابن اخته مشاري بن عبدالرحمن • ( عنوان المجد ) لابن بشر ص ٤٨ ج ٢ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٥١) راجع كتابه في ص ١٠٣ - ١٠٥ من عنوان المجد لابن بشر ج ٢ .

(٥٢) كانت مفاوضته مع ( بيل ) المقيم السياسي في بوشیر • راجع ( جزيرة العرب في القرن العشرين ) ص ٢٦٢ .

(٥٣) مذكرات مدحه ص ١٧٣ .

(٥٤) راجع المصدر السابق والصفحة نفسها • وفيها اشارة إلى ان سعوداً ذهب إلى الهند للاستعانة بالإنكليز .

(٥٥) ستاتي تفاصيل هذه الحملة في القسم الثاني .

لم تكفل الدولة العثمانية بحملاتها العسكرية لمحاربة الوهابيين بل استعانت بحملات دينية ضخمة قامت في وجه الدعوة الوهابية وقد استمرت هذه الحملات طوال القرن التاسع عشر وكان بعضها مراعاة لشعور السلطان<sup>(٥٦)</sup> وبعضها عن عقيدة خالصة ، وكان من الطبيعي أن ينور رجال الدين في وجه هذه الدعوة التي زيفت العقائد وحرمت من الأعمال ما اعتاده المسلمون معتقدين مثروعيته .

وكان من الطبيعي أن ينور هؤلاء حين يرون الأيدي الوهابية تمتد إلى الأضرحة والقبور فتهدم وتأخذ الحلى والنفائس وأن تزيل ما على قبر الرسول الكريم من تحف وفضائل وأن يمنع الوهابيون زيارة القبور ويكرروا من لم يكفر الزوار<sup>(٥٧)</sup> ويعدووا جميع من يقدسون النبي وأآل البيت وأولياء والصالحين في عدد المارقين غير المؤمنين<sup>(٥٨)</sup> .

ولهذه الأسباب كانت الحملات الدينية ترد السكيل بمثله ، وقد بدأ الهجوم الشقيق سليمان بن عبد الوهاب شقيق صاحب الدعوة ، وتبعه آخرون في الاحساء وال العراق وغيرهما . وكان أبو الثناء الالوسي في بغداد يرى في الدعوة الوهابية أنها بدعة تسود القلوب<sup>(٥٩)</sup> ، كما تصدى لها علماء الشيعة بالرد والطعن ، وكانت ثورة القبائل ضدتها لا تقل عن أية ثورة سياسية أو دينية .

(٥٦) لقد شق على السلطان ان تبطل الخطبة باسمه . وشق عليه أيضا ان يمنع الحجاج القادمون من البلاد العثمانية . وفيهم احدى قرباته من دخول مكة . راجع ( دائرة المعارف الإسلامية ) ص ١٩٢ من المجلد الأول . و ( جزيرة العرب في القرن العشرين ) ص ٢٥٢ .

(٥٧) راجع ( الصواعق الالهية في الرد على الوهابية ) للشيخ سليمان بن عبد الوهاب ص ١٠ الطبعة الثانية .

(٥٨) Modern trends in islam. by A. R. gibb. p. 26—31. 2 nd

(٥٩) راجع ( غرائب الاغتراب ) ص ١٤ .

## القسم الثاني

### الحالة السياسية في العراق

كان العراق في القرن التاسع عشر ينقسم إلى ثلاث ولايات هي : بغداد والموصل والبصرة . ولكن هذا التقسيم لم يكن مستمراً فيما عدا بغداد ثم استقر في الربع الأخير حتى نهاية الاتراك . ولقد مر على هذه الولايات الثلاث طوران من أطوار الحكم لا يفترقان في شيء من خصائصه ولكنها يختلفان في نوع الحكم وتبنيهما من حيث الاجناس والشعوب . فقد كانت بغداد تخضع لحكم امتدادي وهو حكم المماليك الذي ابتدأ في منتصف القرن الثامن عشر ثم انتهى سنة ١٨٣١ م وارجعت بغداد إلى الحكم التركي المباشر ولكنها لم تحكم من قبل وال عراقي فقط .

وكانت الموصل تخضع لحكم امتدادي أيضاً وهو حكم الأسرة الجليلية الموصيلية<sup>(٦٠)</sup> ثم انتهى هذا الحكم سنة ١٨٣٤ هـ ١٢٥٠ م وأخضعت للحكم التركي المباشر<sup>(٦١)</sup> . أما البصرة فقد استقبلت القرن التاسع عشر بموظفي من المماليك تابعين لوالى بغداد وبقيت تابعة بعد نهاية المماليك ثم تحولت إلى مركز ولاية سنة ١٢٦٧ هـ ١٨٥٠ م ومرت بأطوار مختلفة من الصعود والهبوط في شكل الحكم<sup>(٦٢)</sup> .

(٦٠) تنتسب هذه الأسرة إلى عبد الجليل وهو من ديار بكر ، وأول من ولى الموصل فيها اسماعيل بن عبد الجليل سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م .

(٦١) بقيت الموصل ولاية حتى سنة ١٨٥٠ م فأنزلت إلى درجة متصرفية تابعة لبغداد ثم عادت إلى مركز ولاية سنة ١٨٧٩ م والحقت بها السليمانية مقراً لامارة البابانين وكان هؤلاء قد انتهوا نفوذهم سنة ١٨٥٠ م .

(٦٢) هبطت إلى درجة متصرفية سنة ١٢٧٩ م ١٨٦٢ م ثم عادت إلى مركز ولاية في سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٥ م ثم هبطت إلى درجة متصرفية حتى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م فاعيدت إلى مركز ولاية وبقيت كذلك حتى نهاية الحكم التركي .

## الولاية الكبرى والماليك :

لقد تعمدت أن أسمى بغداد بالولاية الكبرى لأنها محور الدائرة وبؤرة العدسة ، ولأنها حافظت على مركزها الرسمي من صفة الولاية ونفوذ الولاة على بقية الحكم في العراق . ولعل تاريخها السياسي والأحداث التي مرت بها أوضح صورة لاستجلاء الحكم العثماني في العراق ومعرفة أساليبه وألوانه . وليس معنى ذلك أن ما عدتها غير واضح في مباحث التاريخ لكنها - وهي مركز النقل - كانت أكثر نصيباً من عناية المؤرخين . لذلك رأيت أن أتخذ هذه الولاية أهم موضوع لبحث الحالة السياسية في العراق أبان القرن التاسع عشر .

شاهدت بغداد في القرن التاسع عشر ولاة لم يكن من اليدين على العراق أن يغفر للزمن خطأه في فرضهم وتسليطهم ، إذ لم تكن لهؤلاء الولاة صفة الحاكم الذي ينسجم مع المحكومين وطباعهم وعاداتهم ، ولم تكن لهؤلاء الولاة حسنان ذات شأن في المد والحساب إلى جانب السيئات التي خاق بها التاريخ ، وحين يتسلسل المرء مع هؤلاء الولاية من بداية القرن إلى نهايته لا يلبث أن يقول ما يريد في وصف الحكم حين يصل إلى أدنى مظاهره وأحطها ، ولعله قد يغش بما يرضيه من بعضهم أو قد يعجب ببعض ما يقرأ من أعمال نافعة قام بها بعضهم ولكنه سيجد من رضاه ومن اعجابه إذا عرف أن هؤلاء الولاية لم يكونوا سوى مماليك أو أتراك أو من أجناس آخر ليست من العرب وال伊拉克 . وأنهم لم ينصرفوا إلا إلى جمع المال لأنفسهم وأهليهم ومقربيهم ، وتوزيع الأراضين الزراعية على من يتصل بهم من ذوى الحقوق والقوة .

وكان الماليك أوضح صورة لهذا النوع من الحكم إلى جانب ما انفردوا به من القتل والاغتيال وسوء السير وفساد الأخلاق . فقد كان بعضهم يقتل بعضاً طمعاً بالحكم وشغفاً بالمناصب حتى تبعوا وأتبعوا العراق معهم ، وانتهوا كما تنتهي العاصفة لا يعقبها هدوء بل لتخلفها عاصفة أخرى مثلها !!

وإذا كانت ولادة بغداد في بداية القرن المذكور تمتد من منطقة الأكراد فيما وراء ماردين شمالاً إلى مصب نهر العرب في جنوب البصرة فإن من الطبيعي أن تكون مطمح هؤلاء ومسرح فتنهم وحروبهم فيما بينهم . وكانت بغداد نفسها قد أُفت - مكرهة - هذه الفتنة والحرروب الداخلية بين المالك وأنصارهم ، ولم يكد يمر عام من الأعوام دون فتنة وخوف وذعر ومجاعة بسبب هذه الفتنة التي كان يسبها الطمع والتهلك على المناصب . وإذا كان سليمان الكبير الملوك قد مات موتاً في سنة ١٨٠٢ م فإن الولاة الذين جاءوا بعده قد انتهت حياتهم بالقتل<sup>(٦٣)</sup> ولم يسلم منهم إلا داود الملوك الآخر .

وكانت قلعة بغداد هدف الطامحين إلى منصب الولاية فإذا أحسن أحد المالكين من نفسه القدرة على الوصول إلى الحكم جمع أنصاره من المالك والعرب وهجم على القلعة وقتل من فيها ثم تبع الوالي الحاكم فقتله واستقر في مكانه ، وقد يستعين بالمال يرسله إلى السلطان ليقرئه في منصبه أو يجمع تركة من سبقه ويبحث بها إلى الدولة ، وقد يستعين بالقائم البريطاني في بغداد ليتوسط له لدى الباب العالي لأقارباته في منصب الولاية ، وقد حدث هذا كله للكتخدا (على) الذي خلف سليمان الكبير<sup>(٦٤)</sup> . أما داود الملوك الآخر فقد استفاد من صيرفي يهودي في الوصول إلى منصب الولاية<sup>(٦٥)</sup> .

وبمثل هذه الأساليب كان المالكين يصلون إلى الحكم الذي وطدو بالقوة والسلاح واستخدام الأجانب في تدريب الجنود<sup>(٦٦)</sup> ، على أن بعضهم

(٦٣) حين مات سليمان الكبير ولـي الحكم بعده صهره الكتخدا على أثر فتنة كبيرة ثم قتل سنة ١٢٢٢ هـ - ٧ - ١٨٠٨ م وخلفه صهره سليمان الصغير وقتل سنة ١٨١٠ م ثم عبدالله وقتل سنة ١٨١٣ م ثم سعيد بن سليمان وقتل على يد كتخدا داود سنة ١٢٣٢ هـ - ١٨١٧ م .

(٦٤) راجع (المالك في العراق ، لاحمد على الصوفي ص ٨٩ - ٩١ )

(٦٥) راجع التفاصيل في ( تاريخ المالك ) لـ سليمان فائق الورقة ١٣ و Bagdad the city of peace. p. 245.

(٦٦) كان داود باشا قد استعان بضابط فرنسي من ضباط نابليون اسمه ( دى فو ) . راجع المصادر السابقين : الورقة ١٥ و ص ٢٥٤ .

كان أميا لا يحسن شيئاً سوى اعتماده على صداقه المقيم البريطاني<sup>(٦٧)</sup> ، وكان بعضهم مأموراً بالنساء والملذات والبطانة المستهترة أمثال الشاب النزق الصعيدي سعيد بن سليمان الكبير الذي أخفق في الحكم بسبب استهتاره واعتماده على أمه في تدبير الحكم<sup>(٦٨)</sup> فحل محله داود باشا ٠

وإذا كان بعض المالكين قد انفرد بصفات خاصة فإن أكثرهم قد تتشابه في أهم الصفات من حب الغطرسة والاستعانة بأنصار من المجانين المتعلسين والبذخ والاسراف والظهور بمظهر الملوك والامراء لذلك أحاطوا أنفسهم بقواد ومساعدين وكتاب وخدم وغلمان من المالكين وقصروا الوظائف على أنفسهم غير مبالين بمن حولهم من أبناء العراق اذا ليس باستطاعة أى عراقي أن يطمح الى منصب من المناصب الكبيرة في بغداد بل ما دون الكبرية أيضا<sup>(٦٩)</sup> ٠

و كانت قصور هؤلاء الولاة ملأى بالجواري الناعمات والغلمان الذين يغدون ويروحون بملابسهم المذهبة الثمينة وهم من (الكرج) الصباح الوجوه ، بل لقد كان هؤلاء الغلمان من المدربيين على وظائف القصر واستقبال الزائرين من الاجانب وغيرهم ، أما موائد الطعام في قصر الوالي فقد كانت حافلة بأوانى الذهب والفضة من الاطباق والملاءق والاباريق الى الكؤوس والماخر الثمينة المزخرفة<sup>(٧٠)</sup> ، ولقد كانت مواكب الولاة لا تقل عن موكب السلطان حين يخرج الى صلاة أو نزهة فلا يدخل الوالي أو يخرج الا وهو مسبوق بفصيلة من الفرسان من عبيده وخلفه فصيلة اخرى من الرجال وهم بملابسهم العسكرية وبنادقهم الانكليزية وموسيقاهم التي تتألف من الطبول

(٦٧) هو عبدالله الذي قتل سنة ١٨١٣ م ٠

(٦٨) راجع ( تاريخ المالكين ) الورقة ١٢

(٦٩) استند في هذه الفترة بعض الوظائف في الكتابة والديوان الى عراقيين ولتكنهم قليلون جداً ومنهم عبدالباقي العمري الشاعر ٠  
(٧٠) راجع ( رحلة بورتر ) ص ٢٤٩ من الجزء الثاني - الاصل الانكليزى ٠

والزماءير . وكانت هذه المواكب المصطنعة ذات أثر في نفوس المشاهدين فقد كانوا يشعرون ازاءها بالرهبة فيقف من كان ماشيا ويقوم من كان جالسا ولا تدخين ولا شرب ولا حديث بل ابتحانة للسلام من بعضهم ورفع يد الى الشفة والوجهة والصدر من بعضهم الآخر ، والوالى يرد التحيات بaimاءة خفيفة دون أن يحول اتجاهه الى أحد<sup>(٧١)</sup> . ولم يكن موكب نائب الوالى (الكتخدا) بأقل أبهة من مواكب الوالى نفسه<sup>(٧٢)</sup> .

ان هذه الحياة كان لابد لها من موارد تغذيها وتسد نهم الوالى ونهم حاشيته وخدمه وعيده ونسائه وجواريه ولم تكن هذه الموارد سوى الضرائب التي لا حصر لها ولا عد والتي كانت تفرض دون نظام أو قيد فقد كانت تجبي ولا تسجل ، وتوخذ ولا يعطى بها مستند ، وتزداد كلما ازدادت الحاجة الى المال . وكانت لا تجبي الا من الطبقات الفقيرة كالفلاحين والكبسة والتجار الصغار ، أما الطبقات العليا من زعماء واقطاعين فقد كانت غير خاضعة لایة ضريبة الا ما ندر ، وإنما كان هؤلاء عرضة للضرر ومصادرة الاموال والمقاطعات حين يغضب الوالى على أحد وكثيرا ما يغضب .

ولقد كانت هذه الضرائب المختلفة المتعددة لا تستند الى شرع ولا تتصل بعدل وكثيرا ما يلتزمها المتنفذون و (الاغوات) وشيخ العشائر وكثيرا ما يضيف هؤلاء ضرائب اخرى غير ضرائب الوالى وقد يعجز السكان عن دفعها - وكثيرا ما يعجزون - فلا تجبي الا بالقوة والسلاح ولا تنتهي الجباية الا بخراب البيوت وبيع الاناث البالى والماشية .

وكان لابد أن يقابل هذا الظلم السرف بالثورات وبالتمرد غير أن هذه الثورات كانت تقابل بالشدة ويفضي عليها بالسلاح ويستخدم لها بعض المشائير أنفسهم الى جانب الاغوات والماليك .

وكان الولاة لا يكفون من الناشرين على هذه الضرائب او أى ظلم

(٧١) راجع ( رحلة بكنغهام ) ص ٥٠٦ و ٥٠٧ - الاصل الانكليزى .

(٧٢) راجع ( تاريخ جودة ) ص ٢٠٦ ج ٨

بالقمع والقتل بل كانت لديهم وسائل أخرى من التعذيب هي أبشع ما يتخيله الإنسان في عصور الوحشية والهمجية . وكان أيسر وسائل التعذيب الضرب بالسياط حتى تفجر الدماء . ورش الزيت المغلى على وجه المتهם وعينيه حتى يموت . أو كي صدغيه وبعض الموضع الحساسة من جسده ، وقد يوضع على وتد يدخل في أسفله وي Mizq أحشاءه . أما الحق فهو أيسر ما يكون ، وأما الأغرار فلم يكن سراً من أسرار دجلة .

وكان كل شئ ينظر فيه الوالي وإذا حكم فحكمه قطعى نافذ ، ولا شرع ولا قانون بل كان هو الشرع والقانون !! وماذا يصنع بالشرع ورجال الدين معه وفي خدمته فإذا شاء جعلوه من رجال الدين وفي طليعة العلماء!!<sup>(٧٣)</sup> ولقد كانت الدولة تعد هؤلاء الولاية لصوصاً وسراقاً فإذا مات أحدهم عمدت إلى مصادرة تركته أما بارسال موظف من قبلها أو بتكليف من يرشح نفسه لمنصب الولاية ، وقد احتال بعض هؤلاء على انفاذ تركتهم من مصادرة السلطان أيها فعمدوا إلى طريقة الوقف وذلك بأن يبني الوالي مسجداً أو أكثر ويسمى ذلك باسمه ويقف عليه كل ما اغتصبه وصادره ونهبه وكل ما جمع من الضرائب والرشا ويشرط في وثيقة الوقف أن تكون التولية لابنائه وأحفاده فإذا انقرضوا فلرجال الدين . وكان داود من أكثر هؤلاء أوقافاً<sup>(٧٤)</sup> وهي لكترتها ولكونها في أكثر من مدينة واحدة من مدن العراق

(٧٣) ومن اتصف بهذه الصفة الملوك داود فإنه بعد أن اعتنق وأسلم درس شيئاً من مبادئ العلوم فأجازوه وصيروه عالماً كبيراً ، ومن أجازوه الشيخ علي السويدي وقد جاء في إجازته قوله : « أمرني من تحب طاعته ولا يمكنني مخالفته إلا وهو الدستور الاشهر ذو الفضل الفاخر الخطير حضرة الوزير الاكبير داود باشا ... أن أحرر لحضرته السامية الحديث المسلسل ... » .  
راجع هذه الاجازة وغيرها في ( مطالع السعود ) الورقة : - ١٦٢ - ١٦٥ .

(٧٤) ترك داود أوقافاً كثيرة في بغداد والكاظمية وكربلاً والحلة والنجف وخلف أكثر من ثلاثة ولداً ذكرًا وانثى وادخل نساء الكثيرات في الاستفادة من الوقف . راجع تفاصيل الوقفيّة في جريدة ( الشعب ) البغدادية بتاريخ ٢٩-٥-١٩٥٥ م .

تدعى الى الشك القوى في ملكيته ايها<sup>(٧٥)</sup> .

بعد المالك :

شاء القدر - جريا على سنته - أن يتصف بالمالك فتم له ذلك على يد السلطان محمود الثاني الذي أراد أن ينفي حكم الولاية المتمردين أو الذين يحاولون الاستقلال المطلق فاتدب لذلك واليه في حلب وهو الحاج محمد على رضا اللاط وجهز هذا الوالي جيشا واتجه الى العراق وانضم اليه جيش من الموصل وسار الجميع الى بغداد ليحتلواها ويحضروا (أمير الامراء) كما سمته الدولة و (شيخ الوزراء) كما سماه العراقيون واستعد الوالي داود من جانبه للدفاع وأذعن بغداد لظلم البشر وقسوة الطبيعة ، وفي أشهر قليلة من أواخر سنة ١٢٤٦ هـ وأوائل سنة ١٨٣١ م كانت العاصفة الجامحة تهوى في شواطئ دجلة وتزمر في جانبي بغداد ، معارك بين الزاحفين والوالى داود وطاعون فتك يحصد الارواح بلا عد ولا حساب وطفوان من الماء يغمر المدينة فيهم ويحتاج المباني والبيوت .

وانتهى الطاعون والفيضان وانتهى معهما عصر المالك في بغداد وأشرقت شمس الصيف على مدينة خربة خاوية قد بعثر سكانها<sup>(٧٦)</sup> في الحفر وانحدروا مع الامواج ، وانتشرت بيوتها منهارة على الجانين ، ودخل جيش اللاط فاتحا منتصرا فلم ير الا اطلاقا وجثتا ، واستسلم داود<sup>(٧٧)</sup> بعد

(٧٥) نقل المؤرخ الفاضل الاستاذ عباس العزاوي وصفا مسهاما لظلم داود وحيقه وبخله وكثرة الضرائب التي فرضها على السكان ، وجاء في الوصف ما يشير الى الشك في اسلامه لشدة ظلمه . راجع (العراق بين احتلالين ) ص ٣٣٠ و ٣٣١ من المجزء السادس .

(٧٦) انتهى عصر المالك وبغداد لا يتتجاوز عدد سكانها عشرين ألفا .

(٧٧) ارسل داود مع من بقى من أهله الى الاستانة ، ووجه على رضا كتابا يطلب فيه من السلطان أن يصدر عفوه عن هذا الوالي رعاية لشيخوخته ومكانته ثم قضى أواخر أيامه في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥١ م . راجع مضمون رسالة على رضا في العدد الاول من جريدة ( تقويم وقائع ) التركية بتاريخ ٢٥ جمادى الاول سنة ١٢٤٧ هـ ٢١ تشرين الاول سنة ١٨٣١ م .

جلجلة المدافع ودوى الرصاص وبعد أن أخذت المعركة تصيبها من النfos  
وقتل فيها عدد غير قليل<sup>(٧٨)</sup> .

واستقر على رضا في بغداد ليبدأ الحكم المباشر وتعاقب بعده ولاة  
الاتراك تعينهم الاستانة وتقلّهم وتزيلهم متى شاءت .

ولقد كانت سياسة هؤلاء الولاة لا تختلف عن سبقوهم إلا بالارتباط  
المباشر بالدولة ، أما شراء المناصب وارهاق السكان بالضرائب المختلفة وأخذ  
الرشوة والتفرقة بين المواطنين فذلك أيسر ما كان يفعله هؤلاء . وإذا أحصينا  
عدد الولاة الذين تعاقبوا على بغداد والموصى والبصرة<sup>(٧٩)</sup> أدركنا بسهولة  
نوع الحكم الذي كان يسود العراق فقد كان عدم الاستقرار وتكرر التورات  
في الشمال والجنوب من أبرز مظاهر الحياة العامة في العراق اذ لم يكن  
لهؤلاء الولاة أدنى ميل إلى الاصلاح – ما عدا القليل منهم – وكان تعصيمهم  
لدولتهم ولجسدهم سببا في نفور السكان منهم فلم يكونوا يعرفون من أمر  
البلاد شيئا الا في مواسم الضرائب .

أما الفتن والحروب والتورات وتحريض القبائل بعضها على بعض  
فذلك من الامور التي اعتاد عليها العراق ومن الصفات التي لازمه في ظل  
تلك السياسة المنحطة .

ولقد مرت على بغداد ظروف قاسية بحيث « لا يستطيع الطير أن يطير  
ولا الاسد الوئاب أن يسير ما بين باب حلقها وبصرتها<sup>(٨٠)</sup> بل ما بين كرخها  
ومقبرتها ، وتعذر على الساعي الخربت الذهاب من باب الكاظم الى هيت أو

(٧٨) بعد أن استولى على رضا جمع المالك في القصر بحجة أنه  
سيقرأ عليهم بيانا من السلطان ثم أمر جنوده بقتالهم فقتلواهم ولم يسلم  
منهم إلا من لم يحضر أو من فر من بغداد .

(٧٩) كان عدد الولاة الذين حكموا بغداد طيلة القرن التاسع عشر  
٣١ واليا ، وحكم البصرة أكثر من هذا العدد ومثلها الموصى . راجع  
(ساننامه بغداد) الدفعه ٢٢ سنة ١٣٢٩هـ . و (ساننامه البصرة) الدفعه  
الثانية سنة ١٣٠٩هـ و (ساننامه الموصى) سنة ١٣٣٠هـ ١٩١٢م .

(٨٠) كانت لبغداد أبواب يسمى كل باب باسم المدينة التي  
يتجه إليها .

تكررت حيث كثر القتل والنهب في جهاتها الأربع<sup>(٨١)</sup> .  
وكان التعصب التركي واضحاً في سلوك بعض الولاة مع السكان<sup>(٨٢)</sup> .  
وكان بعضهم يفرض الضرائب باستمرار ويجبها بعنف وشدة ليرضى سيده  
السلطان<sup>(٨٣)</sup> . حتى وصل العراق إلى درجة خطيرة من اضطراب الحالة  
السياسية فيه وتردى الحياة العامة وحتى « خلقت ثيابه بل أتن لحمه  
وشحمه واهابه ، ففدا جيفة يشق شق ريحها المراشر ويصعد إلى أقصى  
الجو فيصدع رأس النسر الطائر ، قد تصدر فيه كل خب سفيه ، واستولى  
عليه من يأبى أن يلوكه القلم بشدقيه »<sup>(٨٤)</sup> .

وقد بلغ من تردى الحالة أن العاقل لا يستطيع أن يقول كلمة الحق  
خوفاً من الظلم والبطش<sup>(٨٥)</sup> بينما كان المنافقون من سكان بغداد يتمرغون  
على اعتاب الولاة ويطبعونهم طاعة عمياء أقرب ما تكون إلى التالية  
والعبادة<sup>(٨٦)</sup> وكان في طليعة هؤلاء بعض رجال الدين والوعاظ والخطباء  
والشعراء والمرتزقة ورجال التجارة من مسلمين ويهود .

ولم يخفف من حدة الفساد السياسي غير الوالي ( مدحه )<sup>(٨٧)</sup> فقد  
جاء بمثال جديد من الحكم كان من الممكن أن ينفع به العراق لو قدر له  
أن يقضى في الولاية أكثر من السنوات الثلاث التي لم تخل من متابع

(٨١) كان هذا في أيام الوالي محمد نامق ( ١٢٦٧هـ ١٨٥٠م ) رابع  
( نشوة المدام ) لابي الثناء الالوسي ص ٤٩ وقد ذكرت هنا النص المسجوع  
للتأكيد على الحالة .

(٨٢) اشتهر بالتعصب التركي الوالي محمد نجيب وقد ول في بعد  
على رضا سنة ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م .

(٨٣) كان محمد نامق يفعل ذلك ولاسيما في ولايته سنة ١٢٧٨هـ  
١٨٦١م ليرضى السلطان عبدالعزيز . راجع ( أربعة قرون من تاريخ العراق  
الحديث ) ص ٢٧٠ .

(٨٤) هذا النص المسجوع من مقامات الالوسي ص ١٣ .

(٨٥) نشوة الشمول للالوسي ص ٨ .

(٨٦) مقامات الالوسي ص ١٦ .

(٨٧) دخل بغداد واليا في ١٨ محرم سنة ١٢٨٦هـ ٣٠ نيسان  
( ابريل ) سنة ١٨٦٩م ونقل منها في أول صفر سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧٢م .

داخلية وخارجية ، وكان من الممكن أن يستفيد الفلاحون من النظام الذي سنه لتمكين الأراضين الزراعية ولكن خيبة الأمل ما لبثت أن عادت بعده فرجع الفلم والفساد وعمت الرشوة جميع طبقات الموظفين . وملك الأرض للزعماء والتجار وذوى النفوذ والمال من اليهود وغيرهم وكان نصيب من يدفع الرشوة الدسمة أوفى الانصباء فملك في الفرات الأوسط كثير من تجار اليهود وغيرهم من سكان بغداد ، وملك أراضي المتافق أسرة آل السعدون ، وحرم معظم العشائر لأنهم لا يستطيعون دفع الائمان المطلوبة أو الرشوة التي لا بد منها لمن يشرف على تسجيل المستندات والوثائق .

وتساءلت أخلاق الموظفين أكثر من ذى قبل وازدادت التفرقة بين السكان ، والنفرة بين الطوائف وبخاصة في أيام السلطان عبد الحميد فقد استأثر هذا بكثير من المقاطعات الخصبة وسجلها باسمه وسمها ( الاملاك السنية ) وعين لها الموظفين وأعفاها من الرسوم والضرائب واختص بالأوقاف فكانت وارданها ترسل إليه ، وكان من الطبيعي أن يكون هذا العمل قدوة سيئة للموظفين .

وقد استخدم هذا السلطان العقيدة السنية لمناولة الشيعة وجهز لها علماء الدين وقضاة الشرع من الأكراد والأتراك وبعض العرب . وفرض الموظفون الذين لا يحسنون اللغة العربية وأنشئت المحاكم لتحاكم الناس بقوانين سقية ولم تكن لغة المرافعات سوى اللغة التركية التي يجهلها المدعى والمدعى عليه ، فعزف معظم الناس عن التحاكم لضياع حقوقهم في مثل هذه المحاكم ولكرة الرشا التي لا يبني بها أى حق يدعى من أجله ، وعين القضاة ليحكموا على مذهب الدولة<sup>(٨٨)</sup> في المدن الشيعية فكان أولئك القضاة

---

(٨٨) كان لكل مدينة قاض من الأتراك وكانت مدة بقائه لا تتجاوز السنين ونصف السنة ثم ينقل إلى مكان آخر وهو لا يقضى بغير المذهب المنفى حتى في المدن الشيعية ، وقد ضربت نشرات الدولة الرسمية أمثلة كبيرة لاختلاف المحاكم والمحاكمين فقالت ( سالنامة البصرة ) في دفعتها الأولى سنة ١٤٣٠ هـ ١٨٩١ : « ان ثلاثة بالمائة من سكان البصرة سنة خمسين شيعة والباقي يهود ونصارى . وسكان أبي الخصيب عشرون =

يدخلون ويخرجون وهم لم ينظروا في دعوى ولم يستمعوا الى مرافعة الا ما ندر وقل مما يعبر عليه السكان . وكان باستطاعة اي قاض أن تظهر عليه علامات التروء في أيسر مدة<sup>(٨٩)</sup> . أما المفتون والوعاظ والخطباء فلا نصح منهم لوال ولا ارشاد لحاكم سوى الدعاء للسلطان والدولة ، والتملق للولاة وسائر الموظفين والطعن بالديانات والمذاهب الأخرى .

ولم تكن هذه المظاهر التي يسخر منها التاريخ الا لفرض السلطة شكلياً واعiliar السكان بيهية الدولة وعظمتها ، وليس بين الموظفين من الوالي الى أصغر موظف أحد من أبناء العرب سوى المفتي وبعض القضاة ومن ترك وذل فكان نصيحة ما حقر وصغر من الوظائف .

وكان باستطاعة اي تركي او مستر ترك أن يقدم رجله للوظيفة وان كان جاهلاً أمياً بشرط أن يدفع الثمن ، وقد يتجاوز هذا الثمن مجموع المرتبات السنوية ولكنه بأسرع وقت يستعيد أكثر مما دفع . بل كان كثير من طلاب الوظائف لا يتورع في طلب الوظيفة عن سلوك أحرى السبل وأحطها<sup>(٩٠)</sup> . وقد اشتد التهافت على الوظائف والتفاق والملق من أجلها حتى عند من يتصدى لوظيفة الافتاء والوعظ !! بل كان المتنافسون على وظيفة القميashi بعضهم بعض ويدرس أحدهم على الآخر<sup>(٩١)</sup> ويترافقون للدولة والسلطان والولاة طبعاً بها حتى أصبحت لا قيمة لها<sup>(٩٢)</sup> سوى الوجاهة وقبض المرتب !!

---

= بالمائة سنة والباقي شيعة . وسكان مدينة الناصرية كلهم جعفريون شيعة ولسانهم عربي ما عدا المأمورين . وكذلك سكان سوق الشيوخ والشطرة والحي وقلعة سكر . أما لواء العمارة فلسان أهلها على الاطلاق عربي ومذهبهم جعفري ما عدا المأمورين . \*

وقالت في الدفعة الثانية الصادرة في سنة ١٣٠٩ هـ ١٨٩٢ م : ( ان كثيراً من الموظفين الصغار في ولاية البصرة من أهالى كركوك ) .  
(٨٩) العراق - دراسة في تطوره السياسي . ص ٤٩ من الترجمة العربية .

(٩٠) مقامات الالوسي . ص ٨٧ و ٨٨ وفيها تفصيل للسبيل المخزية .

(٩١) الزوراء - العدد ٢٢٦ من السنة الثالثة .

(٩٢) مقامات الالوسي ص ٥٢ .

و كانت مهزلة الوظائف والموظفين جميعا من أكبر المهازل التي مثلت في العراق ، واذا كان تعين الموظف يجري من غير ضابط ولا نظام فان المرتبات الضئيلة التي كانت تدفع قد تتأخر أشهرا كثيرة<sup>(٩٣)</sup> ، وكان تأخير دفعها من أسباب تفسى الفلم والرشوة والنهب ولا جراء ولا عقاب ، واذا كان الموظفون قد تعودوا للملق والنفاق لاولئاء الامور الكبار فان انفاسهم بالملذات وأنواع اللهو كان من أبرز صفاتهم<sup>(٩٤)</sup> .

واذا كان المحكومون من الفلاحين وغيرهم قد أرهقوا بهذا الحكم التفسخ وأغرقوها بالضرائب<sup>(٩٥)</sup> التي كانت تجبي بقوة الجندي من غير رحمة ولا شفقة<sup>(٩٦)</sup> فإنهم قد كانوا عرضة لاعمال اخرى ليس لها حدود كالعمل بالأكراء وبدون أجرة<sup>(٩٧)</sup> وقد كان هذا الاكراء من أيسر ما يأمر به الموظف التركي مدنيا أو عسكريا وكثيرا ما يصبح الامر عنف وشدة فيسرع المأمورون الى تلبية الامر وينجزون العمل بأجسامهم المهزيلة وقد لا يكفي منهم بذلك بل يؤمرون بجمع المال ووسائل العمل .

أما الجنديية التي فرضت على السكان<sup>(٩٨)</sup> فقد كانت موردا خصبا للموظفين والدولة ، فللدولة البدل المرهق من لا يرغب في الجنديية وللموظفين الرشوة لكي يتسامحو مع المكلفين ولا سيما الاغنياء منهم ، أما

(٩٣) قد يتاخر دفع المرتبعشرين شهرا . (الزوراء) العدد ٥٤٢ من السنة السابعة .

(٩٤) الزوراء - العدد ٥٥٥ من السنة السابعة .

(٩٥) من أغرب هذه الضرائب ما كان يفرض على سكان بيوت الشعر فقد كان على كل بيت ضريبة سنوية وقد تدفع مكررة اذا ضاع المستند وكثيرا ما يضيع او لم يعط من قبل الجابي . راجع (الزوراء) العدد ٥١٦ من السنة السادسة ١٤ محرم ١٢٩٢هـ .

(٩٦) مجلة (لغة العرب) الجزء الثاني من السنة الثالثة (شباط) ١٩١٤ .

(٩٧) كان هذا العمل يسمى (سخرة) والعمال مسخرین . راجع عنه (الزوراء) العدد ٥٥٢ السنة السابعة .

(٩٨) بدأ التجنيد الازامي في العراق سنة ١٨٣٥م وطبق في الموصل من غير رحمة . ولكن لم يطبق في الجنوب قبل سنة ١٨٧٠م .

الفقراء فقد كانوا يضطرون إلى بيع الماشية والبقرة ومتاع البيت لكي ينفدو  
أنفسهم

و كانت القوة المنوط بها حفظ الامن منحطة لا نظام لها وكان الذين  
يدبرون شؤونها ضباطاً أميين متفسخين الاخلاق ولم تكن وظائفهم في الغالب  
سوى جباية الضرائب وخدمة الموظفين الكبار<sup>(٩٩)</sup> .

و كانت السجون أحقير ما ينظر إليه المرء من مبانى الحكومة ، وكان  
المساجين لا يعتمدون على غير أهليهم في الطعام ، وكان كل موظف في  
السجن من المحاكم إلى الحراس ، يبيع الامتيازات للمساجين حتى اطلاق  
الحرية<sup>(١٠٠)</sup> . بل كان لا يسمح لأقرباء السجين بزيارته دون تقديم  
رسوة .

### الكذب على السكان :

واستغل الولاة سذاجة السكان وجهلهم والعاطفة الإسلامية فيهم فكانوا  
يستأجرون بعض الأفلام الخاوية لخشى الكلمات المفكرة الهزلية في مدح  
السلطان والولاة ولاسيما في أعياد الجلوس التي كانت تقام في بغداد  
وغيرها ، وكانت النشرات الرسمية تواصل مثل هذا الملقب بين حين وآخر  
لتوهم الناس بالباطل أو لتوهم من كان يقرأ على الأقل ، والذين يقرؤون  
كانوا من ذوى الزلفى والتأثير على السكان ، وكانت أساليب الكذب المقصود  
تختلف باختلاف المناسبات وقوة السلاطين والخوف منهم ، فالسلطان  
عبدالعزيز :

• مؤسس العدالة وبنى مبانى المدينة والسعادة ولنى نعمتنا بلا منه  
متبعون الافحىم الاعظم السلطان ابن السلطان حضرة أفندينا عبدالعزيز خان  
أدامه الله تعالى على (التحت) العالى العثمانى الى آخر الدوران<sup>(١٠١)</sup> .

(٩٩) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث - ص ٢٩٩

(١٠٠) المصدر السابق ص ٣٠١

(١٠١) جريدة (الزوراء) العدد ٤٥٦ من السنة السادسة .

أما السلطان عبد الحميد فإنه « حامي حياة كافة العالم سلطان البحرين وحاقدان البحرين أمين الله وخليفة رسول الله وأمير المؤمنين وحامي حمى الدين الذي ليس له ندو ولا مدانى ٠٠٠ السلطان عبد الحميد الثاني »<sup>(١٠٢)</sup> .

ولعل هذا قليل من كبير مما كان ينشر في صحف الدولة وتقاويمها الرسمية . ولا شك أن مثل هذه الاساليب كان يؤثر في السكان ويدفعهم إلى مؤازرة الدولة في كل حرب تقع لها مع الاجانب ، وفي كل كارثة تصيبها وتحل بها فيعنون بالشباب الى ميادين القتال<sup>(١٠٣)</sup> أينما كانت ، ويجمعون الهبات والاموال الكثيرة لدعم الجيش أو لمساعدة مدينة أو قرية نكبت بفيضان أو حريق أو أى شئ .

و كانت الدولة اذا أعلنت حربا أو حلت بها كارثة تسلق السكان وشير فيهم الاريحية العربية أو العاطفة الاسلامية أو الشعور العثماني العام حسب درجاتهم وطائفتهم فينسون الجراح والآلام ويساندون الدولة ، على أن كثيرا من الولاة كانوا يفرضون ما تحتاجه الدولة فرضا ويجمعون المال بالاكراه كما كانوا يجندون الشباب بالقوة والسلاح .

#### الموصل والبصرة :

لعل هذا الذي قدمته عن وصف الحالة السياسية في ولاية بغداد كاف في تفسير الحالة نفسها في ولايتي الموصل والبصرة وليس من شك في أن ما يحدث في بغداد كان يحدث مثله في هاتين الولائيتين ، فقد كان حكام الموصل من الاسرة الجليلية صورة لما كان عليه حكام بغداد اذا استأثرت هذه الاسرة بالقسط الاوفر من خيرات الولاية واقتلت وبرت لنفسها وعرضت مدينة

(١٠٢) سالنامة البصرة ( التقويم السنوي ) الدفعة الاولى سنة ١٤٩١هـ ١٨٩١م .

(١٠٣) من أمثلة ذلك ان العراق أرسل عشرة آلاف جندي عدا المتطوعين في حرب الدولة مع روسيا سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٧م وذهب هؤلاء الجنود الى قفقاسيا وبعد فشل الدولة لم يعد منهم غير نفر قليل .  
راجع ( مختصر تاريخ بغداد ) لعلى طريف الاعظمي ص ٢٤٥ .

الموصل وما يتبعها من القرى والارياف لثورات كثيرة وتمرد لا يفسر في الغالب الا بكونه رد فعل للقصوة وفرض الضرائب التي كان السكان ينفون بحملها ولا سيما الفلاحون وأرباب الحرف • ولقد كان الشعب بين أفراد الاسرة الجليلة لأجل الحكم شيئاً مالوفاً قد ترسنه سياسة بغداد أحياناً<sup>(١٠٤)</sup> •

وكان تصرف المحاكمين فيها تصرفاً فاسداً تصحبه القوة وتقابله الثورات التي يعقبها القتل والتشريد والنفي ومصادرة أموال التأثرين وأملاكهم وقد تؤدي الثورات إلى قتل الوالي الجليل نفسه<sup>(١٠٥)</sup> •

ولما انتهى حكم الجيليين سنة ١٨٣٤م أخذ الولاية الاتراك يتعاقبون على الموصى والقليل منهم من تجاوز بقاوه سنة واحدة<sup>(١٠٦)</sup> • وكان من الطبيعى ألا يعملوا شيئاً أكثر مما يعمله ولاية بغداد •

أما البصرة فقد حكمها خلال القرن التاسع عشر ما يزيد على الأربعين من ولاة ومتصرفين وكان العراقي الوحيد من بينهم ناصر السعدون ، أما جميع هؤلاء فقد كانوا من طراز ولاة بغداد أو ولاة الدولة على الاطلاق فلم تسلم البصرة من ظلمهم وظلم مأمورיהם من كبير وصغير ، بل لم تسلم حتى من ظلم ناصر السعدون نفسه اذا استغل منصبه ومكانة أسرته فاستأثر بكثير من الاملاك والمقاطعات ومنح كثيراً من أفراد أسرته بساتين من التخل وضياعاً زراعياً في جنوب العراق وكان هو وأخوه منصور سيفين من سيفون الدولة تضرب بهما من تشاء من العرب في داخل العراق وفي الاحساء •

واما مناطق الاقراد فقد كانت خاضعة لنفوذ زعمائها في بداية القرن التاسع عشر وكان هؤلاء الزعماء آل العوبة بيد الحكومة الایرانية من جانب

(١٠٤) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ص ٢١٣ .

(١٠٥) في سنة ١٨٢٨م ثار أهل الموصى على الوالي عبدالرحمن الجليلي فاغتالوه هو وأخاه محمد . راجع (الحايليك في العراق ) ص ١٨٧ .

(١٠٦) كان عدد من حكم الموصى من ولاة ومتصرفين اثنين وأربعين من بداية القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩٠٠م (بيانات الموصى) الصادرة بتاريخ ١٩١٢ - ١٩١١ .

ولاة بغداد من جانب آخر ثم انهار حكمهم بسبب نزاعهم المستمر وقسمت المناطق الكردية بين ولائيتي بغداد والموصل .

### الاجانب في العراق :

ازداد نفوذ الانكليز والفرنسيين أيام المماليك وبلغ من القوة جدا لا يستهان به وقد كثر عدد السياح والمبشرين يتقلون بين الموصل وبغداد والبصرة وكان لانكلترا وفرنسا ممثلون في العراق وكان ممثل انكلترا في بغداد يسمى ( مقينا ) ولهذا المقيم شأن ليس أقل من شأن الوالي نفسه ، وداره من أفحى الدور وأحسنها في بغداد ، وكان فيها - أيام المقيم ( ريج ) سنة ١٨٢١-١٨٠٨م - استعداد تام لأن تكون شيئاً منظوراً من قبل السكان والحكومة فيها جراح انكليزي وأمين سر طليانى ، وعدد من المترجمين والموظفين والخدم والسواس ولم يكن هؤلاء من جنس واحد ففيهم الارمني والعربي والتركي والانكشاري والجورجي والفارسي والهندي ، وكان حرس المقيم من الهندو الطوال Sepoys وكانت طبول هؤلاء وأباوافهم ترسل أصواتها باتنظام عند بدء العمل وختامه ، وفي دار المقيم فصيلة من الفرسان الأوروبيين وله ( يخت ) معد للرحلات النهرية يشرف عليه الهندو وكان كل شيء في هذه الدار أعد ليلقى الميبة في نفوس السكان الذين كانوا يشعرون بأن المقيم أقوى شخص بعد الوالي ، بل كان بعضهم يظن أن الوالي لم يستبد كل الأحيان برأيه دون أن يستشير المقيم<sup>( ١٠٧ )</sup> ، وقد من بنا أن بعض ولاة المماليك كان يستعين بالقيم في الترشيح لمنصب الولاية وفي التجهيز بالسلاح والمدرعات وملابس الجنود . ولم يكن عمل المقيم في حدود رعاية المصالح البريطانية في البوادر والتجارة والتقبيل الآتري حسب بل كان يتجاوز ذلك إلى التدخل في شؤون البلاد واجتذاب قلوب الناس واستئصاله بعض الزعماء<sup>( ١٠٨ )</sup> . وكانت داره ملتقى أكبر

( ١٠٧ ) راجع رحلة ( بنكتهام ) ص ٣٩٠ الاصل الانكليزى .

( ١٠٨ ) كان المقيم ( كلوديوس جيمس ريج ) صديق البابانيين من زعماء الاكراد وقد ذكر ذلك في رحلته المطبوعة في لندن سنة ١٨٣٦ م .

الموظفين والاشراف ، ومرتادا للضيوف ، وكان أدنى اعتراض على سلوكه السياسي والاجتماعي من أي وال قد يسبب تعكير الجو السياسي بين الدولتين<sup>(١٠٩)</sup> .

و كانت شركة ( لنج ) النهرية تتمتع بامتياز تسيير الباخر بين بغداد والبصرة وقد أُسست سنة ١٨٣٤ م و ازداد عدد باخرتها أيام السلطان عبدالحميد بفضل الهدايا والرشا التي كانت تقدمها للدولة<sup>٠</sup>

وقد ربطت بعض المقيمين البريطانيين رابطة الزواج بعض الاسر المسيحية العراقية<sup>(١١٠)</sup> .

ولم يكن النفوذ الفرنسي ضعيفا وان كان أقل من نفوذ الانكليز ، فقد كان المبشرون الكرمليون من دعاة فرنسا في العراق و لهم مؤسسات دينية كما كان للايطاليين مثلها . وكان اسقف يابل يشغل أحياناً الاسقفيه ووظيفة القنصل الفرنسي معاً . وكان للقنصل الفرنسي بالبصرة اتصال أو بعض الاتصال بوجوه المدينة ورؤساء القبائل<sup>(١١١)</sup> .

وكان الكاثوليك من أشد الناس عطفا على فرنسا فقد كانوا يفرحون لفرحها ويأملون لما يصيّها من أذى . ولم يخفوا مظاهر فرجهم في عودة أسرة آل (بوربون) الى العرش الفرنسي فقد أقاموا في اليوم الخامس والعشرين من آب سنة ١٨١٦ م قداساً في الكنيسة الكاثوليكية ببغداد على روح لويس السادس عشر وأنسدّت التراتيل بمناسبة عودة آل بوربون الى العرش<sup>(١١٢)</sup> .

ومهما يكن من شئ فإن النفوذ الانكليزي كان أقوى وقد خلل محافظاً على قوته طيلة القرن التاسع عشر وصار لبريطانيا وكيل سياسي في بغداد

(١٠٩) راجع : أربعة قرون - ص ٢٤٢ و ٢٤٣ .

(١١٠) كان المقيم البريطاني في البصرة (١٨١٠ - ١٨٢٤ م) مانستي متزوجاً بمساوية عراقية . راجع ( رحلة المشي ) ص ٧ من مقدمة الناشر .

(١١١) أربعة قرون - ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(١١٢) رحلة ( بكنغهام ) ص ٥٤١ .

ومساعد له وفصل في البصرة ونائب فصل في الموصل وكان لها دوائر  
بريد في بغداد والبصرة وقد انشئت هذه الدوائر عام ١٨٦٨ م بموافقة والي  
بغداد<sup>(١٣)</sup> بينما لم تؤسس الدولة أية دائرة بريد في العراق الا  
بعد سنوات<sup>(١٤)</sup> .

وفي أواخر القرن التاسع عشر لم يقتصر التمثيل الاجنبي على بريطانيا  
وفرنسا فقط بل كان لكل من المانيا وروسيا والولايات المتحدة وكيل  
في بغداد .

#### ایران والعراق :

تعرض العراق في القرن التاسع عشر لحروب وحوادث كثيرة كانت  
تقع بينه وبين ایران فتهدم وتندى وبينه وبين الوهابيين فتسفر وتثير ولعل  
سرد هذه الحوادث ليس من أهداف هذا البحث غير أن علاقتها بالشعر  
وتأثيرها فيه يقتضي أن يشار إليها على وجه الإجمال .

ان الحروب الإيرانية مع دولة الاتراك - أو حروب الدولة مع ایران -  
كانت أقدم من هذا العصر الذي نبحث فيه - كما أشرنا اليه في التمهيد -  
وقد كان العراق من أهم الميادين التي تقابل فيها الخصم مرارا ، وكانت  
الخصومات السياسية والمذهبية من أبرز العوامل في اثاره هذه الحروب  
التي لم تكن الا وبالا على العراق وشرا على حياة أهله ومعيشتهم واستقرارهم ،  
وقد شهد النصف الاول من القرن التاسع عشر صورا عددة من الاستفزاز  
الإيراني وتعاقب الجيوش التي كانت تستهدف بغداد والبصرة وكان انقسام  
الاكراد بين العراق وايران عاملا مشجعا لتدخل الإيرانيين فقد كان من  
السهل على أي زعيم كردي يطرد أو يحارب من قبل الدولة العثمانية أو ي يريد  
السيطرة أن يستعين بالحكومة الإيرانية لترده إلى مركزه أو تبني له مركزا

(١٣) كان يومئذ نقى الدين .

(١٤) راجع التفصيل في أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث -

جديداً ، وقد حدث مثل ذلك في سنة ١٨٠٥ م اذ تدخل الجيش اليراني لمصلحة زعيم السليمانية عبد الرحمن بابان وأعاده إلى مقره بعد أن كان مندحراً أمام جيش بغداد<sup>(١١٥)</sup> . وفي سنة ١٢٢٧ هـ ١٨١٢ م تجدد مثل هذا الحادث فتقبل بقوة السلاح . وفي سنة ١٢٣٧ هـ ١٨٢١ م تعرضت بغداد لتهديد القوات اليرانية وازداد الخطر المزمع حتى أدى إلى اعلان الحرب على ايران من قبل السلطان نفسه ، وانتهت هذه الحرب بالصلح الذي توسعه رجال الدين من الشيعة والسنّة ، بينما كان الجيش اليراني على مسافة يوم واحد من بغداد ولو لا الصلح وتفشي مرض (المهيبة) بالجيش اليراني وكانت حياة سكان بغداد معرضة لأكثر من الهرب الذي لاذ به مئات الناس . وفي السنة التالية استجمع اليرانيون قواهم وعاودوا الكرة ففتقا لهم جيش بغداد في الشمال<sup>(١١٦)</sup> ولكن ضباط هذا الجيش - وأكثربن من المالك - عقدوا مؤتمراً فرروا فيه الانسحاب وتركوا الجيش اليراني وشأنه حتى تصدت له بعض القبائل العربية وبعدته ورجع ما بقى منه إلى ايران<sup>(١١٧)</sup> .

وقد تعرضت البصرة مثل هذه الحوادث التي كانت استمراراً لما سبق في القرن الثامن عشر ، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر خفت الحوادث بين العراق وايران وبقيت لها ذيول متقطعة انتهت بنهاية القرن .

### **الحوادث الوهابية :**

من في القسم الاول من هذا الفصل عرض واوضح لقيام الدعوة الوهابية وحروبها وحرروب الدولة معها في الحجاز ونجد وقد بقى من ذلك

(١١٥) كن هذا يدفع إلى الحكومة اليرانية اتاوة قدرها عشرة آلاف (تومان) في السنة . راجع - تاريخ جودة - ص ١٠٧ من المجلد العاشر ط ٢ .

(١١٦) جاء في الورقة ١٣٣ من مطالع السعو : ان السلطان محموداً وجه جيشاً بقيادة محمد أمين رؤوف والي ديار بكر ووجه معه عساكر Anatolian والموصل وكانت الرياسة الكبرى لداود باشا .

(١١٧) أربعة قرون ٠٠٠ ص ٢٣٤ .

ما يخص العراق ويتصل به سواء أكان من جانب الوهابيين أم كان من جانب العراق نفسه لذلك رأيت أن استكمل البحث عن الحوادث التي تتصل بالعراق في هذا القسم .

لقد تعددت الحوادث الوهابية طوال القرن التاسع عشر وكان خطرها قد انذر قبيل هذا القرن وفي بدايته المبكرة وكانت الضفة الغربية من الفرات أقرب هدف لسلاح الوهابيين بل كان القسم المتاخم لنجد من البصرة الى الشمال الغربي معرضا للغزو الوهابي بين حين وآخر فلم تكن تمر سنة واحدة على حادثة من الحوادث الا تبعتها حادثة اخرى .

وكان الوالي المسؤول عن حماية العراق شيخا كيرا<sup>(١١٨)</sup> لا يعتمد على غير المالك من أبناء جنسه لذلك كانت اولى الحملات التي توجهت من العراق الى نجد حملة قليلة قام بها ثوبيني بن عبدالله شيخ المتفق سنة ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ م وقابل الوهابيين في الاحساء ولكن هذه الحملة فشلت وقتل قائدها الشيخ<sup>(١١٩)</sup> أثناء عودته وتمزق جيشه ، وفي سنة ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م توجهت حملة اخرى بقيادة ( الكتخدا ) على وكان معظم الجنود من المتطوعين العراقيين ودارت المعارك في الاحساء مع عبدالعزيز بن محمد ولكن عوامل كبيرة أدت الى هرب الكتخدا ونكوص جيشه فلم يستطع الاستمرار في القتال وعاد الى بغداد سنة ١٢١٩ هـ ١٧٩٩ م<sup>(١٢٠)</sup> .

---

(١١٨) هو سليمان الكبير الملوك - راجع التمهيد وبداية هذا الفصل .

(١١٩) قتل في جهة الشباك من نجد وهو في خيمته وقد قتله عبد اسمه ( طعيس ) بخنجر . راجع التفاصيل في ( مطالع السعود ) الورقة ٧٢ ، و ( عنوان المجد ) لابن بشر ص ١٠٨ من الجزء الاول .

(١٢٠) يذكر ابن سند في مطالع السعود ( الورقتان ٨٠ و ٨١ ) نص رسالة من سعود بن عبدالعزيز الى الكتخدا يطلب فيها الصلح ويعلن سبب احتلال الوهابيين الاحساء بأن سكان الاحساء رواضى ثم يذكر جواب الكتخدا والشروط التي طلبها لعقد الصلح . ويعزو ابن سند فشل هذه الحملة الى خيانة وقعت من ابراهيم بن ثاقب بن وطبيان وكان مع جيش الكتخدا ، غير أن عوامل الفشل أكثر من ذلك .

وفي بداية القرن التاسع عشر تعرض الوهابيون لحجاج خزانة (الخزاعل) من العراق وهم بالقرب من نجد وهوجم الحجاج الايرانيون وكان طريقهم على العراق ونهبوا في الموضع نفسه<sup>(١٢١)</sup> . وفي صيف سنة ١٨٠٠هـ ١٢١٥ سافر محمد الشاوي مبعوثاً إلى نجد ليفاوض بالصلح فلم يجد لدى الوهابيين رغبة في ذلك<sup>(١٢٢)</sup> . وازداد خطر الوهابيين فأغاروا على بلدة (عنة)<sup>(١٢٣)</sup> في السنة نفسها وقتلو ونهبوا وأغاروا على قرية (الكيسة) ففأبلهم أهلها بالقوة<sup>(١٢٤)</sup> . وكان أشد هجوم قام به الوهابيون على العراق ذلك الهجوم الذي استهدف مدينة كربلاء فقد قاد سعود ابن عبدالعزيز جيشاً يقدر بألف محارب أو أكثر وغزا به هذه المدينة ، وفي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ الموافق للثانية والعشرين من نيسان سنة ١٨٠٢م<sup>(١٢٥)</sup> كانت مدينة كربلاء تمواج بالذعر وقد أخذ سلاح الوهابيين من أهلها مأخذة كبيرة وتبع الفارين منهم بل تناول حتى الذين لا زدوا بضریح الامام الحسین<sup>(١٢٦)</sup> وغضت المدينة باشلاء القتلى من رجال ونساء وأطفال ، ونهبت الدور والحوائط ، وكان أهم الغنائم ما نهب من ضریح الامام الحسین وفيها النفائس والتحف والمجوهرات<sup>(١٢٧)</sup> ، ولم

(١٢١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٢٠٤

(١٢٢) المصدر السابق والصفحة نفسها . وفي ( مطالع السعود الورقة ٨٤ ) أن المعموت عبدالعزيز شقيق محمد .

(١٢٣) غایة المرام الورقة ١١٠ . ومباحث عراقية ص ٥٠ ج ١ .

(١٢٤) غایة المرام الورقة ١١٠ .

(١٢٥) يروى ( بروكلمان ) في ص ٢١ ج ٤ من ( تاريخ الشعوب الاسلامية ) أن هذه الحادثة وقعت في ٢٨ نيسان سنة ١٨٠١م وفي عيد الفطر وهذا مخالف لأكثر المؤرخين .

(١٢٦) قدر عدد القتلى في الضريح بخمسين قتيلاً ، وفي الصحن بخمسين قتيل .. أما مجموع القتلى في المدينة فهو موضوع خلاف بين المؤرخين . وقد قدره بعضهم بسبعين ألف .

(١٢٧) راجع تفاصيل هذه الحادثة في ( مطالع السعود ) الورقة ٨٥ . ومحظوظ مطالع السعود المخطوط لامين الحلواني الورقة ١٣ والمطبوع ص ٢٨ . و ( شهداء الفضيلة ) للشيخ عبد الحسين الاميني ص ٢٨٨ . و ( ماضي =

تستطيع حكومة بغداد أن ترد هذا الغزو الذي كان الوالي الشيخ على  
علم به<sup>(١٢٨)</sup> .

وفي سنة ١٤٢٩ هـ ١٨٠٤ م قاد سعود حملة نحو البصرة<sup>(١٢٩)</sup> . وفي  
سنة ١٤٢١ هـ ١٨٠٦ م هوجمت مدينة النجف فتصدى السكان وعلى رأسهم  
رجال الدين وهزموا المغزيرين . وتجدد هجوم آخر على النجف سنة  
١٤٢٥ هـ<sup>(١٣٠)</sup> . وتكررت الحوادث على الفرات ومدنه وقراه<sup>(١٣١)</sup> .

وفي المرحلة الثانية<sup>(١٣٢)</sup> من حكم السعوديين قام العراق بحملة  
عسكرية ضخمة اتجهت إلى الأحساء لمحاربة سعود بن فيصل وكان هذا قد  
حارب أخاه عبدالله سنة ١٤٢٨ هـ وانتصر عليه وأحتل قلاع الأحساء  
والقطيف واتجه إلى الرياض فاستجده عبدالله بحكومة بغداد وكان الوالي  
يومئذ ( مدحه ) وقد علم مدحه أن الانكليز أيدوا سعوداً لمحاربة أخيه  
حليف الدولة العثمانية فكتب إلى الباب العالي واهتم الصدر الأعظم ( على  
باشا ) بالأمر فأوعزت الحكومة بانفاذ قوة تحل محل الجيش المرابط في

---

= النجف وحاضرها ) للشيخ جعفر محبوبة ص ٢٣٤ ج ١٠ و ( تاريخ جودة )  
ص ١٦٧ ج ٧ ط ٢ و ( عنوان المجد ) لابن بشر ص ١٢١ و ١٢٢ ج ١ .  
و ( غاية المرام ) الورقة ١١٢ . و ( مباحث عراقية ) ص ٥١ ج ١ .  
و ( الشرق الإسلامي في العصر الحديث ) حسين مؤنس ص ٣٥٩ . و ( قلب  
جزيرة العرب ) ص ٣٣١ . و ( أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث )  
ص ٢٠٥ .

(١٢٨) جاء في ( تاريخ جودة ) ص ١٦٧ ج ٧ : « إن شيخ المنتفق  
حمدود التامر أخبر حكومة بغداد بهذه الحملة فوجهت قوة للدفاع ولكن  
بعد جلاء الوهابيين . وقد أرسل الوالي سليمان الكبير كتابين أحدهما إلى  
الدولة يطلب فيه التسجدة ، والثاني إلى حكومة الشاه ( فتحعل ) . وبعث  
الشاه باحتياج شديد المهمة إلى حكومة بغداد لاحتلالها الدفاع مع علمها  
بنيات الوهابيين وأعلن عن عزمه على محاربة الوهابيين واحتلال بغداد . وقد  
 وسلم الوالي هذا الإنذار وهو في آخر رقم . »

(١٢٩) عنوان المجد لابن بشر ص ١٣٠ ج ١ وفيه تهويل لما أصاب  
مدينة الزبير في هذه الحملة .

(١٣٠) ماضى النجف وحاضرها ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ج ١ .

(١٣١) عنوان المجد لابن بشر ص ١٣٥ - ١٤٠ ج ١ وفيه التفصيل .

(١٣٢) راجع الحوادث الوهابية في القسم الأول من هذا الفصل .

بغداد ليذهب هذا الى نجد<sup>(١٣٣)</sup> . وسارت أول قافلة من الفيلق السادس من بغداد في اوائل سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١ م بقيادة (نافذ) ورافق الحملة كثير من المطلعين العراقيين وعلى رأسهم ناصر السعدون وأخوه منصور والسيد محمد سعيد نقيب البصرة ، وجماعة من أهالي الكويت<sup>(١٣٤)</sup> التابعة لولاية البصرة ، وانتهت المعركة باحتلال القلاع التي استولى عليها سعود في الاحساء والقطيف ، وفر سعود مع أعونه<sup>(١٣٥)</sup> . وكوفته مدحة بسيف مرصع من قبل السلطان عبدالعزيز<sup>(١٣٦)</sup> وأعمم السلطان كذلك برتب مختلفة على رؤساء المطلعين ومنهم نقيب البصرة<sup>(١٣٧)</sup> . وسافر مدحة الى الاحساء<sup>(١٣٨)</sup> بعد أن وصله السيف ومر بالبصرة ثم بارجها الى نجد في أوائل رمضان سنة ١٢٨٨هـ وألقى كلمة على المحاربين وقدر لهم جهودهم وتحملهم مشقات السفر<sup>(١٣٩)</sup> الى بلاد بعيدة . ثم جعل من نجد لواء يتألف

(١٣٣) راجع ( مذكرات مدحة ) ص ١٧٣ و ١٧٤ .

(١٣٤) جاء في ( مذكرات مدحة ) ص ١٧٦ ما يلي : « ان عبدالله الصباح شيخ الكويت وضع تحت تصرف الجيش ثمانين سفينتين كبيرة وصغيرة وبقيت تنقل الذخائر وتخدم بدون اجرة حتى انتهت الحملة . (١٣٥) روت جريدة ( الزوراء ) في العدد ١٩٥ من السنة الثالثة بتاريخ ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٨هـ ما ياتي :

« عندما اراد سعود الفيصل الهجوم على الاحساء ومعه من الخبراء مقدار خمسة آلاف نفر هاجمهته قوة بربراسة حمدی المير لواء يساعدهم مبارك الصباح أحد قائمي الكويت فدمروا النجديين وفر سعود مجروها . »

(١٣٦) حمل هذا السيف القائمي سليمان بك أحد مرافقى السلطان ووصل بغداد في يوم الثلاثاء أول رجب سنة ١٢٨٨هـ . ( الزوراء ) العدد ١٧٩ من السنة الثالثة .

(١٣٧) الزوراء - العدد ٢٤٢ من السنة الثالثة .

(١٣٨) كان سفره من بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢٨٨هـ - ( الزوراء ) العدد ١٩٢ من السنة الثالثة .

(١٣٩) راجع نص الكلمة في العدد ٢٠٨ من الزوراء السنة الثالثة وقد جاء فيها ما يلي :

« ... وهذا السيف السلطاني الذي أنا حامله هو نيشان الافتخار لخدماتكم المدوحة ، والحق أن شرفه ومفترته عائدة للفرقه العسكرية بل وراجعة لهيئة الوردي الهمایونى . »

من ( قطر )<sup>(١٤٠)</sup> و ( المبرز ) و ( الهاوف ) . وكل من هذه القواعد ( قائمقام ) واستبدت متصرفية اللواء عامة الى ( نافذ ) بابا قائد الفيلق اضافة الى وظيفته العسكرية<sup>(١٤١)</sup> . وأمر مدحه بأن تظهر العيون المدثرة وأن تزرع البساتين وكانت هذه العيون قد دمرها الوهابيون<sup>(١٤٢)</sup> .

واتخذت الهاوف - وهي أكبر المدن - قاعدة للفرق العسكرية<sup>(١٤٣)</sup> وبعد هذه الاعمال الخربية والادارية عاد مدحه الى العراق<sup>(١٤٤)</sup> ليستقبل المهنيين بالظرف والنصر .

ومما مر من الحوادث الوهابية وأعمالها في مختلف المراحل يتضح أنها تطورت من دعوة دينية ترمي الى نبذ الترف والبذخ وترك الاعمال التي لا توجه لغير الله . تطورت من كل ذلك الى حركة سياسية ت يريد بناء مملكة وانشاء دولة ولكنها تعترت في كل خطواتها خلال القرن التاسع عشر لأنها كانت ذات مسلك ضيق في الدين وشدة لا ين فيها ولا مران ، ولأنها كانت في السياسة غير موقعة مع العرب والدولة فقد كانت أعمالها المثيرة تحمل بين طياتها ما يبعث على الكره والحدق ، حاربت العرب في الحجاز ، وفي البحرين وفي الاحساء وفي العراق وفي الشام أيضا . وجمعت مع الحروب رمي المسلمين بالشرك فاستحلت دماءهم وأموالهم وتناولت معتقداتهم باللهم والطعن فثاروا عليها متألين وحاربوها في كل مكان حتى امتلأت الصحراء وما جاورها دماء وأشلاء نتيجة لذلك الضيق الذي رافق الدعوة وللاغلاق

(١٤٠) عين شيخ قطر - واسمها قاسم بن ثانى - قائمقااما لها .

(١٤١) الزوراء - العدد ٢٠٩ من السنة الثالثة .

(١٤٢) منها ( عين نجم ) وكانت حارة النبع شتبه ، وكان الناس يستشفون بما فيها ولشعراء الاحسان قصائد في وصف هذا العين وما حولها من المزارع . راجع ( تاريخ نجد ) للالوسي ص ٣٥ - ٣٢ .

(١٤٣) الزوراء - العدد ٢١٠ س ٣ .

(١٤٤) كانت عودته عن طريق البصرة ، وقد وصل بغداد في ١٦ شوال سنة ١٢٨٨هـ . راجع ( الزوراء ) - العدد ٢٠٨ س ٣ .

التي رافقت السياسة<sup>(١٤٥)</sup> ولقد كان من الممكن أن تكون هذه الدعوة موقفة في اصلاح النفوس وتهذيبها والعمل على الحد من الفوارق الطبقية بين المسلمين ولاسيما اذا عرفنا أن هذه الدعوة أقرب ما تكون الى طبيعة البدو الذين لم يعرفوا تراث المدن وأخلاق المجتمعات المتحضرة ، غير أن الشدة المفاجئة كانت صدمة عنيفة قوبل بها المسلمون في مختلف أقطارهم عندما أعلن مروقهم عن الدين \*

ولقد كان علماء القصيم أنفسهم يلقون تبعه ما وقع في نجد من تحرير وتدمير على أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأن هذه الأسرة كانت تسيطر على السياسة وتعمل على آل سعود الشدة والعداء العام للناس<sup>(١٤٦)</sup> \*

#### الحوادث الداخلية :

سجل القرن التاسع عشر كثيرا من الثورات والحوادث القبلية في الشمال والوسط والجنوب ولم تكن المدن بأهداً حالاً من القبائل ، وكان من البديهي أن تؤدي سياسة الظلم والتفكك وغطرسة الولاة والحكام الاجانب إلى وقوع حوادث كثيرة في المدن والقرى والبوادي فقد بقيت الثورات مستمرة لم يخل منها عام ولم يسلم منها موضع وكانت هذه الثورات تقابل بالشدة والسلاح ويستخدم لها - إلى جانب الجيش - كثير من القبائل نفسها فلا تكاد تحدث نورة في مكان من العراق الا انتدب لها بعض الزعماء والشيوخ من العرب والاكراد حتى صار العربي يضرب الكردي والكردي يضرب العربي بل صار العربي يضرب أخاه العربي بدون رحمة ولا شفقة \*

وما كان كثير من هذه الحوادث والثورات ناشئاً من طبيعة المجتمع - وإن كان للسياسة أثر كبير فيه - فإن الاستقصاء والشمول ليس مما يسهل لدى الباحث بل ليس إلا من طبيعة التاريخ وحده ولكن هذا لا يعفي من

---

(١٤٥) راجع ( جزيرة العرب في القرن العشرين ) ص ٢٤٦ و ٢٤٩ . ٢٥٢ \*

(١٤٦) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

ذكر الحوادث التي شغلت الولاة وهزت البقاع التي حدثت فيها وكان لها  
 أثر في الشعر العراقي لذلك أرى لزاماً أن أشير هنا إلى أهم تلك الحوادث .  
 ففي سنة ١٢٣٦هـ ١٨٢١م أيام الوالي داود كانت الحياة غير مستقرة  
 في المناطق الكردية بسبب تنافس الامراء على الحكم وكانت بغداد مضطربة  
 بسبب الجمعيات السرية التي كانت تناویء الحكومة<sup>(١٤٧)</sup> ، وقد أدى تنافس  
 الباباين على الحكم إلى التجاء عبدالله بابان إلى حكومة ايران طمعاً بالمساعدة  
 العسكرية بينما كانت بغداد تؤيد حليفها ( محمود بابان ) وقد اضطرت إلى  
 بغداد أبناء ذلك أن يبعث جيشاً لمحاربة عبدالله بابان المتمرد وكان هذا  
 الجيش بقيادة محمد آغا ( الكتخدا ) فذهب هذا الجيش بينما كان عبدالله  
 بابان يزحف بجيشه المعزز بخمسة آلاف ايراني نحو ( شهر زور ) وقد  
 اتهى هذا الصدام بهزيمة جيش بغداد ومحظوظ الباباين وانتصار عبدالله  
 أما الكتخدا فقد التحق بشاه ايران حذرا من بطش داود<sup>(١٤٨)</sup> . وفي سنة  
 ١٢٤٠هـ ١٨٢٥م عاد هذا الكتخدا الهارب ولاذ بمدينة الحلة وادعى  
 الوزارة لنفسه وأيدته بعض السكان كما أيدته بعض القبائل فاندفع داود إلى  
 مهاجمة الحلة حتى هرب الكتخدا ثم عاد إلى الحلة سنة ١٢٤١هـ وحرض  
 أهلها على الثورة وكان معه جماعة من الرعماء منهم قاسم الشاوي وثارت  
 الحلة واحتار أهلها واحداً منهم ليكون حاكماً<sup>(١٤٩)</sup> فوجه داود جيشاً بقيادة  
 سليمان ( المير آخر )<sup>(١٥٠)</sup> ومعه عشرة عقيل فاستولى على الحلة وهرب  
 معظم سكانها مذعورين<sup>(١٥١)</sup> إلى بعض القبائل المجاورة - وهي قبيلة قشم -

- (١٤٧) تاريخ السليمانية - محمد أمين زكي - ص ١٤٢ من الترجمة  
 العربية لملأ جميل . وص ١٤١ من الاصل الكردي .  
 (١٤٨) راجع مطالع السعود - الورقة ١٢٦ - ١٣٠ .  
 (١٤٩) هو صالح آغا أخو شوكة وقد فر أيضاً مع المعارضين . راجع  
 (الروض الازهر) ص ١١ .  
 (١٥٠) ( المير آخر ) : كلمة مركبة من الكلمة العربية ( أمير )  
 ومن الفارسية ( آخر ) بمعنى الاسطبل .  
 (١٥١) راجع ( مطالع السعود ) الورقة ١٥٤ ومجموعة الشيخ محمد  
 رضا الشبيبي المخطوطة . و ( مختصر تاريخ الحلة ) للشيخ يوسف كركوش  
 ص ٧٠ و ٧١ .

فاستقبلوا بمثل ما فروا منه<sup>(١٥٢)</sup> ، وقد فر أيضا زعماء الثائرين واجتمعوا في ( عفك ) بين الديوانية والحلة وألبوا العشائر هناك على النورة ، وفي سنة ١٢٤٢هـ كان جيش الوالي داود بقيادة سليمان يحاصر الثائرين وقد ساعده على محاربة هذه القبائل أمثالهم من قبائل زيد وعقيل والمتفق وقوة من الأكراد اللاووند<sup>(١٥٣)</sup> وأسفرت المعركة عن انتصار جيش الوالي ومن معه وهزيمة الثائرين وفي مقدمتهم المحرضون وارسلت رؤوس القتلى إلى بغداد فأمر الوالي داود بناء منارات منها<sup>(١٥٤)</sup> . وقد حدث أثناء ذلك أن ثارت مدينة كربلاء بعد معركة الحلة السابقة وقبل معركة عفك وكان أهل كربلاء قد انقسموا إلى شطرين شطر مع داود وشطر عليه ونشبت المعركة بين الفريقين ثم اصطلحا وطرد الزعماء المالئون لداود فلما هؤلاء إلى متبعهم يستجدونه ، ووجد داود الفرصة مناسبة لاحتلال مدينة كربلاء فوجه إليها جيشه وأغاروا في شوال سنة ١٢٤١هـ وكان أكثر جنده من عرب العراق وعلى الاخص شمر وعقيل وكان القائد سليمان ( الميرأخور ) وحصورت المدينة وقطع عنها الماء وأطلقوا عليها الدفاع غير أنها ثبتت في وجه الجيش ولما شعر القائد بخيبة الامل استتجد بالعشائر المجاورة فلم يفلح وفر أصحابه فاضطر الوالي داود إلى تجهيز حملة أخرى مؤلفة من عقيل القصيم والحساء ، وقطع الماء عن السكان مرة أخرى ولكن مصايرة هؤلاء واستمراهم على الدفاع أدى إلى فك الحصار وتخلية المدينة من قبل الجيش المحارب فاكتفى الوالي داود بأن أمر عرب الشامية بالسيطرة على طريق كربلاء وقطع الصادر والوارد حتى اشتدت الحالة بالسكان وآثروا المقاومة بالصلح<sup>(١٥٥)</sup> .

(١٥٢) مجموعة الشبيبي ومحضر تاريخ الحلة ص ٧١ .

(١٥٣) ( ديوان مزيد السرور ومزيد الحزون ) وهو مخطوط ركيك

الامسيوب غير مرقم لعبد النبي البغدادي .

(١٥٤) المصدر السابق و ( مطالع السعود ) الورقة ١٥٧ .

(١٥٥) جريدة ( دار السلام ) العدد ٩ و ١١ من المجلد الاول سنة

١٩١٨م وتشير إلى أن أهل كربلاء صنعوا مدعا .

وفي أيام الوالي على رضا وقعت حوادث غير يسيرة في الشمال والجنوب وقد قابل هذه الحوادث بحملات عسكرية متعددة ، منها حملة وجهها إلى الأكراد لمساعدة جيش الدولة الزاحف للقضاء على إمارة راوندوز<sup>(١٥٦)</sup> وقد ثُلث السهم جيش من الموصل<sup>(١٥٧)</sup> ، وفي سنة ١٢٥٢ هـ ١٨٣٦ م كانت هذه الجيوش الثلاثة تطبق على الإمارة الصغيرة وتطارد أميرها الكردي (محمد باشا) الذي انتهى أمره بالاعدام في سواس<sup>(١٥٨)</sup> .

وفي أول شعبان سنة ١٢٥٣ هـ ١٨٣٧ م زحف الوالي على رضا بجيش ضخم إلى الجنوب لاخضاع قبائل (المحمرة)<sup>(١٥٩)</sup> في الضفة الشرقية من نهر العرب وكان ادعاء كل من إيران والدولة العثمانية بسلكية هذه المقاطعات سبباً في النزاع المستمر ، ولهذا الادعاء صمم الوالي على رضا أن يلحقها بالدولة العثمانية مباشرة وكان الجيش الذي قاده مكوناً من جنود الدولة (الارتاؤد) ومن قبائل العراق ومنهم زيد وعقيل وطيء والمتفق وغيرهم ، وقد انتهى هذا الزحف باحتلال المحمرة وطرد زعيماً لها الشيخ جابر بعد معارك عنيفة مخربة .

وبعد عودة على رضا من المحمرة كانت قبائل خزانة الفزارية أطناها على الفرات الأوسط تحرك أصابعها في وجه الوالي الذي أباطل الرعامة على الفرات الأوسط بالشيخ (وادي الشفلح) زعيم زيد سنة ١٢٥٢ هـ ١٨٣٦<sup>(١٦٠)</sup> ولم يكن هذا العمل الذي تدعمه قوة الوالي مما يرضي به

(١٥٦) كان جيش الدولة بقيادة الصدر الأعظم رشيد محمد . راجع (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان) لمحمد أمين ذكي ص ٢٤٦ و ٢٤٧ . ترجمة محمد على عوني .

(١٥٧) كان قائد جيش الموصل الوالي محمد باشا (أينجه بيرقدار) وهو ثانى وال تركى بعد الجليلين . راجع : (تاريخ الموصل) ص ٣١١ - ٣١٤ ج ١ .

(١٥٨) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - ص ٢٤٧ .

(١٥٩) هذه القبائل عربية وأشهرها : كعب المحسين وتميم وغيرهم .

(١٦٠) تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً للحجاج ودای العطیه ص ٣٩ .

(ذرب آل مغامس الشلال) شيخ خزاعة ، وفي ذى الحجة من سنة ١٢٥٣هـ  
كانت خزاعة مبعثرة بسلاح الوالى ، وزعيمها ذرب قد انهزم مع أعوانه  
وفى أوائل ولاية محمد نجيب (١٢٥٨هـ ١٨٤٢م) هبت زوبعة متمردة  
في بغداد سببها تعصبه التركى وغضره وتكليف السكان بما لا  
يطيقون<sup>(١٦١)</sup> من الضرائب ومساندته حكامه وحاشيته من المرتدين ولكنه  
تغلب على هذه الزوبعة ونفى رؤوس التائرين<sup>(١٦٢)</sup> .

وحدثت في السنة الأولى من حكمه ثورة في كربلاء فوجه إليها حملة  
أراد بها القضاء على نفوذ الزعماء الذين كانت صلتهم ضعيفة بولاية بغداد<sup>(١٦٣)</sup>  
وكانت حملته هذه بموافقة الباب العالى لقدسية المدينة وفي عيد الأضحى من  
سنة ١٢٥٨هـ كانت مدفعه تضرب كربلاء فقتل من أصابته النار ونجا من لاذ  
بالهرب إلى الارياف والقرى المجاورة ، وقد اهتز سكان الفرات لهذه  
الحادثة<sup>(١٦٤)</sup> التي عدت من سمات هذا الوالى<sup>(١٦٥)</sup> ولم يكن معنٍ الاستياء  
ناشئًا إلا من كون هذه المدينة تضم قبر الإمام الحسين<sup>(١٦٦)</sup> ولو جردت من  
هذه القدسية لكان من المحتمل أن يكون للوالى عذر في محاربة جماعة من  
المتمردين (القتيان) الذين تسبيوا في أصابة المدينة وبعض سكانها الابرياء .  
وفي الشمال كانت لمحمد نجيب حملة قاسية وجهها لاخضاع الأكراد  
المتمردين في السليمانية وكان ذلك سنة ١٢٦١هـ ١٨٤٥م وقد أسررت هذه  
الحملة عن هزيمة الرعيم الكردى أحمد يابان إلى الحكومة الإبرانية ، ومن

(١٦١) الروض الازهر للسيد مصطفى الوعظى ص ٨٥ .

(١٦٢) وفي هذه الحادثة عزل أبو الثناء اللوسى من منصب الافتاء .

(١٦٣) الزوراء . العدد ٥٦٤ من السنة السابعة ١٤ شعبان

١٢٩٢هـ .

(١٦٤) تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً ص ٤١ .

(١٦٥) جريدة (العرب) البغدادية العدد ١٢ من السنة الأولى .

(١٦٦) تقول جريدة (الزوراء) في العدد ٥٦٤ من السنة السابعة عن محمد نجيب : انه « . . . فتح كربلاء المعلقة بضرب السيف ، ولعمري لقد علّها من كؤوس الحرب عليه شفى بها لها علة » !! وفي مجموعة الشيخ محمد رضا الشيبانى شىء من التفصيل لهذه الحادثة التي قدر عدد القتلى فيها باثنتين وعشرين ألفاً ما بين رجل وامرأة وطفل .

الغريب أن هذا الزعيم كان قبل ذلك يهد العدة لرد جيش ايراني بريد الرمح على السليمانية !! وقد احتجت الحكومة الإيرانية لدى الباب العالى على تصرف هذا الزعيم فأدى ذلك الى محاربته من قبل الوالى محمد نجيب وطرده الى ايران التي أراد محاربتها<sup>(١٦٧)</sup> .

ولكن أعمال محمد نجيب التي تبدو في أكثر صورها قاسية شديدة كان الجائب التركى يراها أعمالاً موقفة لأن ولاية محمد نجيب كانت فى نظر الاتراك فتحا جديداً للعراق اذاً أعاد للدولة ما كان بيد القبائل من المقطاعات الزراعية وبخاصة ما كان فى وسط العراق وجنبه ، ويعتقد الاتراك أن هذه القبائل اغتصبت هذه الارضين من الدولة<sup>(١٦٨)</sup> .

وحدثت بعد ذهاب محمد نجيب ثورات أخرى وعلى الاخص حين كانت الدولة مشغولة بحرب القرم مع روسيا سنة ١٨٥٤-١٨٥٥ فقد كان اشغالها هذا سباً في ثورات داخلية في العراق ، وبعد انتهاء حرب القرم صممت على قمع هذه الثورات والقضاء على ثفوذ الزعماء فاتسدت لذلك قائدتها في حرب القرم (عمر باشا) المعروف بشدته وكان هذا القائد نمساوي الأصل<sup>(١٦٩)</sup> ورافقه إلى العراق زميله في حرب القرم (سبلي) العريان الدرزي<sup>(١٧٠)</sup> ووصل هذان إلى بغداد سنة ١٢٧٤هـ ١٨٥٧م فاملاً العراق بالجيوش ، وانتشر الرعب بين السكان ، وفي شوال من السنة نفسها أخذ

(١٦٧) راجع التفاصيل في ( تاريخ السليمانية ) ص ١٥٩ - ١٦٠ من الترجمة العربية و ص ١٥٩ - ١٦٠ من الاصل الكردي .

(١٦٨) راجع (الزوراء) العدد - ٥٦١ السنة السابعة .

(١٦٩) كان اسمه ( ميخائيل ) وقد ولد في ( بلاسكي ) على حدود بوسنة وأبوه ضابط في الجيش النمساوي فسلك مسلك أبيه ثم ترك وطنه وهو في الثامنة والعشرين والتحق بالدولة العثمانية وأسلم وسمى نفسه ( عمر ) وأشرف على تعليم ( عبدالمجيد ) قبل توليه السلطنة ، وشارك في حرب الدولة ضد ابراهيم باشا في سوريا سنة ١٨٣٩م وحارب في الجبل الاسود سنة ١٨٥٣م وشارك في حرب القرم ومنها جاء إلى بغداد . راجع ( ترجم مشاهير الشرق ) لمرجي زيدان ص ١٤٩ - ١٥٠ ج ١ ط ٢ .

(١٧٠) كان متصرفاً للحللة وتوفى سنة ١٢٩٢هـ ١٨٧٥م . راجع -

( الزوراء ) العدد ٥٦١ من السنة السابعة .

الوالى (عمر) يجند الشبان الالاتقين تعليقا لنظام الجنديه الجبرية . و اشتد خففته على التجف و كربلاء فهدم و سجن وأخذ السلاح<sup>(١٧١)</sup> و أزره شيه بالشدة والصرامة (خلف آغا) حاكم الحلة فقد كان هذا يعاقب المتهمن بفرض التجنيد عليهم<sup>(١٧٢)</sup> وكان العراقيون يكرهون التجنيد و يهربون منه لأن الجندي العراقي كان يرمى به في أماكن بعيدة ومن النادر أن يعود إلى بلاده ، وكانت سيرة الولاة وكثرة الغروب وعدم العناية بالجندي من أهم العوامل في تنفير العراقيين من الجنديه<sup>(١٧٣)</sup> ولهذا قامت الثورة في العراق ضد هذا الوالى ، وكان الغلستان قد اشتد في الفرات و وقعت معارك عدّة بين السكان وبين القائد شبل ، ولم يسترح العراق الا بعد عزل الوالى عمر في ربيع الثاني سنة ١٨٥٩ هـ ١٢٧٦ و كان يوم تركه العراق عدداً للسكان<sup>(١٧٤)</sup> وليس لاخفاوه في الحكم من سبب سوى صرامته لمصلحة الدولة ولكن على الطراز القديم<sup>(١٧٥)</sup> إلى جانب ما عرف به من شدة البطش و صعوبة المراس<sup>(١٧٦)</sup> .

أما الثورات في أيام محمد نامق<sup>(١٧٧)</sup> فإنها ليست إلا كعاصفة هبت مرّة واحدة ومدت أطراها في كل مكان ولا سيما الفرات الأوسط و ديار المنافق وكان سيها صرامة هذا الوالى و تعصبه التركى و كونه رجلاً عسكرياً خالياً من المرونة . ولم تسلم الفترة التي قضتها (مدحه) في العراق من قيام ثورة في الفرات الأوسط وقد قضى عليها بشدة ، وشنق بعض الرؤساء و كان سيها العجرفة التركية التي أبداهها متصرف الحلة<sup>(١٧٨)</sup> فقتله النّاؤون من

(١٧١) تاريخ الديوانية قديماً و حديثاً - ص ٤٥ .

(١٧٢) مختصر تاريخ الحلة ص ٧٣ .

(١٧٣) كان الريفيون الاتراك أنفسهم يهربون من الجنديه .

(١٧٤) تاريخ الديوانية قديماً و حديثاً ص ٤٥ .

(١٧٥) أربعة قرون ٠٠ ص ٢٧٠ .

(١٧٦) مشاهير الشرق - ص ١٥٠ ج ١ .

(١٧٧) راجع الهمشرين ٢٥ و ٢٧ من هذا الفصل والصفحة التي تتصل بهما .

(١٧٨) اسمه توفيق وهو ابن اخت الوالى مدحه وكان قتله في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م .

العشائر لانه اعتدى على أحد الرؤساء بأن لطمته على عينه ٠

لم تكن هذه الصور التي عرضتها من الثورات الا بعض التماذج مما حدث في العراق طيلة القرن التاسع عشر ، وسواء أكانت هذه الثورات لحق<sup>(١٧٩)</sup> أو لنغير حق فانها دليل تفسخ الحكم العثماني وعدم انسجامه مع المحكومين ودليل اشمتاز العراقيين أو معظم العراقيين من حكام لا يحسنون السياسة ولا يتسمون الى العراق بصلة ، وقد خفت وطأة الثورات في اواخر القرن التاسع عشر الى حد ملموس بسبب تحرير بعض الزعماء ومنهم مقاطعات كثيرة واستعداد الدولة بالقوى الكافية وتزويد هذه القوى بالسلاح والزوارق البحارية وانتشار أسلاك البرق التي سهلت اتصال المدن بغداد وبغداد بالاستانة ٠

#### العراق والتىارات الحديثة :

قبل أن أبين مدى صلة العراق بهذه التيارات الجديدة أود أن أذكر بايجاز موقف الدولة العثمانية منها ومدى صلة البلدان العربية الأخرى بها ٠ لم تكن التيارات الفكرية الحديثة التي ظهرت في اوروبا عند بداية القرن التاسع عشر ذات اثر بارز في المظاهر العام لكيان الدولة العثمانية فقد كانت الجامعة الاسلامية تسيطر على الرأي العام الى جانب الجامعة العثمانية التي يشترك فيها المسلم وغيره بل تشتراك فيها الاجناس والعناصر التابعة للسلطان العثماني ، وعلى الرغم من ظهور الطباعة والصحافة في الاستانة<sup>(١٨٠)</sup> واحتкал بعض أدباء الاتراك بالأدب الاوروبي والفلسفات

(١٧٩) جاء في مذكرات مدحه ص ١٦٣ و ١٦٤ تعلييل مقبول لمعظم هذه الثورات ولاسيما تلك التي تحدث في المناطق الشيعية فهو لا يعزوها الى اختلاف المذهب كما يرى أنصار السلطان ولا الى تحريض رؤساء القبائل على محاربة الحكومة للتخلص من الاموال الاميرية وانما يعزوها الى مشكلة الاراضى التي سببت انتشار الفقر بين الفلاحين وعدم استقرارهم ٠

(١٨٠) انشئت الطباعة في تركيا عام ١٧٢٧م وقد سبقتها في القرن الخامس عشر انشاء مطبعة يهودية تطبع بحروف عبرية لمنفعة اليهود ٠ راجع (لغة العرب) ج ٥ س ٢ ٠ اما الصحافة فقد انشئت في تركيا عام ١٨٣١م وأول صحيفة (تقويم وقائع) ٠

الحداثة والثقافات المختلفة ولاسيما الثقافة الفرنسية - على الرغم من كل ذلك - كان تيار الرجعية أقوى نباتاً في ميدان الشعور العثماني من أية فكرة جديدة<sup>(١٨١)</sup> حتى في مرحلة التطور التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر وظهور بوادر الفكر الطوراني بين الاتراك<sup>(١٨٢)</sup> فقد كان كل شيء يسير وفق ارادة السلطان عبد الحميد الذي تمسك بالجامعة الإسلامية أشد التمسك وقد أدى وقوف الرجعية التركية موقف المناوىء لكل حركة أو فكرة أن ت تعرض الدولة العثمانية لصراع مستمر مع الشعوب الخاضعة لها منذر كها الفكر الحداثة وتسرّب فيها الشعور بالانفصال والاستقلال على أساس الجنس والوطن كما حدث لها مع شعوب البلقان .

أما البلدان العربية فإنها أخذت تتميل من رقتها في القرن التاسع عشر وتتعلم إلى أشعة الشمس من خلال الكوى الضيقة ، وكانت مصر سوريا ولبنان من أسبق الشعوب العربية إلى هذا التعلم بل كانت مصر أول بلاد عربية أقامت بينها وبين الغرب جسراً من البعث المتعاقبة وساعدت على تكوين النهضة الشرقية العربية<sup>(١٨٣)</sup> ، غير أن اليقظة العربية بمفهومها الحديث ظهرت بوادرها في سوريا ولبنان وذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد استغل المبشرون من الأميركيان والفرنسيين شعور المسيحيين في لبنان فدفعوهم إلى المطالبة بالاستقلال والتحرر من الدولة العثمانية وأسسوا المعاهد الكثيرة التي فتحت أبوابها للمسلمين أيضاً وشجعوا دراسة اللغة العربية<sup>(١٨٤)</sup> وعنوا باحياء التراث العربي ليتمكنوا من التبشير في حين

(١٨١) كان بعض رجال الدولة أيام سليم الثالث على علم بفلسفة جان جاك روسو وغيره ولكن هؤلاء كانوا يعدون الفلاسفة من الزنادقة .  
راجع مجلة (الطليعة) ج ٧ س ٥ من مقال للدكتور كامل عياد .

(١٨٢) القومية التركية جاءت متاخرة عن القومية العربية . راجع : (العرب تاريخ موجز ) لفيليبي حتى ص ٢٥٤ .

(١٨٣) راجع ( نشوء الفكر القومي ) لساطع الحصري ص ١٥٣ ط ٢ و (النهضة العربية في العصر الحاضر ) لشكييب ارسلان ص ٨ .

(١٨٤) كان استخدامها للتبرير . راجع ( العقد ) ديوان ابراهيم اليازجي ص ١١ .

كانت الطبقة الحاكمة في مصر عند بداية النهضة تعنى بالادب التركي أكثر مما تعنى بالادب العربي<sup>(١٨٥)</sup> ان لم نقل أنها لم تلتفت إليه أدنى التفاتة<sup>(١٨٦)</sup> .

أما العراق فقد بقي طيلة القرن التاسع عشر بعيداً عن التيارات العربية الحديثة على الرغم من اتصال بعض أدبائها بأدباء سوريا ولبنان ولم يكن يعرف عن العالم الخارجي شيئاً عدا ما كان يعرفه بعض السكان عن السياح الأجانب والمقيمين الممثليين للدول الأجنبية في بغداد والبصرة والموصل لذلك كان تأثير العراق بالغرب أقل من تأثير البلدان العربية<sup>(١٨٧)</sup> التي أشرنا إليها مع أن الطباعة قد شقت طريقها إليه في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم أعقبها ظهور الصحافة ممثلة في جريدة (الزوراء) وغيرها، ولكن الطباعة لم تفده في نشر كتاب جديد الاتجاه ولا الصحافة كانت ذات توجيه مؤثر، وكان إلى جانب ذلك أسباب أخرى تتصل بالسياسة والمجتمع أما السياسة فإنها عمدت إلى استخدام الزعماء وشيوخ العشائر بمنحهم المقاطعات الكثيرة ليكونوا عوناً لها، وفي أيام الوالي (مدة) كان ناصر السعدون وأخوه منصور من السلاح الطبيع بيد الحكومة لتنفيذ الروح العثمانية وكذلك كان فرجان بن صفوق شيخ شمر الذي أصبح كناصر السعدون خاضعاً للإقطاع بتوطنه في الأراضي الزراعية وتتفقيف أبنائه تقافة تركية ومثل هذا الاستيطان ما حدث للقبائل الأخرى حتى أخذت الميزان القديمة تضيع بسرعة بين هذه القبائل وحتى تغلغل النفوذ التركي أكثر من ذي قبل وساعد على تقوية هذا النفوذ الوسائل الحديثة التي سهلت سرعة الاتصال وأعمال السقى التي تشرف عليها الحكومة<sup>(١٨٨)</sup> .

وقد مال السلطان عبد الحميد إلى الاركان واستخدمهم في أعمال

(١٨٥) ( تاريخ الشعوب الإسلامية ) ص ٩٩ ج ٤ .

(١٨٦) ( في الادب الحديث ) لعمر الدسوقي ص ٣٧ ج ١ .

(١٨٧) ( الزهاوى الشاعر ) لاسماعيل أحمد أدهم ص ١٦ .

(١٨٨) راجع : ( أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ) ص ٢٩٤ - ٢٩٧ .

الجندية واستعان بهم في دعم أغراضه السياسية في بعض جهات العراق ، وفي أواخر القرن التاسع عشر تحولت تلك الثورات العامة إلى شبه اتفاقيات محلية يقوم بها بعض المتمردين ولكنها سرعان ما تطفىء ، وكانت سياسة التعليم من أقوى الأسباب في منع احتكاك العراق بالاتجاهات الفكرية الحديثة فقد كانت المدارس على قلتها وضعف التدريس فيها وكونه باللغة التركية وحدها لم تنشأ إلا لدعم الروح العثمانية وتخرج موظفين صغار .

وأما المجتمع فقد كان القسم السكان إلى عناصر وطوائف من أهم الأسباب في تعويق الوعي الوطني فأن هؤلاء لم يوحدهم هدف ولم يجمعهم شعور واحد ولم تمزج بينهم الحوادث والخطوب فتُولف منهم أمّة واحدة تسعى إلى حريتها واستقلالها فقد كان للأكراد طريق وللعرب طريق ، وكان السنة في جانب والشيعة في جانب آخر وكذلك بقية الطوائف الدينية الأخرى ، وكان الموسرون من طبقات المجتمع بين مالك أرض لا ينظر إلا من يخفف عنه الضرائب وشيخ لا يريد سوى البقاء على مقاطعاته وارضاء الحكم ، وتاجر لا يتجاوز شعوره حدود استباب الأمان واستقرار الأحوال وهكذا انتهى القرن التاسع عشر والعراق قفر بباب وسكنه جهلة أميون الا القليل من رجال الدين ومقربي الدولة وقد نسي معظمهم لذة الحرية ويشوا من أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم وقد ساعد على هذا اليأس بل على الظلم بجميع ألوانه ما كان يفعله بعض العراقيين أنفسهم من تحرير ضلالة وتسديد خطأهم في محاربة السكان وتهوين كل ذنب يرتكبه الوالي أو القائد أو أي حاكم .

ولكن هذا كله لا يعني أن الحسن العربي كان مفقوداً أو أن الشعور بالظلم كان غير موجود وإنما كان ذلك ضعيفاً بالنسبة للمفاهيم الحديثة التي شاعت في أوروبا وتسربت في بعض الشعوب الأخرى .

## الفصل الثاني

# الحالة الاجتماعية

صعوبة التصوير :

ان دراسة الحالة الاجتماعية في العراق خلال القرن التاسع عشر ليست أمرا سهلا ميسورا للباحث الحديث لأن المؤرخين الذين تناولوا دراسة العراق في تلك الفترة لم يرسموا صورة واضحة للناحية الاجتماعية من كل جوانبها ولعل انصافهم الى الناحية السياسية - على ما فيها من نقص - وتقليلهم المؤرخين القدماء قد جعلهم يهملون تصوير المجتمع ورسم خصائصه وظاهراته كما يجب ، وما كتبه مؤرخو العراق لم يتجاوز الحوادث السياسية العامة والحرروب والثورات وعلاقة القبائل والمدن بالدولة عامة والولاية والموظفين خاصة ، أو أعمال الدولة والولاية في تدبير الحكم وقمع الثورات والمخوض في المعارك والحرروب ، وهؤلاء المؤرخون - ان صح أن أسميهم مؤرخين - على اختلاف بيئتهم ومداركهم المحدودة لم يتوجهوا فيما كتبوا من التاريخ الا الى مجازاة الدولة والولاية وتسجيل الحوادث في ظل القوة الحاكمة الا القليل منهم ، فاذا لمسنا شيئا من صور المجتمع وحياة السكان في كتاب او مجموعة فانا نجد ذلك قد جاء عرضا ولم يقصد اليه لذاته بل لحاجة سياسية اقتضت الاشارة اليه ، ولعل قليلا من المؤرخين

والرحلة الاجانب تناول بعض مظاهر المجتمع العراقي ولكن الاعتماد على  
الرحلة والسياح والمؤرخين الاجانب لا يغنى النساء الكافى فى دراسة  
الاحوال الاجتماعية فى العراق لان هؤلاء لم يكونوا جمیعا قد تغللوا فيه  
ودرسوا مظاهره دراسة عميقة او اطعلموا على تقاليده وعاداته اطلاقا دقيقا ،  
ومهما يكن من شئ ، فان ما كتبه مؤرخو العراق والرحلة وغيرهم من  
الاجانب ليس الا مفتاحا لتبع الاقفال التي تعرض طريق الباحث الحديث ،  
وان اتباع نظرية القياس - هنا - قد تذلل صعوبة البحث لان المجتمع العراقي  
كان في قراءه وأريافه وبوايده مجتمعا بدائيا او قريبا من المجتمعات البدائية  
التي يسير فيها التطور ببطء شديد ولاسيما في عصر كانت سياسة الحكم فيه  
سياسة هدم وتخريب لا سياسة بناء وتطور فما كان مألوفا في العراق قبل  
القرن التاسع عشر كان هو نفسه خلال هذا القرن ولاسيما في القرى  
والارياف والبوايدين .

#### نظرة موجزة :

لا أريد في هذا الفصل أن أتناول كل نواحي الحياة الاجتماعية  
وخصائص المجتمع العراقي ومميزاته وإنما أكتفى من كل هذا بما يتصل  
اتصالا مباشرا أو غير مباشر بالشعر وبما يمكن أن يسمى مؤثرا أو عاملأ من  
عوامله وسأتجنب التفصيل فيما دأب عليه مصورو الحالة الاجتماعية في أية  
يبيه من تناول الجزيئات الى جانب المظاهر العامة فان تناول الجزيئات شئ غير  
سهل الى جانب كونه قد يعد غير ذى جدوى في هذه الدراسة كوصف المدن  
والقرى والارياف والمساكن والازيه والمرأة والتقاليد والعادات واحتلافها  
باختلاف السكان وبيتهم وكوصف الخرافات والاوهمات التي كانت شائعة  
حتى في المدن<sup>(١)</sup> ، وحسبنا من هذا كله أن نعرف باختصار أن المساكن في  
العراق كانت لا تعدو الطين والقصب وسعف النخل وشعر الحيوانات في

(١) راجع عن بعض الخرافات في بغداد مجلة (لغة العرب) البغدادية  
ج ٨ من السنة الثالثة وج ١ من السنة الرابعة .

القرى والبواقي والارياف ، وخلطها من بعض هذا ومن الاجر والصخر في المدن ، وليس في العراق من بناء يستحق الذكر بعد التخريب وكوارث الفيضان التي تابعت عليه غير آثار قديمة كتب لها البقاء وغير مساجد وأضرحة شيدت على قبور آل البيت في المدن المقدسة ولعل القليل جداً من بيوت الأغنياء وموظفي الدولة كان يمكن أن يوصف بأنه شيء لا يأس به في مظاهر الزخرفة والهندسة الشرقية ولا سيما في بغداد<sup>(٢)</sup> . أما الأزياء والملابس فقد كان العراق منها أشبه ما يكون بمتحف كبير يضم مختلف النماذج والصور ولعل في بقاء الكثير من تلك الأزياء حتى الآن ما يغنى عن وصفها في القرن التاسع عشر<sup>(٣)</sup> . وأما المرأة فهي في المدن جلستة بينما خرجت فهي محجبة ، وقليل من السنات والمجائز من يخرجن للبيع والشراء في الأسواق ، ولكنها في الريف والبادية تسهم مع الرجل في معظم أعماله في الزراعة والرعي وصنع ما يحتاج إليه البيت ولها شأن في المعارك والحروب إن لم يكن في حمل السلاح ففي الإنارة والاسترخاخ والتشجيع في حين أنها لا تلقى من الرجل ما يدل على احترامها وتقديرها غير أن المرأة الكردية كانت تعامل من الرجل معاملة حسنة ولكن الكردية الاقروية كانت معرضة لتعسف الامراء والزعماء<sup>(٤)</sup> .

هذه هي بعض الجزئيات التي لم أرّي بأساساً في الاشارة إليها تاركاً التفصيل إلى المراجع التي ذكرتها في المقامش . أما ما يمكن أن يعد شيئاً

(٢) راجع عن وصف مدينة بغداد رحلة ( فرازر ) ص ٢١٧ ج ١ من الأصل الانكليزي و ( تنزه العباد ) لتابليون الماريتي ص ٥١ و ٥٢ و ٠ و ( قلب العراق ) لامين الريحانى ص ٤٢ . وجريدة ( الزوراء ) العدد ١٤٥ من السنة الثانية الصادر بتاريخ ٣٠ صفر ١٢٨٧ هـ فقد جاء في هذا العدد : أن سكان بغداد في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م خمسون ومنة الف وفيها من الدور ثمانية عشر ألفاً .

(٣) راجع لكثير من وصف الأزياء في رحلة ( ريج ) ص ١٩٨ و ٢٠٢ و ٢٠٦ و ٢٠٥ . ( تنزه العباد ) ص ٥٣ و Baghdad The city of Peace. p. 242.

(٤) رحلة ( ريج ) ص ٢٠٢ و ٢٠٤ .

ذا جدوى في الدراسة الموضوعية التي تتعلق بهذا البحث فهو دراسة عناصر السكان والمظاهر القبلية والأفراح والاحزان ومظاهر الغنى والفقر والديانات والمذاهب والتصوف وأثر ذلك كله في حياة السكان ثم التباعد بين أولئك بسبب اختلاف العناصر والديانات والبيئات ، ويعود السبب في أهمية هذه الدراسة إلى علاقة هذه المظاهر بالشعر بل يكاد كثير منها أن يكون مؤثراً قوياً في توجيه الشعراء وإثارة عواطفهم كمظاهر الأحزان واختلاف المذاهب والغنى والفقير والمظاهر القبلية التي كانت عاملاً فوياً من عوامل التورات الكثيرة التي كانت هي الأخرى من بواعث الشعر سواء منه ما اتصل بالحكم وانحراف إلى جانبه أم ما كان بجانب الناشرين على ذلك الحكم .

### عناصر السكان :

إن العراق كغيره من الأقطار التي تعرضت لمحاجات مختلفة من البشر يرطم بعضها بعضه ويذيب بعضها البعض وقد تذهب موجة لتحل محلها موجة أخرى وقد تبقى الأولى شيئاً من أطراها وقد تندمج الانتنان معاً لذلك لا يمكن القول بأن العراق موطن لعنصر واحد – وإن كان معظم سكانه من العرب – فقد كان موطننا لاجناس مختلفة أثرت في بعضها الحضارة العربية فصهرته ودمجته بالعنصر العربي الأكبر وبقي بعضها متمسكاً بلغته وعاداته لقلة احتلاطه بالعرب ، وفي بعض المدن – إن لم نقل في معظمها – من ينتهي إلى أصول غير عربية ولا سيما بغداد بوصفها مركزاً سياسياً هاماً ولملتقى للحركات التجارية والمهنية فقد كانت تضم عدداً غير قليلاً من هاجر إليها من إيران والهند وغيرهما<sup>(٥)</sup> إلى جانب الترك<sup>(٦)</sup> والمماليك الحاكمين . وكانت العناصر التي تدعى أنها بقايا الشعوب القديمة في العراق أمثل السريان والكلدانين والأشوريين تقطن في الشمال ولا سيما المناطق الجبلية التابعة لولاية الموصل . وفي تلعفر وكركوك يقيم بقايا التركمان الذين

(٥) جاء في (الزوراء) العدد ٥٠٥ السنة السادسة : إن حول ضريح الشيخ عبد القادر قربة ثمانية دوريش من الأقوام المختلفة .

(٦) العنصر التركي وفد إلى العراق منذ العصر العباسي .

هاجروا الى العراق فيما قبل هذا العصر ، ويقيم الاكراد في المناطق الشمالية الجليلة التي تقع قربا من حدود ايران وقد تفت بعضهم فسكن بغداد وغيرها من المدن الاخرى طلبا للعيش . وأما العرب وهم العنصر الاكبر فان فريقا منهم يعيش على الانهار في القرى المتاترة على شاطئ دجلة والفرات وفريقا آخر حياة البداوة متقللا مع الغيم والامطار ومواسم الربيع . وفريقا ثالثا دفعته عوامل كثيرة الى سكنا المدن أو الى بناء مدن جديدة فكان لهم في بغداد والموصل والبصرة شأن كبير ، وكانت المدن القديمة الاخرى كالحلة والنجف وكربلا<sup>(٧)</sup> تصطبغ بالصبغة العربية شأنها شأن المدن التي استحدثت خلال العصر العثماني كالعمارة والكوت والناصرية والرمادي<sup>(٨)</sup> وغيرها أو القرى التي توسيع ثم اطلقت عليها صفة المدن كالدبيانية وسوق الشيوخ وكلمدن الصغيرة التي تقع على الفرات الاعلى فان هذه كلها كان طابعها الذي تسم به طابعا عربيا في كثير من العادات والتقاليد وان ضمن بعضها اخلاطا من الامم الاخرى .

#### المظهر القبلي :

لعل المدن بما فيها من تنافر الاجناس والطبع لا يمكن أن ترسم صورة واضحة لحياة عامة مطردة ذات طابع متميز كالصورة التي ترسمها حياة القبائل بوصفها أقرب ما تكون الى الحياة البدائية منها الى الحياة المتحضرة . وقد من بنا في الفصل السياسي ما كان للقبائل من شأن في تتابع التورات والتمرد على الحكم فلمجتمع القبلي في العراق أكثر السكان عددا وأوضخمهم تصويرا للعادات والتقاليد الشائعة لأن هذه القبائل تخضع لنزعامات ذات نفوذ وتلتزم بما تفرضه تلك الزعامات والعادات الموروثة التي لا يمكن الخروج

(٧) أدت حادثة داود سنة ١٢٤١هـ وحادثة محمد نجيب سنة ١٢٥٨هـ الى هجرة كثير من العرب من مدينة كربلاء .

(٨) انشئت مدینتنا الرمادي والناصرية في أيام الوالي مدبحة وقد استقدم لخطيط الناصرية مهندسا بلجيكيانا . راجع ( لغة العرب ) ج ١ س ٢ .

عليها . و مثل هذه الفظواهر والعادات قد يكون ضعيفا في المدن المحكمة التي ترحب القانون وت تخىي الحكم وقد تحاول التقليد والمجاراة للسلطة في سلوكيها وعاداتها ، أو المدن التي كان الحكم فيها ضعيفا ولكن سكانها أخلاقا مختلفة . غير أن بعض المدن الصغيرة كان خاضعا في مظاهره العامة للعرف القبلي السائد لكونها سوق القبائل ومستودع حبوبها وأنعامها وما ينتج من تلك الأعوام ولكن النفوذ الذي يسودها ليس الا لزعماء القبائل أنفسهم حتى اللهجة الدارجة فيها كانت اللهجة القبائل المحبيطة بها لأن سكانها من تفرعوا من تلك القبائل وأثروا حياة المدن على حياة الارياف ولكنهم ظلوا محافظين على معظم الخصائص القبلية .

والقبيلة في العراق تختلف باختلاف الغنر ، فالقبيلة أو العشيرة الكردية ما كانت تعنى الا الانتقام الى قرية أو مكان ولها رئيس يكون صلة التفاهم بينها وبين الامراء والملاء<sup>(٩)</sup> . أما القبائل العربية فانها تسمى بأسماء الجدود وان قدم العهد بها أمثال ربيعة وخزاعة وبني اسد وخفاجة وقشم وزيد وبني لام وعزبة وشمر وطيء وعييل وبني تميم وغيرهم ، ومن هذه القبائل من تجمع أو تفرق وكثرت بطونه وأفخاذه فكثرت تبعا لذلك أسماء الفروع ، ولكل قبيلة كبيرة شيخ يسودها ويسمى شيخ المشايخ وهو الرئيس الاكبر المطاع قوله الامر والنهى على الشيوخ والرؤساء الذين يسودون البطون وأفخاذ . وشيخ المشايخ مسؤول عن رعاية قبيلته والدفاع عنها أمام الحكومة وهي مسؤولة عن الالتفاف حول رايته وتلبية ندائها اذا ثار على الحكومة أو حارب قبيلة .

اما عادات القبائل وتقاليدها والاحكام التي تصدرها في مشكلاتها فهي اهم ما في العرف القبلي وان خالفت الشرع والقانون . وكانت هذه القبائل تهتم أياها اهتمام باقتقاء الخيل وحمل السلاح وتعليم الفروسية والرمادية وتنشئة الاولاد الصغار على هذه الصفات ما دامت تحتاج الى ذلك في نورانها والدفاع عن كيانها .

(٩) عشائر العراق رقم ٢ ص ١٣ و ١٥ .

## مظاهر الفنى والفقر :

لقد كانت سبل العيشة في العراق مختلفة باختلاف البيئات وهي لا تعدد سبل العيش في أي مجتمع متأخر غير مستقر في أحواله السياسية فقد أثر الاضطراب السياسي تأثيراً سيئاً فجعل من السكان طبقات مختلفة ليس فيها من الأغنياء إلا التجار الكبار والملاك وشيوخ الاقطاع وهؤلاء ليسوا إلا جزءاً يسيراً من السكان . أما الطبقات العامة في المدن والارياف والبادية فإنها كانت تتوء بأعباء الفقر والفاقة لقلة الزراعة وفقدان الأمن والاستقرار وصعوبة النقل ورداعه الطرق ، وكان من أسباب انتشار الفقر أيضاً كثرة الضرائب التي كانت تفرض على السكان وتجبى منهم بأقصى ما تكون الجباية وكان الفلاح العراقي فريسة دسمة <sup>(١٠)</sup> فهو على استعداد في الموسم وغير الموسم لاستقبال الحياة غلاظ القلوب بل كان عرضة لما هو أشد من ذلك عندما تحتاج الدولة إلى المال في حروبها وأعمالها فيطلب إليه أن يدفع قسماً كبيراً من حصة الحكومة قبل موسم اليع وفى غمرة الإرهاب والتتکيل يضطر إلى بيع غالنه قبل أو انها يتمثل أقل بكثير من تقدير الحكومة وكان التجار الذين لا ذمة لهم يتربصون بهذا فيشترون بمثل ما يقدرون ويشاركون الدولة في ظلمها <sup>(١١)</sup> .

وكان غير الفلاح خاضعاً لالوان من الضرائب التي لا حصر لها فقد كانت تفرض على الدور والحوائط والمتاجر والسلع المستوردة والبقر والغنم والأسماك والملح والتخليل والأشجار عدا ضرائب الأرض الزراعية . وكان من المصحح أن تؤخذ ضريبة سنوية على بيت الشعر وقد تكرر مرتبين في السنة <sup>(١٢)</sup> . وكانت الطواعن والأوبئة والجائحات فيضان الانهار باستمرار من الأسباب التي تضعف حركة العمل والسعى وتبعث على تشريد السكان

(١٠) كان يدفع الخامس حصة للحكومة ، وحصة الجيش وهي ستة بالمائة وحصة للمعارف التي لم يستفاد منها إلى جانب حصة المالك والرئيس .

(١١) (لغة العرب) الجزء الثامن من السنة الثالثة . شباط ١٩١٤ .

(١٢) راجع (الزوراء) العدد ٥١٦ السنة السادسة ١٤ محرم

١٢٩٢ هـ .

في القفر الباب ثم لا يعودون الا بحذر وخوف وهم جياع عراة . وكانت بغداد نفسها تثير الاسى بمقاهير المؤس والفقير المتشرين في أطرافها<sup>(١٣)</sup> ولم تكن المدن الأخرى بأحسن حالا منها ، وكانت أرياف العراق التي اشتهرت قديما بالخشب والنماء ليست الا بلا قع موحشة فلم تكن المزارع تتجاوز الميل أو الميلين من ضفة النهر وقد تكون الأرض البار متصلة بحاشية النهر لا يفصلها فاصل من نخل أو زرع . وكانت مظاهر الفقر مائلة في مناطق الاكرااد وعلى ضفاف الانهار بين القبائل العربية فلا تكاد تقع العين الا على أجساد لا تسترهن غير ملاعة من الصوف الخشن . أما المنازل في القرى كانت أشبه شيء بمقابر قديمة ليس فيها غير العظام والرمم وقد كان الكثيرون من السكان لا يكادون يستقرون حتى يرحلوا إلى مكان آخر لعلهم يجدون اللقمة اليابسة<sup>(١٤)</sup> ، وقد حدث من جراء ذلك أن انتشارت التصويبة وقطع الطرق ونهب القوافل والسفن ، وكثيرا ما كان قطاع الطرق يفرضون الاتاوة<sup>(١٥)</sup> على المسافرين والزوار الذاهبين إلى المشاهد المقدسة وقد تدفعهم القسوة إلى ايذاء الزائرين . ولم تكن هذه الوسيلة من قطع الطرق ونهب القوافل خاصة بسكان الجنوب بل كانت شائعة في الشمال أيضا فقد اشتهر الاكرااد الهماؤند بالقتل ونهب القوافل<sup>(١٦)</sup> بل كان من الاكرااد البلياس من يسبح الله ويصلى التوافل ولكنه يسفك الدماء البريئة<sup>(١٧)</sup> ويعترض طريق القادمين والرائحين ومثلهم قبائل باجلان من الترك والاكراد<sup>(١٨)</sup> . ولم يكن كل ذلك لو لا الحاجة إلى العيش والاستقرار ولو لا فساد الحكم

Baghdad the city of peace, p. 297. (١٣)

(١٤) راجع ( عبرة وذكرى ) لسليمان البستانى ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(١٥) كانت هذه الاتاوة تسمى ( الخاوية ) وقد جاء وصفها في الكتب المخطوط ( ديوان مزيد السرور ومزيد الحزون ) الورقتان ٢٤ و ٢٥ من نسخة يعقوب سركيس . والورقتان ٤ و ٥ من المختصر الموجود لدى .

(١٦) عشائر العراق للمحامي عباس العزاوى رقم ٢ ص ٧٧ .

(١٧) المصدر السابق - ص ١٠٥ .

(١٨) رحلة المنشى - ص ٤٢ ترجمة المحامي عباس العزاوى .

في حين كان الكثير من الولاة والموظفين والطبقات الغنية قد انصرفوا إلى  
اللهو والموبيقات ولاسيما في بغداد<sup>(١٩)</sup> .

### مظاهر الافراح والاحزان :

في العراق مواسم للافراح وفيه مواسم للاحزان شأنه شأن غيره من  
الشعوب والمجتمعات وهذه المواسم منها ما هو فردي خاص ومنها ما هو  
جماعي عام فالاعياد الدينية مواسم عامة لاصحابها كعید الفطر والاضحى  
للمسلمين جميعاً وكالاعياد الدينية عند النصارى واليهود ، وكان للشيعة عيد  
خاص بهم وهو عيد الغدير الواقع في الثامن عشر من ذى الحجه وكذلك  
المولد النبوي وهو في الثامن عشر من ربيع الاول عند الشيعة وفي الثاني  
عشر منه عند السنة ، وللاكراد عيد موسمى يحتفلون به وهو عيد (النوروز)  
لأنه بداية فصل الربيع ويشار كهم فيه الفرس المقيمون في العراق . ومظاهر  
الفرح في كثير من هذه الاعياد تبدو واضحة ان في المدن أو في الارياف ،  
ومثلها الافراح الفردية كحضلات الزفاف<sup>(٢٠)</sup> عند العرب<sup>(٢١)</sup> والاكراد<sup>(٢٢)</sup>  
وللختان وعودة الحجاج من مكة نصيب غير قليل من الفرح والابتهاج .  
اما الاحزان فانها كانت تسرف في حدتها عند سكان المدن وهي غير  
قليلة الشأن عند سكان الارياف ولاسيما المرأة التي تفقد عزيزاً لها فانها قد  
تبقى مجملة بالسواد حتى يخلفه الكفن ، غير أن سكان الباادية أكثر صبراً  
وجلداً وعدم اهتمام بهذا المظهر .  
وفي العراق مظاهر كبير من مظاهر الحزن يتخلل أيام السنة وهو

(١٩) راجع - شعراء بغداد وكتابها ص ٢٨ و ٤٨ .

(٢٠) كانت تصحب الزفاف بنادق تمدوى مقنوفاتها في الفضاء ولعل  
هذه العادة نشأت في بغداد وعنها أخذت وسبب نشوئها ان جنود الدولة  
كانوا يغتصبون الاولاد والنساء ولاسيما العرائس منهم وكثيراً ما كانت  
المذابح تقع بين الجنود وبين مواكب الزفاف . راجع : ( لغة العرب ) ج ١٠  
س ٣ نيسان ١٩١٤ .

(٢١) راجع عشائر العراق - الجزء الاول ص ٣٤٣ - ٣٤٦ .

(٢٢) راجع التفصيل في رحلة ( ريج ) ص ٢٠٠ - ٢٠٤ .

خاص بالشيعة وذُكِر في وفاة النبي (ص) والأنمة من آل البيت وتتجلى ظاهرة الحزن بوضوح في العشرة الأولى من محرم فيشيع لبس السواد وتقام المأتم في المدن والقرى<sup>(٢٣)</sup> وتلقي سيرة الحسين وحادثة قتله في اليوم العاشر وتشهد قصائد الشعر من فصيح ودارج ويتجنب الشيعة خلال محرم وصفر - مهما استطاعوا - أي مظاهر يدل على الفرح والبهجة كالزواجه والختان مما يتنافي مع شعار الحزن والالم .

#### الديانات والمذاهب<sup>(٢٤)</sup>

لقد كان العراق قدّيماً موطن الآلهة تحت وتعبد وكان سكانه القدماء من بابليين وآشوريين وكلدانين وسومريين يفتون في صنع آلهتهم ويضعونها في الهياكل والمعابد ويتبرّكون بها في المواسم والاعياد . وانطوت عبادة الآلهة من الاحجار والصخور والتلوج وغيرها لتحل محلها عبادة رب واحد أرسل الرسول وبعث الانبياء وأنزل الكتب ، ودان العراق وخضع للرب الواحد وأمن بالرسل والكتب ولكنه صنع من سكانه ما صنعت بابل من العجائب فالي جانب الديانات الثلاث - الاسلام والنصرانية واليهودية - ديانات اخرى منها القديم الموروث ومنها الطارئ المستجد ، وكان ميراث العراق من العصر العباسي ذي الفلسفات والمذاهب وحظه من العناصر المختلفة والامم الداخلة في الاسلام ميراثاً صعباً شاقاً رسم للتاريخ مناهج فيها كثير من الالتواء والتعقيد ورسم التاريخ منه صوراً فيها كثير من الابهام والغموض وهي ان وضحت

(٢٣) يقول عبد الباقى العمرى فى ص ١٣٠ - ١٣١ من ( الترباق الفاروقى )

نَحْنُ أَنَّاسٌ إِذَا مَا      قَدْ حَلَ شَهْرُ الْمُحْرَمِ  
فَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْنَا      سَوْى الْبَكَاءِ مُحْرَمٍ

(٢٤) أحصت حكومة الاحتلال سنة ١٩١٩ م سكان العراق فكانت النتيجة كما يلى : (١) الشيعة : ١٥٠٤٩٤٠١٥ ر ١١٤٦٦٨٥ (٢) السنة : ١١٤٦٦٨٥ (٣) اليهود : ٨٧٤٨٨ (٤) النصارى : ٧٨٧٩٢ (٥) الديانات الأخرى : ٤٢٣٠٢ . راجع جريدة ( دار السلام ) البغدادية العدد ٤ من المجلد الثالث السنة الثالثة ٢٢ شباط ١٩٢٠ .

في شيء فان وضوحاها هذا إنما يدل على تيارات متضاربة في المعتقدات ، ففي الشمال يقطن ( العلويه ) الذين يؤتون الإمام علياً وينسبون له من الصفات ما ليس له . ويقيم إلى جانبهم ( الإيزيدية ) ولاسيما في سنجار شرق الموصل وهم يدعون أن ديانتهم متساوية أتى بها يزيد بن معاوية من لدن الله الأعظم <sup>(٢٥)</sup> . وفي الشمال أيضاً قليل من بقايا الباطنية والنصرية . وبقايا الصابئة في جنوب العراق يدعون أن نبيهم يحيى وهم يقدسون النجوم ويعظمونها محافظة على أصول ديانتهم في أقدم عهودها <sup>(٢٦)</sup> . وقد انقسم النصارى إلى عدة طوائف منهم الكلدان والسريان واليعاقبة والنساطرة والكانوليك والارثوذكس واللاتين والبروتستان والسبtie والمملكانية <sup>(٢٧)</sup> ، ومعظم هؤلاء من سكان القرى المنتشرة في الشمال ولهم أديرة في تلك الاتجاه <sup>(٢٨)</sup> ومثلها أديرة وكثيراً في الموصل والبصرة وبغداد <sup>(٢٩)</sup> حيث يقيم بعضهم .

وكان نقل اليهود <sup>(٣٠)</sup> في بغداد <sup>(٣١)</sup> غير أن بعضهم سكن البصرة والعمارة والحلة وفي جوار المكانين المقدسين عندهم ( العزير ) في جنوب العراق ( وذى الكفل ) بين الحلة والكوفة <sup>(٣٢)</sup> .

أما الديانة الإسلامية وهي الديانة الكبرى في العراق فانها قسمت

(٢٥) الإيزيدية لصديق الدملوجي ص ١٦٤ .

(٢٦) رجع التفاصيل في كتاب ( الصابئون في حاضرهم وماضيهم ) لعبدالرازق الحسني .

(٢٧) لم يبق للملكانين ذكر الآن .

(٢٨) راجع : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . ص ٩ .

(٢٩) كان للنصارى في بغداد ستة معابد في أواخر القرن التاسع عشر . ( تنزيه العباد ) ص ٤٦ .

(٣٠) جاء في مجلة ( سومر ) المجلد ١١ الصادر سنة ١٩٥٥ : ان عددهم يربو على عشرة آلاف في القرن التاسع عشر .

(٣١) كان ليهود في بغداد خمسة وعشرون معبداً . ( تنزيه العباد ) ص ٤٧ .

(٣٢) لم يبق لهم ذكر الآن في هذين المكانين .

المسلمين الى طائفتين هما طائفة السنة وطائفة الشيعة والثانية أكثر عدداً من اختها وكل أتباعها امامية ائتا عشرية ومذهبهم الذي يرجعون اليه الامام السادس جعفر الصادق وقد انتشروا ما بين بغداد والبصرة على جانبي الفرات ودبجة ، أما السنة فانهم موزعون بين المذاهب الاربعة غير أن معظم الموظفين والمقربين لدى الدولة كانوا يدينون بالمذهب الرسمي وهو المذهب الحنفي وكان أكثر الاكراط من أتباع المذهب الشافعى .

وقد ظهرت في العراق خلال القرن التاسع عشر بعض القوائد المتطرفة ومنها العقيدة (البهائية) وقد قوبلت بهجوم عنيف من المسلمين وحاربها رجال الدين من الشيعة والسنّة وطرد أتباعها من بغداد أيام الوالي محمد نجيب<sup>(٣٣)</sup> ومن ثم ضعفت ولم يبق من أتباعها الا النزر<sup>(٣٤)</sup> .

### أثر الدين في حياة السكان :

ان لكل هذه الديانات والمذاهب التي ذكرتها رجال دين يتدارسونها ويبحثون فيها ويدافعون عنها وينشرونها بين أتباعهم ويشرفون على تعاليها واقامة شعائرها في المسجد والدير والكنيسة والبيعة ، وهم المسؤولون عن المحافظة عليها والرد على من يطعن أو يعارض . واذا تركنا الطوائف القليلة بتعاليها المهمة وكتبها غير المشورة فانا نجد الديانات الثلاث ذات اثر في اتباعها وذات شأن فيما يكتب عنها وينشر فللتصرى اديرة وكنائس ومدارس لا تألو جهداً في ترسیخ التعاليم المسيحية بين أتباعها وللبيهود مثلهم . أما المسلمين فقد كانت رعايتهم لل تعاليم الاسلامية في حدود ضيقه وفي طبقات

(٣٣) كان داعيتها المسمى ملا على البسطامي قد جاء الى بغداد سنة ١٢٥٨هـ ثم نفى منها .

(٣٤) من أشهر دعاتها الداعية المعروفة (قرة العين) التي يسميها اتباعها (الطاهرة) وقد جاءت الى كربلاء سنة ١٢٦٣هـ ثم انتقلت الى بغداد واتصلت ببعض رجال الدين من بيت الاولى ولكنها اخرجت من العراق . راجع التفاصيل في (الرسالة التسع عشرية) لاحمد سهراپ ص ١٠٥ - ١١٣ في الملحق لمحمد مصطفى البغدادي .

خاصة كطبقة رجال الدين أنفسهم وغيرهم من المتدينين الذين يقيمون في المدن وفي بعض الطبقات الأخرى فيما يتصل بالفرائض والمعاملات ، أما تطبيق الحدود فقد كان أمراً صعباً لأن الدولة نفسها ما كانت تهتم بذلك فقد كان الكثيرون من موظفيها يقتربون الموبقات فيكونون قدوة سيئة لمن يتصل بهم ويسايرهم من ضعاف النفوس ٠

وكانت القبائل البدوية لا تعرف إلا اليسير من الدين وأحكامه بل كانت تجهل الأحكام التي تتعلق بالمعاملات والزواج والطلاق والارث وما يتصل بالفرائض العامة ٠ أما سكان الجبال فقد كان الوازع الديني ضعيفاً عندهم وقد عرف عن الأكراد أن أكثرهم يؤدون العبادات ولكن معظمهم يجهل حقوق الله في المجتمع ولا يالي بقتل الأبرياء<sup>(٣٥)</sup> ٠ ومن ثم القبائل العربية المستوطنة على دجلة والفرات فقد كانت هي الأخرى تجهل الواجبات والاحكام إلا القليل من تعهدها بعض رجال الدين الذين كانوا يتفقون في النجف والحلة وسائر المدن المقدسة وكان معظمهم من تلك القبائل نفسها ، ولم يكن هذا العمل من رجال الدين مما يرضي بعض الموظفين في بغداد أو السايرين في ركبهم فهو في نظرهم وسيلة من وسائل انتشار التشيع بين القبائل وفي هذا خطر على السلطان<sup>(٣٦)</sup> ٠

### التصوف وأثره :

لا أريد أن أبحث في التصوف هنا بحثاً موضوعياً لأن هذا ليس من منهج البحث وإنما أريد أن أتناول هذه الظاهرة بمقدار ما لها من مساس بحياة السكان وبما لها من علاقة بالشعر وان كانت ضعيفة في السياسي

(٣٥) راجع عشائر العراق رقم ٢ ص ١٠٥ ٠

(٣٦) راجع هذا الرأي في جريدة ( الزوراء ) العدد ٥٦٩ السنة السابعة رمضان ١٤٩٢ هـ و ( عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ) لابراهيم فصيح الحيدري ص ٢٠ من النسخة المخطوطة في مكتبة الآثار - بغداد ٠

منه<sup>(٣٧)</sup> . وقبل أن أبين مدى انتشار التصوف في العراق أود أن أشير إلى أن التصوف قد شاع خلال القرن التاسع عشر في الدولة العثمانية شيئاً مفرطاً فقد كان السلطان وكثير من وزرائه وحاشيته والولاة والموظفين يشجعون طرق الصوفية بل كان السلطان نفسه يلوذ بالتصوفة أيام الحروب<sup>(٣٨)</sup> وكانت والدة السلطان تتردد على التصوفة وتتزوره من بر كاتهم<sup>(٣٩)</sup> حتى كثرت الربط والتکايا في الاستانة وحتى صار بعضها فخاً للاصطدام عند بعض الشيوخ<sup>(٤٠)</sup> الذين لا يحيط من قدرهم حتى سرب الخمر<sup>(٤١)</sup> . وكان السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(٤٢)</sup> قد عرف بتربيته أصحاب الطرق الصوفية ومنهم محمد أبو الهوى الصبادى المتوفى سنة ١٣٢٧هـ ١٩٠٩م وكان هذا زعيم الطريقة الرفاعية وقد اشتهر بنفوذه وصلاته برجال الدين والشعراء<sup>(٤٣)</sup> وكان يبحث بعضهم على التأليف في الطرق ولاسيما الطريقة الرفاعية<sup>(٤٤)</sup> .

أما الطرق المتبعة آنذاك فأشهرها القادرية نسبة إلى الشيخ عبدالقادر الكيلاني المتوفى سنة ٥٦١هـ ، والرفاعية نسبة إلى السيد أحمد الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨هـ والنقشبندية نسبة إلى الشيخ أحمد بهاء الدين النقشبندى البخارى المتوفى سنة ٧٩١هـ والبكاشية نسبة إلى الحاج محمد بكناش المتوفى

(٣٧) في (الترائق الفاروقى) لعبدالباقي العمرى أثر بارز للتصوف . وفي (الطراز الانفس) للاخرس البغدادى بعض القصائد ومنها القصيدة التي يمدح بها الشيخ عبدالقادر الكيلانى في ص ٣٧ - ٣٩ وفيها شکوى حارة من فساد الحياة والحكم .

(٣٨) التصوف في مصر للدكتور توفيق الطويل ص ٣٦ .

(٣٩) غرائب الاغتراب ص ١٦٢ .

(٤٠) المصدر السابق ص ١٥٧ .

(٤١) المصدر السابق ص ١٩١ .

(٤٢) انشىء في أيام هذا السلطان ست عشرة تكية . راجع : (سالنامة البصرة) الدفعة ٢ سنة ١٣٠٩هـ .

(٤٣) زار أبو الهوى بغداد سنة ١٢٨٣هـ وقد مدحه الاخرس راجع (الطراز الانفس) ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٤٤) راجع : (الاسرار الالهية) للسيد محمود شكري الالوسي ص ٤ .

سنة ٧٣٨هـ . واذا كانت هذه الطرق ذات اثر كبير في نفوس الاتراك فان لها في العراق اتباعا من المعممين والدراوיש ومن التفت حولهم<sup>(٤٥)</sup> وقد شاعت التقىشينية الى جانب القادرية بين الاكراد ، وكان معظم اتباع الطريقة الرفاعية من العرب المتحضرين ، أما البكتاشية فان لها تكايا في بغداد وكربلاه والنجف ولكنها لم تكن ذات اثر يارز بين شيعة العراق كما لم يكن للطرق الاخرى اي اهتمام عندهم وليس معنى هذا أن التشيع خلا من الدراوיש والمتصوفين في غير العراق ، الا أن معظم شيعة العراق كغيرهم من سكان البوادي والارياف تغلب عليهم الترعة القبلية التي لم تؤثر فيها أعمال المتصوفة تأثيرا ملحوظا يضاف الى هذا أن انصراف الشيعة الى ما يقرب من ذلك بالنسبة لآل البيت قد شغلهم عن اتباع الطرق الصوفية ولا سيما سكان المدن منهم<sup>(٤٦)</sup> . واذا استثنينا القبائل العربية التي لم تسرب فيها هذه الطرق تسربا محسوسا فاننا نجد بعض سكان المدن قد بالغوا في الطرق واعتقدوا بمشياخها اعتقادا مسروفا وانقادوا لا وامرهم اقليدا مفرطا<sup>(٤٧)</sup> ، وقد شجع

(٤٥) مما لا شك فيه أن للسياسة اثرا في اتباع هذه الطرق فان كثيرا من رجال الدين والوجهاء أرادوا بذلك أن يتقربوا الى السلطان والولاة .  
(٤٦) كان اهتمام الشيعة بمواليد آل البيت ووفياتهم واضحا في اقامة محافل الافراح والاحزان مما يشبه حلقات الذكر عند المتصوفة ، وان ما تسب الى مشياخ الطرق من الخوارق والكرامات كان لدى الشيعة ما يشبهه من نسبة المعاجز والكرامات لآل البيت ورجال الدين . أما الغلو المفرط بمؤسسى الطرق والمشايخ عند المتصوفة فقد كان لدى بعض فرق الشيعة ما يشبهه ولا سيما فرقة الشيشخية وهم اتباع الشيخ أحمد بن زين الدين الاسحاني وكان هذا قد درس في النجف وكربلاه ثم انتقل الى المدينة وتوفي فيها سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٦م ودفن بالبقيع . وله عدة كتب دينية ومنها كتاب في الرد على الصوفية وأعمالها وقد رماه بعض علماء الشيعة بالافراط والغلو بآل البيت .

راجع : (روضات الجنات ) للسيد محمد باقر الخونساري . ص ٢٥  
طبع طهران .

(٤٧) جاء في ( تذكرة الشقيق الجامعه لمعرفة الطريق ) للشيخ عبد القادر السكرياني . ( الورقة ٢ ) من نسخة دار الكتب المصرية ما يلى :  
اعلم اخي ان شرط الصحبة لكل من زاد عليك رتبه  
تتجيله حق وحفظ سره ثم قبول نهيه وأمره  
وكن لديه خاضعا كالعبد ولا تعارض قوله بالرد

على اتباع هذه الطرق ما كان يديه بعض الولاة من اهتمام بها للتبرك بل للترف واستخدام المشايخ لتحقيق ما أرب سياسية<sup>(٤٨)</sup> ، وقد بلغ من تمسك المريدين أن المرأة منهم لا يذكر اسمه الا مقرونا بالاتساب الى الطريقة التي اتبعها والمذهب الذي ارتباه ، أما الكرامات والخوارق التي نسبت الى مشايخ الطرق المؤسسين فانها كثيرة وقد بولغ فيها أشد المبالغة كالذى نسب الى الشيخ خالد بن أحمد الشهير زورى<sup>(٤٩)</sup> رئيس الطريقة النقشبندية في أول القرن التاسع عشر من شفاء المرضى وغيره<sup>(٥٠)</sup> وكوضعه في مصاف الانبياء<sup>(٥١)</sup> وكالذى نسب الى الشيخ عبد القادر الكيلانى من احياء الموتى ورد الارواح وقلب الارثى ذكرها ونزول المائدة من السماء وتسليم الاسماء عليه عندما يذهب الى دجلة ومخاطبة الله اياد بالهام خاص<sup>(٥٢)</sup> وأشارته على السلطان مراد في عالم الرؤيا بأن يصنع المدافع لفتح بغداد سنة ١٦٣٨م<sup>(٥٣)</sup> أما ألقابه فمنها الغوث الاعظم والكتن العرفاني والغوث الكيلانى والقطب الصمدانى<sup>(٥٤)</sup> وغير ذلك .

وقد وقف بعض رجال الدين من هذه الطرق موقف المؤيد وأصدر حكمه على المناوئين لها والمنكرين عليها وعلى أصحابها ما يأتون به من أعمال

(٤٨) كان الوالى محمد نجيب يدعى مرة بأن قادرى الطريقة ومرة أخرى بأنه نقشبندى . وكان (علي أشقر) أحد ولاة الموصل وهو من مماليك السلطان قد جاء الى بغداد مع الوالى على رضا سنة ١٢٤٧هـ واتصل بمشايخ الطرق طمعا بولايته بغداد فلما ينس منها عدل عن المتصوفة . (راجع عن الاول : العراق بين احتلالين ص ٨٣ ج ٧ والتاريخ الفاروقى ص ٢٤٦ وعن الثاني : غرائب الاغتراب . ص ١٥٨ - ١٥٩ ) .

(٤٩) ولد سنة ١١٩٠هـ وتوفي فى دمشق سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٦م .

(٥٠) المجد الثالث فى مناقب الشيخ خالد - لابراهيم فضيح الحيدرى ص ٢٤ .

(٥١) رحلة (ريج) ص ٩٨ .

(٥٢) راجع ( تفريج الخاطر فى ترجمة الشيخ عبد القادر ) لمحمد صادق القادرى الشهابى . وهو مترجم عن الفارسية ومطبوع فى مصر .

(٥٣) مجلة ( لغة العرب ) ج ٨ س ٣ سنة ١٩١٤ .

(٥٤) جريدة ( الزوراء ) العدد ٥٠٥ من السنة السادسة ١٢٩١هـ .

وعد هذا الانكار عرضاً لغضب الله لانه يُؤول الى انكار الكتاب والسنة<sup>(٥٥)</sup>  
 وحث بعضهم على حسن الفتن بالسادة الصوفية وعدم الواقعية بهم لانها  
 مهلكة<sup>(٥٦)</sup> . على أن هذه الطرق - بالرغم من التأييد القوى الذي حظيت  
 به من السلطان وأتباعه - لم تلق رواجاً محسوساً بين القبائل العربية - كما  
 قلنا - فقد استنكر بعضهم احترام شيخ الطريقة في بغداد والوقوف له في  
 أحد المساجد<sup>(٥٧)</sup> ، وفي بغداد أيضاً كان بعض الناس يسخر من الصوفية  
 ويستهزئ بحلقات الذكر<sup>(٥٨)</sup> ، بل كان بعض الاكراط قد نسب الضلال  
 الى الشيخ خالد النقشبندى وأراد قتله<sup>(٥٩)</sup> ، وبعضهم رماه بالكفر والزندة  
 لانه لم يشف نجل (الباشا) كما ادعى<sup>(٦٠)</sup> حتى اضطر أن يهرب الى  
 دمشق ويقى فيها حيث توفي .

### التبعاء :

لعل الذي قدمته من وصف موجز لأهم المظاهر في المجتمع العراقي  
 خلال القرن التاسع عشر أقرب الى الواقع في رسم الصورة الكاشفة عن  
 خصائص السكان وأخلاقهم وعاداتهم ، ولعل هذه الصورة التي رسمتها لم  
 تكن صورة مشرقة جميلة فان أيسر ما يدركه المتأمل في حياة سكان العراق  
 اختلاف العادات وتضارب الاهواء ، وكان من الطبيعي أن يكون هذا  
 الاختلاف بين السكان في حياتهم وتفكيرهم وسلوكهم ما داموا مختلفي  
 الاجناس واللغات والديانات والمذاهب وما دام كل فريق يتعصب لتقاليده  
 وعاداته الموروثة ولغته ، واذا كان في بعض المدن احتلاط لطيف  
 بعض الشيء من طباع التابعين فإنه لم يستطع أن يميز جهم مزجاً كاماً بحيث

(٥٥) راجع : المجد الثالث ص ٢٤ .

(٥٦) مقامات الانلوسي ص ٥ .

(٥٧) عشائر العراق ص ٣٩٨ ج ١ .

(٥٨) المجد الثالث ص ٣٩ .

(٥٩) المصدر السابق : ص ٤٠ - ٤١ .

(٦٠) رحلة ( ريج ) ص ٢٢٧ .

يجعل منهم عالما واحدا يخضع لعادات موحدة ويشعر بشعور واحد ، والفرق كبير جدا بين الجمجم والمزج وبين الاختلاط والاندماج لذلك بقى سكان المدن في القرن التاسع عشر خاضعين لتلك المؤثرات والعوامل التي باعدت ما بينهم وجعلت منهم أصحاب مدن مختلفة بل جعلت من أهل المدينة الواحدة أصحاب أطراف ومحلات يخاصم بعضها ببعض ويصطدم بعضها ببعض وكانت بغداد أوضح صورة لهذا اللون من السلوك ، فالسنة يعيشون في محلاتهم الخاصة والشيعة كذلك واليهود والنصارى أيضا والتراث والاكرااد كل في عالمه الخاص لا صلة ولا ترابط الا في الأسواق وأماكن البيع والشراء . وقد يخفف الزواج بين السكان من حدة الخلاف ولكن هذا كان مفقودا بين المسلمين والملل الأخرى ونادرًا جدا بين الشيعة والسنة ، وهكذا عانت بغداد وأهلها في تباعد وتدابر ان لم يكن في الاعمال ففي قرارة النفوس ، ومثل بغداد في هذا التباعد بقية المدن الأخرى فان فساد الحكم وخشونة الحياة وصعوبة المواصلات كل ذلك قد باعد ما بينها وجعل كل مدينة تعيش في عزلة أو شبه عزلة . وكانت المدن الشيعية المقدسة غير حالية هي الأخرى من انعدام التجانس والتفاعل وتجابوب الطياع فقد كانت النجف نفسها مسرحا لحوادث مزعجة بين السكان وكانت نورات المحلات بعضها على بعض وقتل الابرياء شيئا مألهوفا<sup>(٦١)</sup> على الرغم من كثرة رجال الدين فيها وسيطرتهم الروحية على الشيعة في العراق وغير العراق .

ولم تكن ظاهرة التباعد من صفات المدن وحدتها فقد كانت بارزة بين القبائل العربية والكردية وبين القبائل وسكان المدن بل بين البدو وسكان الارياف فالاكرااد المدينيون يعتقدون ببلاد القرويين منهم<sup>(٦٢)</sup> والعرب يرون الاكراد أقل شأنا ، وأهل الريف والبادية يكرهون سكان المدن ، وسكان المدن يرون أبناء القبائل أناسا متوجهين ، أما البدوى فإنه يرى نفسه أسمى

(٦١) ان حوادث الزكريا والشمرت قد شغلت مدينة النجف طيلة القرن التاسع عشر .

(٦٢) رحلة ( ديج ) ص ٦٣ .

من الريفي ، وكان بعض أصحاب الحرف محقرًا لدى عامة المجتمع . ولم ينعدم التباعد بين طوائف النصارى أيضًا ، فقد كان لكل فريق كنيسة ومعبد خاص .

أما الخصم بين السكان جميعاً وموظفي الدولة من كبارهم إلى صغارهم فدليله تلك التورات التي مر ذكرها في الفصل الأول ، ولم تكن قصائد المديح التي قيلت فيهم لتقيم برهاناً على تقارب سليم بين السكان ورجال الحكم وإنما هي خطرات الشعراة التي لا تتبع إلا عن رغبة أو رهبة في معظم الأحيان .

## الفصل الثاني

# الحالة العلمية والادبية

قبل البحث :

في حوض الراfeldin تاريخ قديم وأمم عريقة كان لها شأن كبير في الحضارة والتفكير وفي العلم والادب ، وقبلآلاف السنين كانت الحياة تسير في دأب واستمرار لتعمر الارض الخضراء وتغذى الجسم والعقل ، وقبلآلاف السنين كانت الارض الخضراء تحيط بالبلور المذاب وتستمع الى حفيف الغصون وأغاريد الطيور وقصائد الشعرا .

ونشط الجسم للعمل فكانت الارض الخضراء تفي الملايين من أبنائها . ونشط العقل فكانت الشرائع تسير حياة اوئلها وكانت بابل مصدر تلك الشرائع ، ونشط الفكر ونبض القلب فكتبت الاناشيد والملامح وغنت القصائد بين أيدي الآلهة على مزامير الارض الخضراء . وجاء الاسكندر ليرى مهد الاعاجيب ، وعبرت جيوش الفرس لتلتقي معه في سهول الشمال وبين جباله الشامخة . وقتن الشرق والغرب بهذه الارض ثم انطوت العصور ودرجت الامم واختفت المعابد والهيماكل والآلهة والتقوش والاساطير والقصائد والملامح وتلاقت فوقها الرمال وبقايا الجدر والصخور .

ولكن الارض الخضراء بقيت تحفظ بكثير من خصائصها ومقوماتها وظل الفرات ودجلة يتهامسان متعانقين تحت أفء النخيل والغضون ، وورث

الارض أبناء الصحراء الذين لوحت وجوههم الشمس وشدت أجسامهم  
لواحد المهجير فأسسوا وبنوا وخططوا وهندسو وزرعوا وأفادوا وكلن الفرات  
يداعب أقدام العرب في الحيرة والأنبار ويستمع إلى قصائد النابغة وعمرو  
ابن كلثوم والحارث الشكري \*

ثم جاءت القافلة الثانية تحمل علم الاسلام لتقيم في الارض الخضراء  
حضارة جديدة في العلم والعمل وأسست الكوفة والبصرة وسار العلم  
والعمل في تلك المعاهد والصفاف جنبا إلى جنب ثم أُسست مدينة واسط  
بين الكوفة والبصرة لتسهم بتصنيع من العلوم والعمل ثم قامت بغداد على  
دجلة فشغلت التاريخ وماجت بالعقل المبدعة المنشئة ونشعلت المدرسة  
الاسلامية العربية تعطى وتأخذ وتمد أشعتها في مسافات بعيدة من دنيا  
المسلمين ودونت الكتب في الدين والعقائد والمناظرات والفلسفة والأدب  
والتاريخ واللغة وتعددت دواوين الشعراء ومجاميع التراث وألف للجسم ما  
ألف للعقل والقلوب وبقى كل شيء من ذلك ميراها للاجيال يتحدث به  
الغادي والرايح والمقيم والراحل والعربي والاعجمي \*

وانطوى عصر بغداد بين الفتن والمحروب والخصام على الدين والملك  
وتشتت العلماء والشعراء وهاجر الكثير منهم إلى حيث يكون الامن  
والاستقرار ، وتحولت الارض الخضراء إلى رمال وسهول خالية وجفت  
الانهار والجداول وانقطعت صلة الكثير منها بالرافدين الكبيرين بعد أن  
ردمت الصفاف وتلاقت الرمال والحواشي وبقى الفرات ودجلة وحدهما  
يضيقان بالتيار فينذدان به على الرمال والسهول ليغرق ويذمر ويشرد ويهدم  
حتى تحولت المدن إلى قرى والقرى إلى أطلال ومعالم !!

وتباع ذلك كله ما كان لا بد منه نقض في الاموال والانفس والثمرات  
وخوف واضطراب وحكومة تأتي واخرى تذهب ، وجيوش تعبر وتزحف  
واخرى تنكسر وتنهزم ، وحروب تشغل الناس والتاريخ ، واخرى يتضررها  
الناس والتاريخ ، وجنس يصارع جنسا ولسان لا يعرف لسانا ، وبقايا  
رواسب تخفي تحت الاحجار والاطلال كأنها بنور قديمة سقطت من قافلة

عاشرة تتظر العلل فتخضر بلا رعاية وتنمو بلا ثمر .

واستسلم العراق لعصر مظلم لا يرى فيه من خلال الكوى الضيقة  
غير شعاع ضئيل كأنه بصيص يترافق على أمواج البحر من بعد فينوح  
للسفينة المضطربة حيناً ويختفي أحياناً آخر .

ومنذ عصر المغول حتى بداية القرن التاسع عشر كان العراق غير  
العراق الإسلامي أو العباسي وكان العلم فيه ترديداً للصدى وترجمياً لللغم  
ولكن في حناجر ضيقة وعلى أوتار رخوة تختلط فيها الأصوات وتتطلق من  
غير انسجام ولا ايقاع .

وبقيت بغداد معبر القوافل وقنطرة المسافرين تعتمد في مدارسها على  
الجوابع المتأكلاً وفي دروسها على السطوح والشرفات لا الأسس والدعائم  
وفي علومها على ما كان يلقى الملقنون لا الشراح والمنكريون . وفي شعرها  
وثرتها على الخليط من سمين معاد وهزيل مستحدث . وتلاقت اللغات  
ال الأربع من تركية خالية إلا من التراكيب الثقيلة وفارسية لا يفهمها إلا  
القليل وكربدية تدمدم بين الجبال وعربية تصارع من غير قوة إلا ما كان لها  
من قداسة القرآن وشرف الحديث وجمال الشعر .

ونسيت الموصل - أو كادت تنسى - ما لها من تراث عريق فشغلتها  
الحياة والسياسة المضطربة عن الانتاج والإبداع وفتحت أبوابها للقوافل من  
الشرق والغرب عابرية أو مقيمة . ومتناها مدينة البصرة فقد أفترت هذه من  
أناشيد المربي وروائع الجاحظ وفلسفة أخوان الصفا .

ولكن الخليط الدقيق بقي متمسكاً بين العواصف والغيوم فلم تخل  
هذه كلها من صلة تربط الحاضر بالماضي وتدافع عن لغة القرآن والحديث  
وكان لابد أن تبقى الصلة ما دام الغرائز الفاتحون يدعون الإسلام ويعكمون  
باسمها فحافظت الفقه على طريقة وبقى التفسير على سجيتها ولكنها طريقة  
التقليد وسجحة النقل ، واندثرت واسطع بعد أن شغلت جانباً من جوانب العلم  
حتى المصور المتأخرة فطويت بين الرمال والصخور .

وبقى الخليط الدقيق يربط الحاضر بالماضي في أساليب الشعراء المتكلفين في

بغداد والموصل والبصرة ، ولكن النقل قد وجد مستقراً في مدينة الحلة<sup>(١)</sup> على الفرات ففتحت هذه المدينة أبوابها لابناء العرب يتدارسون العلم واللغة والادب وتخرج فيها مئات من العلماء ونبغ فيها عشرات من الشعراء لم يكن صفي الدين الحلي باكير منهم شأنه ، واستمرت هذه المدينة متسمة بطبع العلم والشعر لم تفتر ولم تقصر طوال القرون المظلمة ٠

وكان ملتقى العلوم والآداب في جانبيها على مسافة قليلة من ضفة الفرات الغربية موطن العلماء ومتابعة الدارسين من مختلف الأقطار وقد بدأت نهضتها العلمية في منتصف القرن الخامس للهجرة واستمرت في هذه السبيل طوال الفترة المظلمة ، وكان لمدينة كربلاه نصيب من العلم والادب ولكنه جاء متأخراً كما كان ممزوجاً باللون الفارسي الوافد من ايران ، وكان لأربيل وشهر زور في الشمال حظ من دراسة الفقه وغيرها من العلوم الاسلامية ٠

#### نصيب الدولة من العلم والادب :

ليست تلك المقدمة الوجيزه الا مفتاحاً لدراسة الحالة العلمية خلال القرن التاسع عشر ودراسة هذه الناحية في العراق تتضمن الاشارة الى مقدار اهتمام الدولة العثمانية نفسها بالعلوم والثقافات الاسلامية على الاخص ، والاشارة هنا لا تستلزم التفصيل أو تناول الجزئيات بل يكتفى منها بالملخص العام ٠

أسست الدولة العثمانية سلطانها باسم الاسلام وتوسعت فتوحاتها بصيغة الخلافة الاسلامية وكان عليها أن تنظر إلى مقومات الناحية الدينية من العلوم الاسلامية وأن تعطى هذه الناحية ما تستحق من العناية غير أن اشغالها بالحروب الكثيرة وتعصباً للغة التركية حال دون الوصول إلى أية غاية مطلوبة من العلم فقد كان بعد الاتراك عن اللغة العربية وعدم فهمها حاجزاً من العواجز التي حالت بينهم وبين الاطلاع على أسرارها ، وما فهم

(١) أسس مدينة الحلة الامير سيف الدولة صدقة بن منصور الاسدي سنة ٤٩٥ هـ ٠

اللغة الا مفتاح لفهم علومها وآدابها ، لذلك لم تكن الجهود العلمية التي  
 بذلت الا جهودا سطحية وقد انحطت فيما بعد ذلك أشد الانحطاط وبقيت  
 المدارس القديمة تضم بين جدرانها أشداء الاميين ، ولم تكن المدارس الدينية  
 في الاناضول والاسنانة والروم أبل الأصورة من صور انحطاط فلم تخرج  
 الا تلاميذ مبتدئين يتلون الوظائف الدينية أما العالم الكبير منهم فإنه لا يحسن  
 غير النقل والاختصار والجمع مع ركاكه أعمجمية باديه<sup>(٢)</sup> ، وكانت الوظائف  
 الدينية لا توجه الا بطريقة الارث من ابا الى ابن ولو لم يكن له نصيب  
 من العلم بل كانت توجه الى الصغار من ابناء الموفين رعاية الى مكانة آباءهم  
 حتى صارت هذه الوظائف وفقا على بعض الأسر لا تعداها<sup>(٣)</sup> الى غيرها ،  
 وقد سيطر الجهل والتعصب على من يدعون العلم في الاستانة حتى صاروا  
 يغضون كل من يرد على بلدتهم من الافضل وان كان نبيا ٠٠٠ وكانت رؤية  
 العالم العربي في أعينهم الموت الاحمر<sup>(٤)</sup> . أما الطلبة فقد كانوا مقصرين  
 بل كان الدرس يخت والكتير منهم نائم ، وكان معظم المدرسين في غاية  
 الاستكبار والانانية ومثلهم الوعاظ الذين لا يقابلون بغير الضحك من  
 المستمعين<sup>(٥)</sup> .

وبقيت المدارس الدينية على حالتها من الانحطاط وعدم النظام وقد  
 شعرت الدولة في اواخر القرن الثامن عشر وببداية القرن التاسع عشر  
 بضرورة الالتحاق بالنظم الحديثة غير انها لم تفكرا يصلح المعاهد الدينية بل  
 تركتها وشأنها وأنشأت معاهد جديدة مستقلة ولكن انشاء هذه المعاهد كان  
 بداعي عملي لا منطقى اذ بدأت بإنشاء المدارس العسكرية من عالية تم اعدادية  
 فرشدية وكانت المدارس العالية في العاصمة وحدها أما الاعدادية والرشدية  
 فلما اكملت الولايات نصيب منها ثم انشئت بعد ذلك المدارس الدينية للهندسة

(٢) الاسلام والحضارة العربية ص ٣١١ من الجزء الاول .

(٣) المصدر السابق ص ١٥ و ١٦٩ من الجزء الثاني .

(٤) غرائب الاغتراب ص ١٦٩ .

(٥) راجع : المصدر السابق ص ١٧٣ .

والطب والصناعة والزراعة والتعليم والحقوق والإدارة والسياسة والقضاء والتجارة<sup>(٦)</sup> وكان التعليم فيها كلها باللغة التركية ثم الفرنسية .

أما الأدب التركي فإنه كحضارة الترك مستمد من الفرس فأوزان الشعر مأخوذة من العروض الفارسية ومواضيعه أكثرها صوفى دينى ، والنشر كان متکلفاً ضعيف النسج<sup>(٧)</sup> ولم يتطور الأدب التركي إلا في القرن التاسع عشر بعد أن اتصل بالأداب الأوروبية وتغير بها عن طريق الدراسة والترجمة ونبغ فيه شعراء وكتاب<sup>(٨)</sup> غير أن هؤلاء - على الرغم من اتصالهم بالثقافات الأجنبية - كانوا إذا عالجو الم موضوعات السياسية أو الاجتماعية فالتلبيح والاشارة لا بالصراحة والجرأة وكانتوا لا يعبرون عن الدولة إلا بالزهرة الدازبلة والغادة المطروحة على سرير الموت<sup>(٩)</sup> وإن كان منهم من استطاع أن يتقد بعض الأعمال التي لا صلة لها بالسياسة العليا .

#### الحركة العلمية في العراق - المدارس العثمانية :

سار التعليم في العراق أيام القرن التاسع عشر في خطين متوازيين لا يلتقيان عند نقطة واحدة أولهما الخط الذي رسمه الاتراك لتعليم بعض العراقيين وثانيهما الخط الموروث الذي حافظ عليه العراقيون أنفسهم بقدر

(٦) راجع - حولية الثقافة العربية - ص ٤ - ٧ .

(٧) راجع ( تاريخ الاتراك العثمانيين - ص ٢٨ و ٢٩ ج ٣ )

(٨) منهم عاكف ورشيد وشناسي منشى جريدة ( تصوير أفكار ) وقد توفي سنة ١٨٧١ م ومنهم محمد نامق كمال المتوفى سنة ١٣٠٦هـ وكان شاعراً وكاتباً ، والروائى المشهور حامد عبد الملق ، والشاعر المعروف توفيق فكرى ، والكاتب أحمد مدبحة الذى صحب الوالى ( مدحة ) وحرر فى جريدة ( الزوراء ) البغدادية وكان من الموجهين إلى الثقافة الفرنسية وقد حرر بعد عودته إلى الاستانبول فى جريدة ( بصيرت ) وانتقد الوالى مدحة وسياسة التعليم فى العراق ( راجع عنه ( الزوراء ) العدد ٢٢١ ص ٣ و ( دائرة المعارف الإسلامية ) ص ٤٩٨ - ٤٩٩ من المجلد الأول . ومنهم الوزير أحمد جودة المتوفى سنة ١٣١٢هـ ١٨٩٥ م وكان مؤرخاً معروفاً وشاعراً بالفارسية والتركية والعربية ( مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ص ١٦٨ - ١٧١ ج ٢ ط ٣ ) ومن المتأخرین الدكتور رضا توفيق الفيلسوف .

(٩) تاريخ الاتراك العثمانيين - ص ٣٧ ج ٣

ما يستطيعون من المحافظة ، وما رسمته الدولة كان معملاً أراد هدم اللغة العربية وترانيمها فلم يأت بأكثر من تخريج موظفين جهله ، وقد أردت أن أبداً يعمل الدولة فأصفعه بایجاز لانه شئ تافه لا أثر له في تكوين عقلية علمية أو خلق احساس أدبي ولأنه جزء من عمل الدولة في عاصمتها وفي الولايات التابعة لها .

عندما انتهى عصر الملوك الذين أرادوا الاستقلال بالحكم في العراق وجاء الولاة الاتراك يتبعاً من قبل السلطان تغير الاتجاه وتحولت السياسة العثمانية إلى جعل العراق تركياً بلغته وتفكيره وقطع الصلة بينه وبين ماضيه العربي فتركوا المدارس القديمة تسير كما كانت بل أهملوا منها ما كان ذا أثر كبير في العصور السالفة<sup>(١٠)</sup> ، وأخذوا ينشئون مدارس تركية في بغداد وغيرها ولكن هذا العمل لم يبدأ إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد أن أ始建 المدارس الحديثة في الاستانة وبعض الولايات الأخرى فقد أنشأ ، (مكتب رشدي)<sup>(١١)</sup> في بغداد في أيام الوالي محمد نامق في ولايته الثانية (١٢٧٧-١٢٨٤ هـ ١٨٦٨-٦١ م)<sup>(١٢)</sup> ثم أ始建 ثانوية للبنين عام ١٨٧٠ م في عهد الوالي مدحة وتبعتها مدرسة للصناعة ، وفي عام ١٨٩٨ م أشتئت ابتدائية للبنات وتبعتها ابتدائيات أخرى في الالوية . وفي الموصل أسس مكتب رشدي سنة ١٢٦٦ م وبقي وحده حتى سنة ١٢٩٠ م<sup>(١٣)</sup> ، وكان الاهتمام بالتوابع العسكرية في مقدمة العمل المدرسي فقد أنشأ مدحة في بغداد ثانوية عسكرية سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢-١٨٧١ م<sup>(١٤)</sup> ، وما يجب ذكره أن الحكومة المحلية أخذت تحت في أواخر القرن التاسع عشر على التعلم وتدعو السكان للتبرع لانشاء مدارس في الاماكن التي يسكنونها<sup>(١٥)</sup> غير أن هذه

(١٠) من ذلك اهتمامهم المدرسة المستنصرية وجعلها مخزناً للملابس العسكرية ثم دائرة للمكوس .

(١١) المكتب الرشدي يعني المدرسة الابتدائية .

(١٢) راجع (الزوراء) العدد ٥٨٥ من السنة السابعة .

(١٣) تاريخ الموصل ص ٣٢٢ ج ١ .

(١٤) الزوراء - العدد ٤٣١ من السنة الخامسة والعدد ٦٠٣ من السنة السابعة .

الدعوة لم تجد مجالاً واسعاً ما دام معظم السكان فقراءً وما دام التعليم يجري بلغة غير لغتهم . أما الطلاب الذين كانوا يرتادون مدارس الحكومة فإن معظمهم من أبناء المؤلفين الاتراك لأن القليل من السكان من كان يرغب في التعلم ولأن المواد التي كانت تدرس إنما تدرس باللغة التركية حتى التحو والصرف والمنطق والجغرافيا والحساب ، وكان التدريس منحلاً والنظام أجويف والمدارس غير كافية والمعلمين ليست لديهم مقاومة صحيحة<sup>(١٥)</sup> وكانت المواد غير مفهومة بل كان المديرون والمعلمين جهله سائط الأخلاق ، وكان الطلاب يتخرجون ولا يعرفون الكتابة حتى باليسير من اللغة العربية<sup>(١٦)</sup> وقد بلغ الشأن بأحد كتاب الاتراك أنفسهم أن يثور على التعليم الحديث في العراق وأن يصف المعلمين بأنهم جهله لا يساوون حتى كتاب العرائض وكان يفضل مدارس اليهود ويبحث المسلمين على ادخال ابنائهم فيها<sup>(١٧)</sup> . وبالرغم من أن الدولة كانت تعلن أن تربية الأطفال ونشر المعارف المهمة (ملزمة) لدى (الجناب العالى) وكل نوع من السكان والاتباع سواء لدى السلطان<sup>(١٨)</sup> !! أقول بالرغم من كل ذلك كانت المدارس لا تفتح أبوابها لكل من يرغب فقد كان الشيعة وهم أكثرية السكان لا يلقون تشجيعاً في تعليم ابنائهم<sup>(١٩)</sup> .

وقد اهتم اليهود أزاء هذا التعليم المنحط بتأسيس مدارس لابنائهم وبنائهم فأسسوا أول مدرسة يهودية في بغداد عام ١٨٦٥ باشراف الحلف العالمي اليهودي<sup>(٢٠)</sup> ثم أسسوا مدارس الاتحاد (الاليانس) واستقدموا لها

(١٥) العراق - دراسة في تطوره السياسي - ص ٨٨ الترجمة العربية .

(١٦) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٠٢ .

(١٧) هو الكاتب (أحمد مدحة) . من مقال له في ( بصيرت ) التركية . راجع عنه الزوراء العدد ٢٢١ من السنة الثالثة .

(١٨) منقول ببعض التصرف من الزوراء العدد ١٩٢ من السنة الثالثة ١٢٨٨ هـ .

(١٩) العراق - دراسة في تطوره السياسي - ص ٨٨ .

Baghdad the city of peace. p. 242. (٢٠)

أساتذة من أوروبا<sup>(٢١)</sup> وجمعوا المال المطلوب لتنشية هذه المدارس واهتموا بتعليم الفرنسية والفارسية والعربية والتركية<sup>(٢٢)</sup> إلى جانب المواد الأخرى .

وكان المسيحيون منهم في العناية بأبنائهم من لدن المبشرين الأمريكيان والفرنسيين والإنجليز وكانت مدارسهم بالموصل<sup>(٢٣)</sup> وبغداد عامرة بتدرис العلوم واللغات إلى جانب اللاهوت والديانة المسيحية .

أما المسلمين فقد بقوا في جهلهم وانحطاط مداركهم ، وكانت القبائل أشد السكان انحطاطاً وجهاً حتى بمبادئ القراءة والكتابة .

وفي سنة ١٩٠٠م كانت نسبة المتعلمين تتراوح بين الخامسة والعشرة بالمائة<sup>(٢٤)</sup> ، وإذا قبلنا ما تقوله المصادر الحكومية آنذاك فما كاتنا أن نقول : إن ما يقرب من ثلثي الأهالي كانوا لا يعرفون قراءة ولا كتابة<sup>(٢٥)</sup> لذلك كانت نسبة المتعلمين في غير المسلمين أكثر منها في المسلمين<sup>(٢٦)</sup> وقد أدى هذا إلى رسوخ اللهجة الدارجة بين السكان<sup>(٢٧)</sup> واتخاذها لغة التخاطب والحديث بل لغة بعض المؤرخين وكثير من الشعراء وكانت في بغداد وبعض المدن ممزوجة بكلمات أجنبية كالتركية والفارسية بل كانت اللغة التركية

(٢١) الزوراء - العدد ٤٢١ من السنة الثالثة .

(٢٢) المصدر السابق - العدد ٥٨٥ من السنة السابعة .

(٢٣) إن المرسلين الدومنكيين قدموا إلى الموصل سنة ١٧٥٠م ١١٦٤هـ باجازة من البابا مندكتس الرابع عشر واسسوا مطبعة سنة ١٨٦٠م ١٢٦٧هـ لطبع الكتب المدرسية بالعربية والكلدانية والفرنسية وفتحوا مدارسهم لمختلف الطوائف . وكان للراهبات المعروفات بالخوات المحبة أثر في تعليم المرأة بالموصل إذ فتحن مدارس للآلاف سنة ١٨٧٣م وكن يقبلن المسلمات كالمسيحيات . راجع - تاريخ الموصل ص ٣٢٣ - ٣٢٥ ج ١ . وراجع أيضاً عن الطباعة في الموصل مجلة ( لغة العرب ) ج ٣ و ٤ و ٥ من السنة الرابعة وج ٩ من السنة الخامسة .

(٢٤) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٠٢ .

(٢٥) الزوراء - العدد ٥٦٩ من السنة السابعة ١٢٩٢هـ .

(٢٦) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٠٢ .

(٢٧) كانت عامية العراق أقدم من هذا العصر وهي تختلف باختلاف المناطق غير أن السكان يفهم بعضهم بعضًا فيما وان اختلفت في بعض الكلمات والاصوات .

في بغداد أكثر ذيوعاً من العربية العامية وإن كان كل منها رديئاً<sup>(٢٨)</sup> أما المصطلحات المهنية فإن أكثرها خليط من التركية والفارسية وكان سكان المدن أكثر من غيرهم قبلًا لهذا الدخول بحكم الاختلاط والاتصال بالسيادة العثمانية .

### المدارس القديمة :

إذا كان تمه فضل على اللغة العربية في بقائهما وسيلة من وسائل التأليف والنشر والشعر في العراق فانما هو للمدارس القديمة التي بقيت تصارع الجهل والمعجمة من كل جهة ، والبحث في هذه المدارس من كل نواحيها أمر ليس بالسهل المستطاع لانها كانت موزعة في الموصل وبغداد والنجف والحلة وكربلاء والكاظمية والبصرة وسامراء وكانت في مناهجها غير المنقلمة مختلفة باختلاف الحاجة إليها وباختلاف البيئات والمذاهب ومثل هذا العمل يحتاج إلى دراسة موضوعية ليس هذا مكانها غير أن عرض أهم الجواب في هذه المدارس شيء لا بد منه لبيان القيم العلمية والأدبية التي تتصل بالبحث .

تبدأ المدرسة القديمة بتعلم القرآن وأكثر ما يكون هذا لدى الكاتب ثم تعلم الخط ولو بأبسط أشكاله ، وإذا كان تعلم القرآن موجوداً في القرى والأرياف ولو بقلة وندرة فإن الدراسات التي تليه تكاد تكون محصورة في المدن وفي طبقات خاصة من سكان المدن كالاسر الدينية وبعض التجار ومن يقد إلى المدن من القرى والأرياف أو من خارج العراق بغية الافادة من العلوم الدينية ، وكانت المدارس القديمة في مناهجها وطرق التدريس فيها لا تعلو تلك التي أنشئت قديماً في العصور السابقة . وكانت المبانى ليست إلا ما بقى من القرون الماضية أو الذي استحدث في القرن التاسع عشر من قبل الموسرين وذوى البر إلى جانب المساجد التي كانت متلقى كبير من الطلاب ، وكانت هذه المدارس والمساجد التي شهدت حلقات الدرس متشرة

في بغداد والموصل والنجف والحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء والبصرة ولكتها كانت تختلف قوة وضعفاً فهـى في بغداد والموصل والنجف والحلة أقوى منها في بقية المدن وكان الطلاب يصيـون وقد يمسـون في هذه المدارس والمساجد يستمعوا إلى ما يناسب عقولهم ومدارـهم ، وقد تضم المدرسة والمسجد أكثر من حلقة واحدة يرأسها استاذ يلقـى ويـسر ويـشرح ويـستـمع إلى استـضـاح أو مناقـشـة ٠

وكان الطالب يبدأ بدراسة النحو والصرف ثم المنطق فالأصول فالفقـه لذلك كان يتلقـى هذه العـلوم على أـسـاتـذـة مـخـتـلـفـين فـيـ الـغالـب ، وقد يـتصـدىـ الاستـاذـ الواـحـدـ لـتـدـرـيـسـ هـذـهـ العـلـومـ وـيـحـضـرـ لـدـيـهـ طـلـابـ مـخـتـلـفـونـ فـيـ أـوقـاتـ مـخـتـلـفـةـ وـكـانـ فـيـ المـدـنـ الشـيـعـيـةـ مـاـ يـسـمـىـ بـالـبـحـثـ الـخـارـجـيـ فـيـ الـأـصـولـ والـفـقـهـ وـهـوـ أـشـبـهـ شـيـءـ بـمـحـاـضـرـ يـلـقـيـهـ أـحـدـ اـسـاتـذـ الـكـبـارـ أوـ الـمـجـهـدـينـ عـلـىـ حـلـقـةـ كـبـيرـةـ مـنـ طـلـابـ فـيـ شـرـحـ مـادـةـ أـوـ أـكـثـرـ وـيـسـتـمعـ إـلـىـ نـقـاشـ الطـلـابـ مـعـهـ فـيـؤـيدـ أـوـ يـفـنـدـ ، وـهـذـاـ بـحـثـ لـاـ يـحـضـرـ إـلـاـ مـنـ فـرـغـ مـنـ دـرـاسـةـ كـبـيرـ مـنـ الـكـبـرـيـاتـ فـيـ النـحـوـ وـالـمـنـطـقـ وـالـأـصـولـ وـالـفـقـهـ وـصـارـ أـهـلـ مـلـئـ هـذـهـ الـبـحـوتـ الـخـارـجـيـةـ وـقـدـ يـكـونـ طـلـابـ الـبـحـثـ الـخـارـجـيـ اـسـتـاذـاـ لـمـ دـوـنـهـ وـهـكـذاـ وـكـانـ أـمـكـنـةـ الـدـرـسـ وـالـبـحـوتـ لـيـسـ فـيـهـ اـسـتـعـادـ مـنـ كـبـرـيـاتـ سـوـيـ ماـ تـحـويـهـ الـمـسـاجـدـ مـنـ الـحـصـرـ وـمـاـ يـشـبـهـاـ وـأـمـاـ الـمـطالـعـةـ وـالـتـحـضـيرـ فـانـهـماـ ضـرـورـيـانـ لـلـطـالـبـ التـابـيـ قـبـلـ الـدـرـسـ وـبـعـدـهـ فـلاـ يـحـضـرـ إـلـاـ أـنـ يـكـونـ قـدـ اـسـتـوعـبـ الـدـرـسـ السـابـقـ وـأـعـدـ الـعـدـةـ لـلـدـرـسـ الـجـدـيدـ وـكـانـ حـيـاةـ الـطـلـابـ -ـ الـقـلـيلـ -ـ حـيـاةـ قـاسـيـةـ خـشـنةـ وـكـانـ مـعـظـمـهـ يـقـيمـ فـيـ حـجـرـ أـعـدـتـ لهـذـاـ الشـائـنـ فـيـ الـمـدـارـسـ الـقـديـمةـ أـوـ التـىـ اـسـتـحدثـتـ أـمـاـ وـسـائـلـ الـراـحةـ فـهـىـ مـفـقـودـةـ لـدـىـ الـكـبـيرـ مـنـهـ ، وـلـمـ تـكـنـ مـصـادـرـ الـعـيشـ غـيـرـ درـاـهـمـ مـنـ وـقـفـ أوـ زـكـاـةـ أـوـ مـاـ يـرـسـلـهـ أـهـلـ الـطـالـبـ إـذـاـ كـانـ وـافـدـاـ مـنـ مـكـانـ بـعـدـ وـكـانـ أـهـلـ قـادـرـيـنـ عـلـىـ اـعـاتـهـ ، أـوـ مـاـ يـوـزـعـهـ ذـوـ الـيـسـارـ ، وـقـدـ يـسـتـعـينـ الـطـالـبـ أـوـ الـعـامـ الشـيـعـيـ بـعـشـيرـتـهـ أـوـ قـرـيـتـهـ فـيـ ذـهـبـ فـيـ الـمـوـسـمـ -ـ إـذـاـ كـانـ مـنـ أـهـلـ الـقـرـىـ وـالـأـريـافـ -ـ ثـمـ يـعـودـ إـلـىـ الـدـرـاسـةـ بـعـدـ أـنـ يـزـوـدـ بـشـىـءـ مـنـ مـالـ الزـكـاـةـ قـدـ

لا يكفي حاجته ، وقد يجد الطالب في عيشه مشقة تعرضه للاستعطاف  
والاستجداء ٠

### مراجع الطالب :

لا يشك أحد في أن أهم مصادر الدراسة والثقافة وجود الكتب ميسرة  
سهولة التناول لمن يشاء ، وفي الحق أن العراق كان غير فقير من هذه  
الناحية - وإن كانت حاجة إلى الكتب تزيد عما فيه منها - فقد كانت مساجد  
بغداد ومدارسها الشهيرة غير خالية من عشرات المخطوطات النافعة وكانت في  
النجف مكتبة ثمينة فيها بضعة آلاف من المخطوطات وهي من أوقاف الصريح  
العلوي ولم تخل كربلاء والحلة والكاظمين والبصرة من أنواع المخطوطات  
كما كان في الموصل مثل ذلك وكان الكثيرون من رجال الدين في المدن التي  
أشرنا إليها معنين بجمع الكتب ولكن هذه كلها كانت غير ميسرة لطالب العلم  
فقد كان يحال بينه وبينها في الأغلب ولا يسمح له أن يستعير وقد يتذرع  
عليه نسخ ما يحتاج إليه وإذا استطاع ذلك فقد يخطيء في الاستنساخ وقد  
يضطر إلى مشاركة رفيقه في كتابه ٠ أما الوراقون والنساخون فقد كانوا قلة  
نادرة ولم تكن ثمة أسواق أو أماكن عامرة يرجع إليها طالب العلم فيشتري  
منها ما يحتاج وإذا وجدت هذه الأسواق والاماكن فليس للطالب قدرة على  
استنساخ أو شراء ٠ أما الكتب المطبوعة فإنها لم تعرف إلا في أواخر القرن  
التاسع عشر وكان بعض هذه الكتب يؤتى به من الاستانة ومصر والشام  
وإيران والهند وهذه أيضاً كانت قليلة لا يستطيع افتتاحها إلا ذوو اليسار من  
رجال الدين وأمثالهم ٠ وعلى الرغم من وجود الطباعة في العراق منذ أوائل  
النصف الثاني من القرن التاسع عشر<sup>(٢٩)</sup> لم تكن ثمة طلائع تبشر بحركة  
طبع ونشر يستفيد منها العراق فقد كانت مطبعة الدومينيكين في الموصل  
لا تعدو ما يفيد المسيحيين من الكتب ، وكانت مطبعة الحجر في كربلاء

(٢٩) انشئت المطباع في الموصل وكربلاء سنة ١٨٥٦م وفي بغداد  
على أشهر المصادر سنة ١٨٦٩م ٠

لا تستطيع أن تنهض بأى عبء من أعباء النشر ، أما مطبعة الحكومة في بغداد فانها كانت مشغولة بطبع الجريدة الرسمية . وفي مثل هذه الظروف القاسية كانت الدراسة تشق طريقها وتلمس أسباب البقاء والانتشار وتذلل المصاعب بالقليل من الزاد والكتب وتعتمد – فيما تعتمد عليه – على الذكاء الموروث والقابليات النشطة .

### اختلاف المناهج وتنوع الدراسات :

شاهد القرن التاسع عشر في العراق مدرستين هما امتداد للعصور السالفة وأعني بهما مدرستين مدرسة الشيعة الإمامية ومدرسة السنة وكانت قاعدة الاولى مدينة النجف وفروعها القوية فيحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء ، وصدى غير قليل في بغداد والبصرة أما الثانية فقد كانت قاعدةتها بغداد ولعلها في الموصل لا تقل شأنها عما كان لها في بغداد ، وفي ظل هاتين المدرستين حافلت العلوم العربية والدينية على ما يهوى لها من تراث قديم على الرغم من وقوعها بين تيارات أجنبية تجذبها ذات اليمين وذات الشمال . وكان اتفاق المدرستين في بعض المناهج يقابلها اختلافهما في بعض المناهج الأخرى فقد كان الاتفاق في النحو والصرف والملحق والبيان وما يتصل باللغة والادب ، وكان الاختلاف في الفقه والتفسير والحديث والكلام وما يتصل بالعلوم الدينية فالسنة لا يعولون في النواحي الدينية على غير ما أثر عن طرقهم ، والشيعة لا يأخذون بغير ما صرح عن آلة البيت عن طرقهم أيضا . واستمرت هاتان المدرستان في طريق التقدم والنشاط وقد كانت بداية القرن التاسع عشر بداية كريمة استطاعت فيها الخطأ أن تسع وقد صادف هذا التقدم رعاية من بعض الولاة في بغداد وعناية من الولاة الجليلين في الموصل وتشجيعا من أغنىاء الشيعة ورؤسائهم في العراق وايران والهنـد لمدارس النجف وكربلاء والكاظمين وبقيت المدرسة السنـية في بغداد والمـوصل بعد نهاية العـالـمـيكـ والـجـلـيلـين مستـمرة على سـيرـها الـعـلـمـيـ معـتـمـدةـ علىـ الاـوقـافـ ماـ قـدـمـ مـنـهـاـ وـماـ اـسـجـدـ ، وـاسـتـمـرـتـ المـدـرـسـةـ الشـيـعـةـ فـيـ سـيرـهاـ الـعـلـمـيـ معـتـمـدةـ علىـ الاـخـرـيـاتـ والـحـقـوقـ الـشـرـعـيـةـ الـتـىـ تـرـسـلـ إـلـىـ الـمـجـهـدـينـ

من داخل العراق وخارجها ، ولم تكن الاوقاف هناك ولا الخيرات والهبات والحقوق هنا لتسد عوز الطلاب فقد كان أكثرهم يعاني هراوة العيش وعسر المورد وكان بعضهم قد لا يجد قوت يومه بل كان بعض رجال الدين الكبار في بغداد معرضًا للفقة الشديدة عندما يغضب عليه الوالي فيسلب منه الاوقاف ووظيفة التدريس أو الخطابة . ومثل هذا قلما يحدث للمجتهد الشيعي لأنه غير خاضع لنصب أو عزل من قبل أية سلطة . ومع كل هذا كانت الدراسة نشطة وكان الاقبال عليها يزداد سنة بعد أخرى وكانت النجف وغيرها من المدن الشيعية المقدسة مثابة ملاذ الوافدين من داخل العراق وخارجه وكان هؤلاء يبدون للدراسة حتى إذا تزودوا منها عادوا إلى مواطنهم لنشر التعاليم الدينية وقد يبقى بعضهم لينال درجة الاجتهاد . غير أن عدم التنظيم في المناهج وعدم الرقابة والامتحان في الدروس إلى جانب الفقر الذي كان يتعرض له كثير من الطلاب كان كل ذلك يحول دون مواصلة الدراسة لاغلب المتظمين في هذا السلك فقد كان هؤلاء يقف بهم التحصيل عند المبادئ القليلة وكان بعضهم يصل إلى درجة لا يأس بها من العلوم الدينية فيعود إلى المدينة أو القرية التي جاء منها ليقوم بنشر الدين وأحكامه وقليل من هؤلاء من أتيحت له الفرصة لمواصلة الدراسة في كل أنواع العلوم والفنون المعروفة ، وقليل منهم من وصل إلى درجة تهيء له قابلية التأليف والإبتكار أو إضافة شيء جديد إلى القديم المعروف .

ولقد كان التخصص مفقوداً أو في حكم المفقود إلا في الفقه والأصول فإن العلوم المسائية لم تكن في الحقيقة إلا وسائل يصل بها طالب العلم - أو يحاول الوصول - إلى الغاية التي درس من أجلها وهي الفقه على الأكثر ، لذلك كان الفقهاء أكثر من اللغوين وال نحوين ولذلك كثر المجتهدون في المدن الشيعية والفقهاء في بغداد والموصل وقل المتصوفون إلى الدراسات العربية في اللغة والنحو والصرف والبيان والآداب إلا ما كان جمعاً أو تعليقاً أو شرحاً مبسطاً أو تأليفاً ليس فيه من الجدة والطراقة ما يعني عن المصادر القديمة .

أما التاريخ الاسلامي القديم فقد كان الاطلاع عليه في حدود يسيرة الا ما كان من تاريخ النبي وغزواته وتاريخ آل البيت ، وقد اهتم بعض علماء بغداد والاكراد<sup>(٣٠)</sup> بالنواحي الصوفية فكتبوا عن مشايخ الطرق وأربابها وأغرقوا في ترجمتهم وكراماتهم . ولكن هذا كله لا يعني أن العراق في القرن التاسع عشر لم يأت بجديد فقد كان حافلا بعشرات من الفضلاء وكانت شهرته بعلمه وأدبه - ولا سيما الفقه والشعر - أوسع انتشاراً وذريعاً منها في القرون السالفة التي خضع فيها للحكم العثماني غير أن من رجال العلم من اتخذ الدين وسيلة للدنيا وجمع المال ومنهم من كان اصبعاً تحركها الدولة للشعب على السكان ومنهم من بني وشيد وتمك الضياع والبساتين وتملك الحكومتين العثمانية والبرانية وهؤلاء لا يزال أبناؤهم يرثون ما تركوه لهم في بعض مدن العراق<sup>(٣١)</sup> .

#### التاليف وأهم المؤلفات :

لعل فيما قدمته من هذه الدراسة ما يكشف عن نواحي التأليف في العراق ويوضح الخطوط العامة التي سلكها المؤلفون وقد كان للمحاجة أثر كبير في توجيه رجل الدين وغيره إلى الاتجاح والكتابة فقد كان للفقه أولوية على كل شيء وكان لكل مجتهد شيعي أو عالم من فضلاء السنة كتاب ديني قد يكون من وضعه وقد يكون - وهو الأكثر - شرعاً لكتاب قديم ، ثم يأتي بعد ذلك في درجات مختلفة تناول العلوم والفنون الأخرى كالتفسير والحديث والرجال والأصول والعقائد والمنطق والبلاغة والادب والتاريخ والتصوف والفلك وما كان مألفاً في الدراسات آنذاك . وقد كان من هذه الدراسات ما يعد أساساً كالفقه والأصول والتفسير ومنها ما يعد متمماً قد

(٣٠) في الأكراد فضلاء يكتبون بالكردية والفارسية والعربية ولكن قابلياتهم في التدريس ليست كغيرهم . راجع - مقامات الالوسي - ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣١) تاريخ هؤلاء معروف لدى العراقيين ولكننا أضربنا عن التفصيل والتسمية لثلاثة نشير ما نحن في غنى عن اثارته .

لا تقتضيه الحاجة أحياناً، وقد يكون من هذه المؤلفات ما يقصد به ارضاه السلطان أو الوالي، وقد يكون منها ما يقصد به ارضاء عالم ديني أو شاعر أو وحيد من ذوى اليسار، أما الكتب التي تمثل الخصومات الدينية والمذهبية فقد شهد القرن التاسع عشر كثيرا منها ٠

ولعل ظاهرة المؤلفات الدينية لا تقل عنها ظاهرة المؤلفات الأدبية وهي مؤلفات لا تعدو الجمع من القديم والحديث وتتدوين آثار الشعراء وجمع القصائد التي تقال في مدح عالم أو وحيد متوفى أو رثاء أحد هذين ٠ ومن أهم المؤلفات التي ظهرت في هذا القرن كتاب «روح المعاني في تفسير القرآن والسجع الثاني» للسيد محمود شهاب الدين الالوسي<sup>(٣٢)</sup> المعروف بأبي الثناء وهو مأخوذ عن تفسير الإمام فخر الدين الرازي مع حذف واضافة وأخذ كثير من تفاسير المتصوفين وقد طبع في مصر سنة ١٣٥١هـ وكتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦هـ في النجف وهذا الكتاب من أمهات كتب الفقه عند الإمامية أما الأصل فهو للعالم الحلى المشهور جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق المتوفى سنة ٧٢٦هـ وكتاب (الفصول في علم الأصول) للشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم المتوفى سنة ١٢٦١هـ وهو من علماء كربلاه ٠ وكتاب (ايضاح الكلام في شرح شرائع الإسلام) للشيخ عبدالحسين الطريحي التجفى أما الأصل فهو للمحقق الحلى مار الذكر غير أن هذا الشرح لم يشتهر كشرح صاحب الجواهر الذي سبق ذكره ٠ ومنها كتاب (من المقال في أحوال الحديث والرجال) للشيخ الطريحي أيضا ٠ وكتاب (كشف الطرفة عن الغرة) لابي الثناء الالوسي وهو اختصار لدرة الغواص وشرحها وقد طبع بمصر سنة ١٣٥١هـ وكتاب (شرح البرهان في اطاعة السلطان) للالوسي أيضا ٠ وكتاب (شهى النعم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم) للالوسي أيضا وقد ترجم فيه للشيخ عارف حكمة شيخ الإسلام في الاستانة ٠

(٣٢) الفقه بطلب من الوالي على رضا اللاط

ولاللوسي رحلات وكتب أخرى اعتمدنا عليها فيما اعتمدنا عليه من المراجع . ومنها كتاب ( مطالع السعود في أخبار الوالي داود ) للشيخ عثمان ابن سند البصري الوائلي وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً فيه تاريخ وفيه شعر للمؤلف نفسه وهو من أهم المراجع التي تتصل بهذا البحث . وكتاب ( ترفة الدنيا في مدائح الوالي يحيى ) لعبدالباقي العمري وقد جمع فيه ما نظم الشعراء في مدح يحيى الجليلي والي الموصلي .

ومنها كتاب ( وشاح الرود والجواهر والعقود في نظم الوزير داود ) للشيخ صالح التعميمي ولكن هذا الكتاب قد اختفى مع كتابه الثاني المسمي ( شرك العقول في غريب المنقول ) الذي أرخ فيه أربعين السنة الأولى من القرن الثالث عشر للهجرة .

ومنها كتاب ( العقد المفصل ) للسيد حيدر الحلبي وهو على غرار الأمالي وقد ألقه لصديقه العالم الشاعر الحاج محمد حسن كبة أحد تجار بغداد وقد طبع هذا الكتاب فيما بعد سنة ١٣٣٢ هـ في بغداد . و ( دمية القصر ) للمؤلف نفسه . ومن كتب العقائد كتاب ( النفحات القدسية في الرد على الإمامية ) لابي الثناء الالوسي .

وقد شاع في هذا العصر شرح القصائد الدينية والصوفية ومنمن اشتهر بذلك أبو الثناء الالوسي فقد شرح لعبدالباقي العمري قصيدة في مدح الإمام علي وأخرى في مدح الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وهذا الذي ذكرناه ليس كل المؤلفات التي ظهرت في القرن التاسع عشر أما دواوين الشعر فانها كثيرة استعرضنا معظمها في الباب الثاني من هذا البحث .

#### نشر المؤلفين والادباء :

ليس من الاجحاف أو الغبن أن نقول : ان النثر في العراق كان امتداداً لخط يبدأ أوله من عصر الانحطاط فلم يكن كل نثر قد طاوعته الاداة ومكنته الذهن من تطويق المعانى . نعم كان في العراق نثر علمي ألف به كتب الفقه والاصول والحديث والتفسير وأمثالها ولكن هذا النثر ليس

دليل الابتكار والتجدد لظهور فيه الميزة الادبية بل هو اعادة وتكرار للقواعد القديمة مع شيء من اضافات المؤلف ، والمفروض في النثر العلمي أن يخلو من المبالغات والخيال والزخرفة وأن يسلم من الاخطاء التحوية واللغوية لانه يتعلق بمسائل وأحكام يجب أن توضع في قوالبها الخاصة بها وأن لا يكون فيها زيادة أو نقصان . أما النثر الادبي فانه غير خاضع للقيود العلمية والمنطقية الا في حدود واقعه وصوره التي وضع من أجلها وهي تأدبية الغرض والتعبير عن فكرة سليمة تعبيرا جميلا مقبولا ، ولكن كالنثر العلمي في خضوعه لنقاعد اللغة وال نحو غير أنه لا يمتنع عن الخيال والعاطفة والمبالغات في حدودها المألوفة فلا اغراق ولا تهويل ثم هو في مقاييسه الصحيحة ما كان بعيدا عن التكلف والزخرفة المصطنعة وعن استخدام فنون البداع استخداما لا جمال فيه ولا فنية ، ومثل هذا النثر قل أن شهده الفرن التاسع عشر في العراق بل قل أن شهد من سما بالاسلوب عن مستوى القاضي الفاضل وترفع به الى ابن العميد فلا ترسل في الاسلوب ولا دقة في المعانى وإنما كان هدف الناشر أن يأتي بالاسجاع والفوائل وأن يجنس ويورى ويكثر من المترادات وأن يزخرف ويبلون وقد يأتي بأمثلة وشواهد من الشعر تتخلل نشره كأنه يكتب مقامة أو يضع خطبة . وحتى ذلك التاريخ القليل الذى كتب عن العراق كان خاصعا للسجع والفوائل وعدم العناية بالحقائق التاريخية التى كان أكثرها يضع خلال الاسجاع والمبالغات (٣٣) .

(٣٣) مما يمكن الحاقه بهذا النثر ما كانت تنشره جرائد الحكومة التي صدرت في أواخر القرن التاسع عشر وهي جريدة (الزوراء) وقد أنشأها الوالي مدحه وصدر العدد الاول منها في يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الاول عام ١٢٨٦هـ الموافق للسادس عشر من حزيران عام ١٨٦٩م ، وجريدة (الموصل) وقد صدرت عام ١٣٠٣هـ ١٨٨٥م وجريدة (البصرة) وقد صدرت عام ١٣١٣هـ ١٨٩٥م وهذه الجرائد - ولاسيما الزوراء - كانت تراعى اللغة التركية الى جانب اللغة العربية الضعيفة بل كانت تطغى عليها العامية المبتذلة الا القليل مما كتب في أواخر القرن التاسع عشر ، وقد ذكرت بعض النماذج مما كانت تكتبه جريدة الزوراء . راجع المحتوى ٧٩ و ٨٣ و ١١٠ من الفصل الاول .

ولم تكن موضوعات النثر على شيء من التجديد فيما هو معروف قديماً فهى لا تعدو مقدمات الكتاب وبعض دواوين الشعر والتقاريف والرسائل والرحلات والعراضن التي كانت ترفع إلى السلطان والولاة والحكام فى التماس شيء أو طلب منفعة ، ومهما يكن من شيء في أمر هذا النثر فإنه لا يعدم بعض الصور التي يمكن أن تؤدى وظيفتها في مجال النثر العام من حيث الأسلوب والموضوع وهو - على ما فيه من قصور عن المدحاق بالشعر - كان لا يعدم ألواناً من تصوير السياسة والمجتمع<sup>(٣٤)</sup> .

### نهضة الشعر :

إن الأدب العربي في نهضاته القديمة لم يكن ولد المصادفات بل كان ولد حركات قوية وملكات أصلية وبيئات مهيأة فقد ساعد على نموه وتطوره خلفاء وملوك وأمراء ووزراء وساعد على نموه وتطوره مواهب فذة وعقربيات خلاقة مبدعة وبيئات تنبت المواهب وترهف الشعور وتغذى الإحساس وتنمى الملكات ، وتلاقت هذه الأسباب وغيرها فافتتحت أدبًا عربياً خالداً لا يستغنى عنه ما دامت اللغة العربية قائمة حية ، وشاعراً لا يمل ما دامت النفوس تهتز للغناء وتطرب للانشداد .

أما في القرن التاسع عشر فقد خلا العراق من خليفة يثيب أو أمير يهب أو وزير يرعى عدا ما سجله الثالث الأول منه لوالدين من ولاة بغداد هما داود المملوكي على خلمه وتعسفه وعلى رضا على قوته وبطشه ، وعدا ما سجله أيضاً للولاة الجليلين في الموصل ، أما في الثلاثين الآخرين فقد قل أن شهد العراق والآيا أو حاكماً قرب الشعراً وأنابهم إلا القليل منمن كان الوقوف على أبوابهم مشوباً بكثير من الذل والاستعطاف وقد ذهب هؤلاء وليس لهم أثر يارز في نهضة أدبية أو حركة علمية . والذى عرفناه من تاريخ القرن التاسع عشر في العراق أن أكثر الشعراً - ومثلهم رجال الدين

---

(٣٤) راجع ما نقلناه من عبارات أبي الثناء الالوسي في الفصل الاول ص ٤٣ و ٤٤ .

البارزين - قد عاشوا في ضيق ونكد<sup>(٣٥)</sup> ، وكان بعضهم يعمل في الأسواق للحصول على رغيف الخبز<sup>(٣٦)</sup> ولم يدفعهم إلى نظم الشعر غير حب الشعر وقد سجل الكثير منهم صوراً تمثل إلى مدى بعيد ما كان يعانيه أولئك من شفف العيش وضيق مسامع الرزق ومن ذلك قول السيد حيدر الحلي أشهر شعراء الفرات آنذاك :

لَا عَدَا مِسْمَ الْهَجَاءُ أَنَاسًا  
كَانَ وَسْمَ الْمَدِيجِ فِيهِمْ غَرِيبًا  
صَبَغَ اللَّهُ أَوْجَهَ الْبَيْضَ وَالصَّفَرَ  
بَحْظَ الَّذِي يَكُونُ أَدِيبًا  
كَمْ أَعَارَتْ مَحَاسِنَ الدَّهْرِ قَوْمًا  
مَلُؤَا عَيْنَةَ الزَّمَانِ عِوبًا

وقوله :

وَحَسِبَ نَفْسِي وَانْ أَصْبَحْتُ ذَا عَدْمٍ      مِنْ تِرْوَةِ أَنْتِي مِثْرُ مِنَ الْأَدَبِ<sup>(٣٧)</sup>

أَمَا الْآخِرُسُ الْبَغْدَادِيُّ فَقَدْ أَكْثَرَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :  
أَسْفًا لِلشِّعْرِ لَا حَظَ لَهُ      فِي زَمَانِ الْجَهْلِ وَالْقَوْمِ الْلَّثَامِ<sup>(٣٨)</sup>  
وَقَوْلُهُ :

وَأَنْفَقْتُ أَيَامِي عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ      فَلَا مَنْهَلًا عَذْبًا وَلَا عِيشَةَ رَغْدًا<sup>(٣٩)</sup>  
وَقَوْلُهُ :

وَمِنْ مَضْضِ الْأَيَامِ مَدْحِي عَصَابَةٍ      بَذَلتُ يَدِي فِيهِمْ وَمَا نَلْتُ أَصْبَعًا<sup>(٤٠)</sup>  
وَمِثْلُهُ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ الطَّبَاطَبَائِيُّ فَقَدْ قَالَ :  
لَقَدْ قَسَمَ اللَّهُ رِزْقَ الْوَرَى      وَقَرَرَ بِالرِّزْقِ أَقْسَامِهِ

(٣٥) يقول أبو الثناء الالوسي بعد تخليه عن منصب الافتاء وانصرافه إلى اتمام تفسيره معبراً عن عوزه : « حتى كدت أكل الحصير وأشرب عليه مداد التفسير ... ». راجع (غرائب الاغتراب) ص ٢٥ .

(٣٦) راجع (نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر) للدكتور محمد مهدي البصیر ص ١٣ .

(٣٧) ديوان السيد حيدر الحلي ص ٦٩ و ١٠٣ .

(٣٨) الطراز الانفاس ص ٣٤٩ .

(٣٩) من مجموعة للاخرين لم تنشر ص ٣٤ من نسختي الخطية .

(٤٠) الطراز الانفاس ص ٢٥٢ .

وهل نافعى أنتي شاعر تضر وتتفح أشعاريه  
أديب وتدركنى حرفه الاديب فعسا لآدابه<sup>(١)</sup>

اما السيد جعفر الحلى فانه يقول :  
ملكت فكرتى بكار المعانى والى الان ما ملكت كتابا<sup>(٢)</sup>

ولعل الشاعر هنا لا يذهب بعيدا في خياله فيدعى أن الشعر كان يائمه  
وحجا والهاما دون أن يقرأ كتابا وإنما كان محتاجا لا يستطيع أن يستطع  
الكتاب ليقرأه فجمع بين الفخر بنفسه وبين واقع حياته .

واذا عرفا أن كبار الشعراء في القرن التاسع عشر كانوا لا يجدون  
ما يكفيهم من وسائل العيش أدركوا تعليل تلك الظاهرة الادبية التي بنت  
على ضفاف الرافدين في القرن التاسع عشر ، وتعليل تلك الظاهرة لا يعدو  
قوة الاستمرار وعامل البيئة الطبيعية والبؤس الذي يدفع الى التذمر وارهاف  
الشعور الى جانب شيء من الرعاية كان يلقاه بعض الشعراء من بعض الاسر  
الغنية في العراق والى جانب الحركة العلمية التي نشطت في المدن الشهيرة ،  
ومما لا شك فيه أن البيئة العراقية بمناخها المتغير المتقلب وبحرارة صيفها  
وببرودة شتائها وبأنهارها وجداولها ونخيلها وحقولها وبأريافها وصحاريها قد  
شحدت الموهاب ودافعت بها الى الاتاج وان الحركة العلمية التي نشطت في  
بعض المدن قد ساعدت عامل البيئة الطبيعية على النشاط الادبي وتطور الشعر  
من جمود القراءة المفلمة الى التعلم والارهاص .

وقد انفردت مدينة النجف ومثلها مدينة الحلة بهذه العوامل المؤثرة في  
تكوين نهضة شعرية عزيزة الجاذب . كانت الحلة في موقعها الجغرافي  
الجميل موطنًا من مواطن الشعر بل كاد الشعر أن يكون فيها سليقة يجري  
على كل لسان وحسبنا أن نعرف من موقعها أنها تطل على جانبي الفرات  
بالقرب من بابل القديمة وقد تعلقت عليها ظلال التخييل وأفياه الشجر  
الوارف وعلى مدى غير بعيد منها تساب الفروع والجداول خلال الواحات

(٤١) ديوان السيد ابراهيم الطباطبائي ص ٢٧٢ .

(٤٢) سحر بابل ص ١٠ .

الحضر ، وكان لها من تاریخها القديم میراث ضخم من العلم والادب والشعر الكثیر وقد حافظت على هذا المیراث وسارت على نهجه وتعدد فيها الشعراء وقائمة القریض الرقيق والتأثير وكان نظم الشعر لدى سکانها سهلا مطابعا حتى على ألسنة الاميين الذين لا يقرؤن ولا يكتبون فیأتون به عذبا جميلا لا خروج فيه على قواعد اللغة وأوزان العروض <sup>(٤٣)</sup> .

اما مدينة النجف فانها تختلف عن مدينة الحلة في موقعها اذ هي أشبه ما تكون بصومعة أقيمت على جبل صحراء لا ماء فيه ولا شجر <sup>(٤٤)</sup> وكانت ترتفع عن الفرات القريب منها شرقا ارتفاعا غير قليل فلا يصل اليها ماء و كانت حاجتها الى الماء قد تشتد في كثير من الاحيان فتصل الى درجة العطش وقد بقیت هذه المدينة داخل سورها تعلل على بحيرة جافة في المنحدر الغربي منها وليس في تلك البحيرة او ذلك المنحدر من التخل والشجر الا القليل أما المدينة فانها تستقبل الشمس من أرياف العراق الوسطى وتودعها في صحراء نجد وتقلها الفصول بين سوم الصيف الشديد وزمهرير الشتاء الجاف ويعاني أكثر سکانها مرارة الفقر والعسر وقد ساعد على بقائها شامخة في هذا المكان المنعزل كونها ملتقى الشيعة يؤمونها لزيارة ضريح الامام علي وكونها مدينة علمية نشطت فيها البحوث الشيعية على مذهب الامام جعفر الصادق وجمعت فيها اسفار كبيرة من المخطوطات منذ القرن الخامس للهجرة ، هذه المدينة بما فيها من علم وأدب وبما في حياتها من خصوصية وبما ليس بها من تقلب بين الحر والبرد ولا يفقها من صفاء وجمال كانت ذات انر كبير في تفتح الاذهان وتوقى الشعور وارهاف الحس فقد تخرج فيها كثير من الشعراء وغصت نواديها ومحافلها بعشرات منهم واستمعت الى مسجلاتهم

(٤٣) راجع نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص ٢٩٤ -

٢٩٥

(٤٤) كانت النجف عامرة بالعرب أيام المناذرة وكانت الاديرة منتشرة فيها حتى مدينة الحيرة القريبة منها ، وفيها عيون نابعة تمتد الى الصحراء .  
راجع (البلدان) لابن الفقيه ص ٦٨٧ .

ومطارحاتهم والى جدهم وفكاها لهم وكانت محافل الاشاد ومواسم الشعر في أيام الافراح والاحزان تشجع على نظم الشعر وتدفع الشعرا على الاستمرار والصعود .

وقد شهدت بغداد نهضة شعرية مرمودة أيام الوالي الملوك داود فالوالى على رضا واستمرت تلك النهضة ولكنها كانت أضعف مما كانت عليه . وقد أسممت مدينة الموصل بتصيب غير قليل في بناء النهضة الشعرية في عصر الولاية الجليلين ثم ضعفت الحركة فيها بعد هؤلاء .

أما الاسر التي ساعدت على نمو النهضة الادبية فهى غير قليلة في المدن العراقية ومن هذه الاسر من جمع بين العلم والادب كالشيخ جعفر الكبير المعروفة بأسرة (آل كاتشف الغطاء) وأسرة بحر العلوم والأعسم وغيرهم في التنجف ، وكالقزويني فيحلة وآل الالوسى والجميل في بغداد ، وآل العمري والغلامى في الموصل . ومن الاسر الفنية التي قربت الشعراء آل باش اعيان والزهير وأمراء كعب في البصرة وأطرافها وكان في آل كبة والشاوى أدباء وشعراء كما كان فيهم من أخذ من العلوم الدينية بتصيب غير قليل .

#### م الموضوعات الشعر وطريقة الاداء :

لم تختلف موضوعات الشعر في القرن التاسع عشر عما كانت عليه في القرون السابقة ولم يستطع الشعراء أن يجددوا تجدیداً بارزاً ملحوظاً إلا فيما ندر من وصف بعض المخترعات كالترامواي<sup>(٤٥)</sup> والباخرة<sup>(٤٦)</sup> وأسلاك البرق<sup>(٤٧)</sup> وال الساعة<sup>(٤٨)</sup> وصفاً غير فني ، فقد التزموا بالموضوعات القديمة

(٤٥) راجع : ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى ص ٧١ - ٧٢ - ونهاية العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص ٢٨٢ .

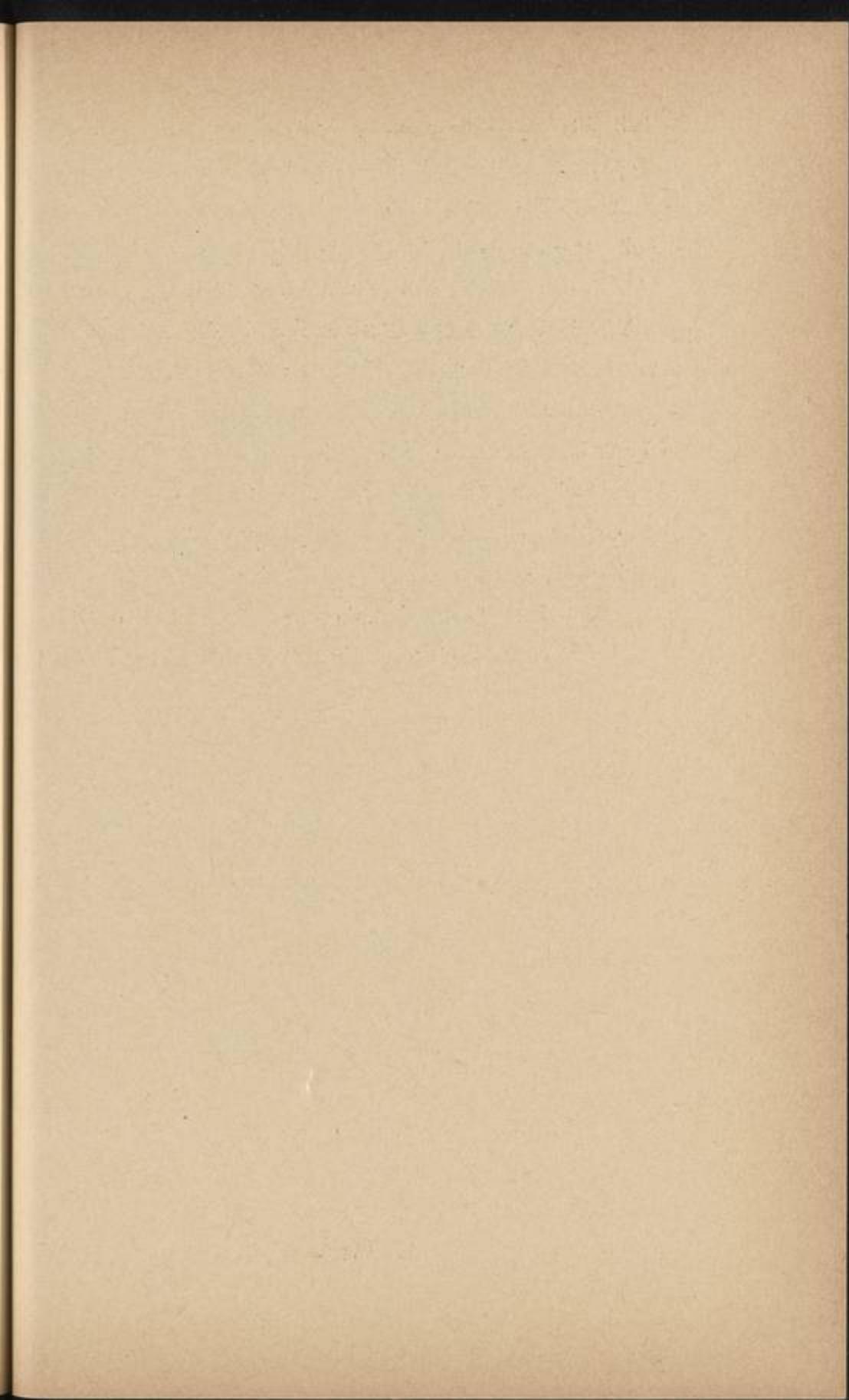
(٤٦) راجع : الطراز الانفس ص ٤٢٧ .

(٤٧) راجع الترائق الفاروقى ص ٣٥٤ - ٣٥٦ .

(٤٨) راجع ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى ص ٤١ وسحر بابل ص ٣٧ .

من المدح والتهانى والرثاء والغزل والمداعبات والاخوانيات ونظم التوارىخ  
للحوادث والمشائت وأكثروا من مدح آل البيت ورثائهم كما أكثروا من  
شعر التوسل والتتصوف ولهم في الحماسة والفحقر والتذمر والشكوى  
والتنديد بالفللم شعر غير قليل ولم تخل بعض الدواوين من شعر الهجاء  
ولكنه قليل بالنسبة للموضوعات الأخرى \*

أما طريقة الاداء فقد كانت تختلف باختلاف المناسبة فالرثاء لا يعدو  
القصيدة ذات القافية الواحدة والمدح كالرثاء ولكن قد يأخذ طريقة الموشح  
كما في شعر السيد محمد سعيد الحبوبي وبعض قصائد السيد حيدر الحلبي .  
وأبرز شيء في موضوع المدح والتهانى ما في القصيدة من مقدمة تقليدية قد  
تكون غزلا أو وصفا للخمر وقد تكون نسيا مصطنعا يخرج فيه الشاعر عن  
بيته ويتبع في صحراء نجد ووديانها . وكان التخييس والنشطير من طرق  
الاداء التي شاعت في هذا العصر ولاسيما في موضوعات المدح والتهانى  
والفحقر والحماسة والشكوى . ولعل في الفصول الآتية ما يكشف عن  
جوائب كثيرة من خصائص الشعر في القرن التاسع عشر .



## الباب الثاني

### الشعر السياسي

- ١ - تمهيد - الشعر السياسي : معناه وتطوره .
- ٢ - الفصل الاول : الشعر والحوادث الوهابية .
- ٣ - الفصل الثاني : الشعر بين الحس العربي والشكوى العامة .
- ٤ - الفصل الثالث : ثورة الشعر في ظل العقيدة .
- ٥ - الفصل الرابع : الشعر في ركاب الدولة .
- ٦ - الفصل الخامس : القيم الفنية والموضوعية .

## تمهيد

### الشعر السياسي - معناه وتطوره

لعل من الضروري في دراسة الشعر السياسي الحديث أن نقدم له بشيء من الإيضاح والتفسير لمعنى السياسة عند القدماء والمحدثين ولمعنى الشعر الذي يلامسها ويتصل بها فيسمى شعراً سياسياً • وأن نشير بایجاز إلى هذا النوع من الشعر في تاريخ العرب وأدابهم •

ان كلمة (سياسة) عند العرب تعني تدبير شؤون الناس وتولى أمورهم والريادة عليهم ونفاذ الامر فيهم<sup>(١)</sup> وهي أيضاً استصلاح الخلق بارشادهم إلى الطريق الصحيح<sup>(٢)</sup> • أما عند المحدثين فهي تعنى : حكم الامم أو فن هذا الحكم • وهي كما تتصل بنظم الدولة في الداخل تتصل أيضاً بنظمها والتزاماتها مع الدول الأخرى<sup>(٣)</sup> • وما دامت السياسة كما حددها في هذه التعريف المشهورة فإن الشعر الذي يلامسها ويعبر عنها يسمى شعراً سياسياً سواء تناول نظم الدولة الداخلية أو مس مكانتها الخارجية بين الدول والأقطار وسواء التزم جانبها ودافع عنها أو وقف مناوئاً لها ولاعماها • وليس من الضروري في هذا الشعر أن يعبر عن رأي يقرره المجتمع فقد يكون الرأي خاصاً بالشاعر أو بفئة قليلة من تنتظمهن تلك الدولة ، كذلك

(١) راجع لسان العرب • والقاموس • في مادة (سوس) •

(٢) راجع (رسائل أخوان الصفا) ج ١ ص ٢٠٧ طبع مصر •

(٣) تاريخ الشعر السياسي • لاحمد الشايب ص ٣ و ٤ ط ٢ •

ليس من الضروري في الشعر السياسي أن يلتزم البراهين والتفاصيل بل يمكنه أن يلمح ويوجز وترك التفاصيل والجزئيات للتاريخ وللناس لأنه ولد العاطفة والخيال ومثل هذا الشعر الذي لا يلتزم البرهان والاحتجاج يدخل فيه المدح والهجاء والحماسة والضحك والوصف والرثاء والغزل أيضاً<sup>(٤)</sup> متى ما كانت هذه الفنون تتصل بحكم أو مذهب وإن لم تعالج النظريات السياسية بالشرح والتفصيل . هذا هو الأصل في الشعر بوصفه فنا يقاس بغايته التي يرمي إليها غير أنه لم يحمل الناحية التفصيلية في كل صوره بل عالمها فاحتاج وساق البراهين وتناول المعانى الجزئية مع احتفاظه بخصائصه الفنية .

وليس من الضروري في الشعر السياسي أيضاً أن يكون تعبيره عن السياسة - سلباً أو إيجاباً - ناشتاً عن عقيدة يؤمن بها الشاعر ويدين بها بل قد يكون ذلك ناشتاً عن طمع في مال أو منصب أو خوف من شر أو عن صلة خاصة بين الشاعر والحاكم ومثل هذا يعد تأييداً سياسياً غير مباشر<sup>(٥)</sup> . هذا الضرب من الشعر كان في كل عصوره وأفاته من أبرز المقاييس في رسم الجانب السياسي لحياة العرب ونظمهم حتى البدائية منها أو الشبيهة بالبدائية ، وكان وسيلة هامة من وسائل التعبير التي تناولت السياسة منذ العصر الجاهلي فقد كانت القبيلة العربية آنذاك أشبه ما تكون بالصورة المصغرة للدولة<sup>(٦)</sup> بوصفها ذات مكان ووحدة ونظام ورئيس يشرف عليها ، وكانت صلتها بالقبائل الأخرى تشبه صلات الدول الآن<sup>(٧)</sup> ولو إلى حد قليل . وإذا استعرضنا الشعر الجاهلي في جملته وتفصيله وجدناه قليلاً يخضع في تجاربه لسيادة القبيلة ومكانتها بين القبائل الأخرى وإن كان غالباً يشمل معظم الموضوعات ، فهو يستمد مقومات القبيلة في إطارها الداخلي حين يعزز بها ويمدح رجالها وأعمالها وقد ينور عليها ويؤنبها لأنها قصرت

(٤) راجع المصر السابق ص ١١ و ١٢ و ٢١٤ و ٢١٥ .

(٥) هذا الشعر اعتمد عليه الامويون أيام عبد الملك بن مروان .

(٦) تاريخ الشعر السياسي ص ٤ .

(٧) في الأدب المقارن - لعبدالرزاق حميدة ص ١٠٧ .

في حماية أو تخاذل في موقف ، وهو يستوحى مكانتها الخارجية حين يفتخر بها أمام القبائل ويدرك أيامها ويهجو أعداءها وينازل خصومها من الشعرا . ولقد كان إلى جانب هذه الانواع نوع آخر ثائر لا يمس القبيلة في شيء من ذلك بل كان يمس النظام القبلي عامة من حيث اضطرابه ويمس النظام الاقتصادي من حيث تقصيره في حماية الأفراد من الجوع وال الحاجة ، وهذا النوع من الشعر يكاد ينفرد به الشعرا الصعاليك الذين كانوا ثائرين على الفقر والعوز<sup>(٨)</sup> .

وإذا تركنا العصر الجاهلي لاستعراض العصور التي تلتة فاتنا برى الشعر السياسي قد تطور واتسع نطاقه من حيث الموضوعات نتيجة لتطور الحكم والنظام عند العرب بعد ظهور الدعوة الإسلامية وقد شهد صدر الإسلام صورا كثيرة تؤيد الحكم الجديد المتمثل في الدين الإسلامي وتدافعت عنه وتردد على الجانب المناوى الذى تمثله صور أخرى ليس لها خط فى الدراسات كخط تلك ، وجاء العصر الاموى فتشكلت الأحزاب التى اتخذت من الدين الإسلامي شعارا لها و كان أقوافها الحزب الاموى الحاكم ثم حزب العلوين الثائرين فى وجه الحكم الاموى ، ثم الخوارج الذين استمر صراعهم طيلة الحكم الاموى ودون هؤلاء حزب الزبيريين الثائرين على بنى أمية أيضا ، وفي عصر هذه الأحزاب كانت التزعيات القبلية قد عادت إلى ما هو أشد من الجاهلية في الصراع والتزاوج وكان هذا كله مؤمرا قويا في توجيه الشعر السياسي إلى حيث يتمثل في الصراع القائم بين تلك الأحزاب وتملك القبائل وإلى حيث يمثل الآراء والعقائد السياسية ويصور الحالة العامة حتى الفقر وال الحاجة .

ولما أديل الحكم إلى العباسين انتقل الشعر إلى تأييد البيت العاشمي من عباسين وعلويين ثم انقسم بعد برقة وجزء إلى شطرين أحدهما مع الجانب العاشمي وهو الغالب وناتهما مع الجانب العلوي بعد أن ظهر عداء العباسين لآل علي ، على أنه كان إلى جانب هذا صور غير قليلة ليست في

---

(٨) استمر هذا النوع من الشعر طوال العصور .

جانب أولئك أو هؤلاء كالشعر الذي مدح به بعض الامراء والوزراء أو رؤساء القبائل من غير العباسين أو العلوين وكالشعر الذي فيه تلميح أو تصريح بالاستياء من الحكم والسياسة ، هذا في العراق أما في الشام ومصر والمغرب والأندلس فانى أترك التفصيل الى المراجع الكثيرة التي عنيت بتسجيل هذا اللون من الشعر ٠

ولقد استمر الشعر السياسي فى طريقه المرسوم له يؤيد ويناوئ ولكنه فى أواخر العصر العباسي حتى نهاية القرن التاسع عشر قد استحال معظمه الى مدح وتأييد للحكم أيا كان ذلك الحكم وفي أي قطر من الأقطار العربية وقد فقد قوته فى فيه و موضوعاته الا القليل مما كان يصدر عن بعض الشعراء الذين لم يرافقوا الحكم أو يتصلوا به اتصالا مباشرأ ولا ما كان للشعراء العلوين الذين طبعوا شعرهم بطابع التشيع والولاء لآل علي ٠

ولقد تركت التفصيل فى دراسة التطور الذى رافق الشعر السياسي فى كل أدواره لأن ذلك لم يكن من عناصر الموضوع الذى تتناوله هذه الدراسة الخاصة بالقرن التاسع عشر وإنما استعرضت هذا التطور بایجاز - الى جانب توضيح المعنى - لكن أقرب على مظاهر التشابه بين الشعر السياسي فى القرن التاسع عشر وبينه فى العصور القديمة ولكن أربط الصور التى رسماها شعراء العراق فى القرن التاسع عشر بأمثالها من الشعر القديم ان لم يكن فى الفن والإداء ففى الموضوع والغاية فان فى هذه الصور ما يخصن للحكم ويؤيدنه كمدح السلاطين والولاة ومن دونهم من الموظفين سواء جاء هذا المدح فى مناسبة عامة أو جاء فى مناسبة خاصة أو كان صادرا عن ضمۇ فى مال أو منفعة يقصدها الشاعر لنفسه<sup>(٩)</sup> ، وإن فى هذه الصور ما يدل على تذمر واستياء من الحكم وفساد النظام وإن كان قليل الصرامة والجرأة ، وفيها ما شاع من مدح الزعماء العرب ومن الحماسة والفاخر والاعتزاز

(٩) فى بعض دواوين الشعراء قصائد فى مدح بعض الحكام الایرانيين كناصر الدين شاه وابنه مظفر الدين وغيرهما وهى تتصل - فى الغالب - بما يقوم به هؤلاء من تعمير العتبات المقدسة وقد تركت ذكر هذه القصائد لقلتها ولانها لا تؤلف موضوعا سياسيا واضحا ٠

بالنفس أو بالامة التي يتمنى إليها الشاعر . وفي هذه الصور ما يتصل بالشكوى والتذمر من الحياة وما يعبر عن الحاجة والفقير نتيجة لفساد الحكم وفساد النظام الاقتصادي . وهناك نوع هام من الشعر السياسي في القرن التاسع عشر وهو الذي صور اتجاه الشيعة وأثر السياسة والحكم في حياتهم العامة فقد برز هذا الشعر واضحاً في شعر المراتي آل البيت وفي القصائد الكثيرة التي وجهت إلى المهدى المتظر .

والى جانب هذا وجدنا لوناً آخر من الشعر السياسي ظهر في العراق خلال القرن التاسع عشر وهو الشعر الذى حارب الوهابيين وعقيدتهم ، ولعل هذا اللون الذى رافقه بعضه مؤشرات من العقيدة الشيعية الى جانب قصائد الثناء للإمام الحسين وآل البيت وقصائد التوسل بالمهدى يمكن أن يشبه الى حد كبير تلك الصور التي ظهرت في الشعر الحزبي خلال الاعصر الاول . على أن هذا الشعر في كل موضوعاته لا يستطيع أن يسامي الشعر القديم في قوة الاداء والتعبير وأن أشيه معظمه في المسارك والاتجاه .

## الفصل الاول

# الشعر والحوادث الـوهابية

لقد مر في الفصل الاول من الباب الاول توضيح غير قليل لتاريخ الدعوة الـوهابية والحروب والحوادث التي تم خضت عنها وقيام الدولة العثمانية بحملاتها العسكرية المتابعة للقضاء عليها ، وكانت الغاية من توضيح تلك الحوادث على وجه الاجمال لا التفصيل والغاية بها في الفصل السياسي توضح الجانب الـادبي الذي رافقها في مختلف مراحلها وسجلها في اهم اعمالها ، وأعني بالجانب الـادبي الشعر الذي نظمه شعراء العراق في تلك الحوادث مستجذبين لعوامل الدين والسياسة منطلقين مع البواعث النفسية والاجتماعية لتناولها تناولا يعبر عن واقع الرأي الاسلامي العام او العراقي على الاخص آنذاك<sup>(١)</sup> .

ولقد كان من حق المنهج الذي وضع أن يوزع هذا الشعر بين الفصول الاخرى لأن منه ما يتصل بالدولة ومدح اعمالها التي نهضت بها لمحاربة الـوهابيين وللدولة وأعمالها فصل خاص ، ومنه ما يتصل بالعقيدة الشيعية التي أثرت في توجيه الشعراء ورسمت لهم طريق النور على الـوهابيين

(١) لقد وجدت فيما وقع في يدي شاعرا عراقيا واحدا مدح الدعوة الـوهابية وأصحابها وسيأتي ذكره في آخر الفصل . أما شعراء نجد فان لهم قصائد في مدح الـوهابيين .

وللعقيدة الشيعية فصل خاص أيضاً، غير أن حق التاريخ الأدبي كان أكبر في نظرى من حق المنهج الذى رسمته واتبعه فى معظم فصول الرسالة لأن الدعوة الوهابية لم تكن دعوة صغيرة تذهب كما يذهب بعض الفواهر الضعيفة الشأن ولأن حوارتها وحروبها واهتمام الدولة بها لم يكن فى حدود ضيقه ولأن الشعر الذى قيل فيها لم يكن خطرات عابرة لا شأن لها ولم يكن من القلة وعدم الجدوى بحيث يتاثر هنا وهناك . لهذه الاسباب ولكن هذا الشعر جديداً فى موضوعه وموحياته رأيت أن أفرد له فصلاً خاصاً به ليكون ذا وحدة تاريخية مترابطة الاجزاء وليس له شكله وموضوعه دون تفكك وتثار ، ولقد رأيت أن أدرس هذا الشعر الذى قيل فى الحوادث الوهابية وفق المراحل التى مرت بها وأن أتابعه فى مراحلين هما أهم مؤثر فى تكوينه وخلق صوره على اختلاف قيمها وأساليبها .

#### في المرحلة الأولى :

لقد كانت المرحلة الأولى التي بدأت بالحركات الوهابية وانتهت باحتلال نجد والمحاز من جانب الجيش المصرى<sup>(٢)</sup> مرحلة حادة فى حوارتها المؤثرة التي استجاب لها الشعرا استجابة الناقم المغضب وكان هؤلاء الشعرا فيما نظموه ازاء هذه الحوادث لا يقلون اندفاعاً عن رجال الحكم والدين وزعماء القبائل وقد سجلوا معظم تلك الحوادث - ولاسيما التي تعرض لها العراق - تسجيلاً لا يقل في اسلوبه وتعابيره عن قوة العاطفة الدينية والشعور السياسي المناوي للوهابيين ، فلقد كان في جانب منه يعبر بلوعة وحسنة عن مدى تأثير الغزو الوهابي للمدن الشيعية المقدسة وأعمال الوهابيين التي عدت انتقاماً واعتداءً واهانةً لمراقد آل البيت ، بينما يعبر من جانب آخر عن مدى تأييد الشعرا للخليفة العثماني ومن يمثله في العراق على محاربة الدعوة الوهابية وأتباعها .

ولقد سجلت بداية القرن التاسع عشر حادثة خطيرة هزت عواطف

(٢) راجع الفصل السياسي - القسم الأول .

الشعراء وأثارت فيهم الالم الشديد والاستكثار الصارخ وهي حادثة غزو  
كربلاه سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠٢ م<sup>(٣)</sup> ومن الطبيعي أن تثير هذه الحادثة شعراء  
الشيعة على الاخص لأنها استهدفت المدينة التي تضم مرقد الامام الحسين بن  
علي وانتهت بنهاية الفريح المقدس وهدمه وقتل كثير من المجاورين له وفيهم  
رجال الدين والاطفال والنساء .

وقد نظر الشعراء الى هذه الحادثة كأنها تجديد لمسألة الحسين يوم  
استشهد في كربلاه مع اخوه وأبنائه وأنصاره فبكوا وسخلوا واستهضوا  
 وأناروا ونقموا على الوهابيين أشد النقمه وهددوهم وناظروهم وجادلوهم .  
وكان من أبرز الشعراء الذين استفزتهم هذه الحادثة الحاج هاشم الكعبي  
المتوفي سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٦ - ١٨١٧ فقد كانت عاطفته الشيعية حافزاً مثراً  
لتتجربة طافية بالالم الشديد وقد انطلقت هذه التجربة العادة في قصيدة  
صبغها بالدماء وحشد فيها صوراً متجاهسة كل جانب منها كان حزيناً ، وقد  
استعرض فيها أسماء من قتلوا من رجال الدين وبكي فيها أولئك القتلى وصور  
ذعر النساء وما أصابهن من الذهول لفقد رجالهن وقتل أطفالهن . ثم بكى  
الامام الحسين وأشار الى أن هذه الحادثة انتها هي تجديد ليوم قتل فيه  
الحسين ، ثم استهض فومه للأخذ بالثار وجادل الوهابيين جدلاً في نورة  
الشاعر وعاطفة الناقم وختم القصيدة باستهض تقليدي للامام المهدى . أما  
أول القصيدة فنسب تقليدي يتألف من خمسة أبيات تبدأ بقوله :

أنت الملوم فمن يكون الألوما فلك الظما هيات معسول اللهي

ثم يبكي القتلى فيقول :

يا سعد قف بي في المنازل ساعة  
بكى نفوس تقي تراق على الغبا  
بكى لصرعى في التراب تخالها  
بكى حرائر هتك أستارها

بنكى فربت عبرة تروى ظما  
ظلمما وأجساداً تسفلها الدما  
في الليل من فوق البسيطة أنجما  
بعد الحجاب فأصبحت مثل الأمما

(٣) راجع ص ٣٢ و ٥٦ .

ويشير الى مدينة كربلاء :

قد كنت أحسب أن غاية كربها  
فذا الرزايا لا تزال بربها

والى الحسين يوم قتل ويوم غزا قبره الوهابيون :

لم تَفْتَ قارعة تحل بربه  
كتب البلاء على علاه كأنما  
جِيَا وَمِيَّا لا يزال مجرعا  
ويروح يوما صدره متهدما  
خلفاً توارثه البغاء وسيرة  
يَقْفُو بها المتأخر المتقدم

وبعد أن يكى ويتألم لما وقع يعلن سخطه على من بهى حيا لم يسلك  
سبيل أولئك القتلى المجاهدين فيخاطبه أو يجرد من نفسه شخصا  
يُخاطبه فيقول :

شأن الغواني صار شأنك لم تكن  
ان كان همك ليس الا بالبكا  
فلم ادخلت من السيف مصمما

وينظر الوهابيين ويجادلهم فيقول :

يا للرجال الا معود شيبة  
أعلم يكن فيكم مراع حرمة  
ان صح أن ولاء آل محمد  
ان صح أن الواصلين نبيهم  
ان صح أن المسلمين بأسرهم  
ان صح لا خلفاء بعد نبيهم  
بل كلام باغ مضل مبدع  
ان صح قول ( سعود ) ألا مسلما  
ان كتم من ليس يخشى محrama  
وهوامر قد كان شركاً أعظمها  
في آله يستوجبون جهنما  
ما فيهم الله من يحمى حمى  
أو لا أئمه حرموا ما حرما  
الا سعود فنوره يجلو العمى !!

ويختتم الشاعر قصيده باستهاض الإمام المهدي فيقول :

يا ناصر الاسلام يا ابن محمد أكرم به نسيا وأعظم منتعى

يا ابن الكرام أما تمن بلفته عظم البلا وتجاوز الماء الفما  
نم يصرخ بخلجة نفسية يعانيها كل من يصاب بفادة وله أعداء  
وخصوم يشمون به ويفرجون لصاده :

فتر عيون الكاثرين شماتة واقت نغر الشامتين تبسم<sup>(٤)</sup>

والقصيدة طويلة تتألف من سبعة وثمانين بيتاً غير أن فيها تكراراً للصور  
الحزينة الباكية وفيها استعراض غير قليل لهذا المشهد الدامي ، وإذا كانت  
عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة دينية أكثر منها سياسية – بما لهذه  
الكلمة من مدلول – فان استهانة الناس من بنوا أحياء ثم استهانة الامام  
المهدي لدليل على سخط الشاعر وبأسه من الحكم الذي خلا من القوة  
المدافعة عن السكان والمدن المقدسة .

وقد اهتز لهذه الحادثة شاعر آخر هو الحاج محمد رضا الأزرى  
التميمي<sup>(٥)</sup> فقد نظم هذا الشاعر أكثر من قصيدة وكان شعره يجمع بين  
ونبات العقيدة والحس العربى التقليدى ولم يكتفى بتصوير الحادثة من  
زاوية القلب والعاطفة بل حاجج الوهابيين وناظرهم ودافع عن عقيدته ودينه  
دفاع المتبع المطatum وسلك فى بعض قصائده مسلك الكعبى فاستهان  
واستصرخ ، ونظر الى حادثة كربلاء هذه كما نظر اليها الكعبى وعدها  
الحادثة الثانية بعد قتل الحسين ، وقد لاحت طلائع كربلاء فى أول بيت  
من احدى قصائده فقال :

أريحا فقد لاحت طلائع كربلا لتقر أشلاء وسعد مرمللا

ثم قال فيها :

وهل عاد رزء الطف<sup>(٦)</sup> في الطف ثانياً أجل جل ثان تابع اليوم أو لا

(٤) رابع ديوان الكعبى ص ٤٨ - ٥٢ وشهداء الفضيلة للشيخ  
عبدالحسين الاميني ص ٢٨٩ - ٢٩٣ .

(٥) توفي سنة ١٢٤٠ هـ ١٨٢٤ - ١٨٢٥ م وهو أخو الشاعر الشيخ  
كاظم الأزرى .

(٦) الطف من أسماء كربلاء .

واستمر يصف الحادثة والقتلى من الرجال والاطفال والذعر الذي انتاب النساء من نواكل وغيرهن ثم انتقل بعد هذا الوصف الى الاستهانة والاستصراخ فقال :

تزاهر عن ليالٍ من النعيم أليلا  
في قائد الجيش العرم محبه  
ونص خطيب السيف بالوحى فি�صلها  
بحيث لواء النصر أسدل فوقها  
اذا انماط عنها جحفل مد جحفلاما  
كتائب دلت بالجبال سوانيرا  
يضح ولا ساح يجبر ولا ولا؟  
الام وها ضاق الزمان بوافد  
وирجع صرحي بالتدانى مكلا  
فمن لي؟ وهل (من لي) يعود بشأوه  
واسحبها في روقي الملك ببردة  
ولكن الشاعر لم يصرح باسم من خاطبه في الآيات السابقة فلم يأْرَد

المهدى ولعله أراد الامام علياً لانه قال بعد ذلك :

لَكَ اللَّهُ لَوْ شَاءْتِ حَوْمَاءَ (جَذَرَ)  
وَشَاهَدْتِ أَنْوَارًا هَنْكَ وَمَحْفَلَا  
فَقَفَ بازَاءَ الْقَبْرِ مِنْ مَنْكِ الْحَمْيَ  
لَا يَا (عَلَىَ) الْقَدْرِ دُعْوَةَ مَرْهَجَ  
وَنَادَ يَنَادِيهِ الْكَمْيَ الْمُفْضَلَا  
مَلَادَا فَقَدْ طَالَ الْمَدِي وَجَلَ النَّدِي  
وَقَامَ الْعَدِي مُسْتَسِنِي سَبْقَ الْعَلَا

ثم يقارن بين عمر بن سعد في حادثة مقتل الحسين وبين ابن سعود في هذه الحادثة فيقول :

فَتَمَ (ابن سعد) سَنَ افعال حقده  
ونجل (سعود) قد توطأ لا تلا<sup>(٧)</sup>

ووصف هذه الحادثة بقصيدة اخرى جاء في أولها :

خطب على الطف قد غنى بطوفان فجل عن جانيه كل تيان  
فما انجلت عن ضواحيه غياهها حتى التقى الدم غدرانا بدران  
ويستمر في شيء من التفصيل لما وقع من قتل الرجال والاطفال وارهاب النساء ويتالم :

لقتل خمسة آلاف بأوئـة من النهار سوى المستشرف العانـى

(٧) رابع (شهداء الفضيلة) ص ٢٩٣ - ٢٩٦ .

نَمْ يَنْهِيُ الْقَصِيدَةَ بِبَيْتٍ يُؤْرِخُ فِيهِ عَامَ الْحَادِثَةِ فَيَقُولُ :  
يَقُولُ فِي رِزْتَهَا الْأَدْهِيِّ مُؤْرِخَةً فِي كَرْبَلَاءَ دَهَانَا رِزْتَهَا الثَّانِي<sup>(٤)</sup>

وَلِهَذَا الشَّاعِرُ قَصِيدَةً ثَالِثَةً يَخْرُجُ فِيهَا عَنْ مَجَالِ الْآلَمِ وَالْبَكَاءِ إِلَى  
الْمَنَاظِرَةِ وَالْجَدَلِ فَيَنْكِرُ عَلَى الْوَهَابِيِّينَ أَعْمَالَهُمْ وَرَمِيمَهُمُ الْمُسْلِمِينَ بِالْزَّيْنِ  
وَالْفَضَالِ وَقَدْ شَرَحَ بَعْضُ النَّوَاحِي مِنَ الْعِقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ضُوءِ مَا يَعْرَفُهُ  
مِنْهَا وَهُوَ فِيمَا شَرَحَ وَنَافَلَ كَانَ غَيْرُ قَلِيلٍ الْحَفْظُ مِنَ الْاِطْلَاعِ عَلَى الْاِصْرَوْلِ  
وَالْفَرْوَعِ وَقَدْ أَطَّالَ الْجَدَلُ وَالْحَجَاجُ وَبَعْدَ أَنْ اَتَهَى مِنْ جَدْلِهِ وَمِنَاظِرِهِ  
اَتَفَضَّلَ وَاهَنَّ وَهَدَدَ وَوَعَدَ عَلَى طَرِيقَةِ الشُّعَرَاءِ الْقَدِيمَاءِ وَقَدْ بَدَأَ  
الْقَصِيدَةَ بِقَوْلِهِ :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَصْنَعُ إِلَى الْحَقِّ غَافِلٌ  
وَسَلِكْ نَهْجَ الْاسْتِقَامَةِ مَائِلٌ  
فَهَمَّا تِيكَ سَبِيلَ الْمُسْلِمِينَ تَفَرَّقَتْ  
وَشَطَطَتْ بِرَأْيِ الْمُبَدِّعِينَ الْمَحَالِ  
فَقَلَ لِلْأَلَى حَادُوا عَنِ الدِّينِ ضَلَّةً  
وَبَدَرَ الْهَدَى فِي هَالَةِ الدِّينِ كَامِلًا  
تَعَالَوْا إِلَى قَوْلِ سَوَاءِ فَيَسِّنَا  
وَبَيْنَكُمْ مَا فِيهِ خَلْفٌ وَبَاطِلٌ  
فَانْتَجَحُوا لِلْسَّلْمِ نَجْنَحُ لَهَا وَانْ

وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ عِقِيدَتِهِمُ الْجَدِيدَةِ :

وَلَمْ أَدْرِ ذَا وَحْيٍ عَنِ اللَّهِ جَاءَ كُمْ  
حَدِيثَا فَلَمْ تَدْرِكْ مَدَاهِ الْأَوَّلِ ؟  
أَنَا كُمْ وَكُلُّ فِي الشَّرِيعَةِ باطِلٌ  
أَمْ الْأَمْرُ مِنْ قَدْ حَكَمَ بِشَرِكَتِهِ

وَبَعْدَ أَبْيَاتٍ مِنَ الْجَدَلِ وَالْحَجَاجِ يَقُولُ لَهُمْ :  
وَانْتَسَلُوا عَنْ بَعْضِ مَا افْتَرَفُ الْوَرَى  
مِنَ الْاِنْسَمْ فَالرَّحْمَنُ لِلتَّوْبَ قَابِلٌ  
هُبَا أَنْهُمْ جَاؤُوا بِكُلِّ كَبِيرَةٍ  
فَمَا ذَاكَ كُفْرٌ بِلِ فَسُوقٍ وَبَاطِلٌ  
بِلِ الْكُفْرِ تَحْلِيلُ الدَّمَاءِ الَّتِي أَنْتَ  
بِتَحْرِيمِهَا الْأَجْمَاعُ وَالذَّكْرُ نَازِلٌ

وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةُ سَاقِ الشَّاعِرِ فِيهَا الْبَرَاهِينُ وَالْاَدَلَّةُ عَلَى مَا احْتَجَ بِهِ مِنْ  
آرَاءٍ وَذَكَرَ الْوَهَابِيِّينَ بِوَقَائِعِ التَّارِيخِ الَّتِي مَرَتْ لِيَعْتَرِفُوا بِهَا تَمْ هَدْدَهُمْ بِأَبْيَاتٍ  
غَيْرَ قَلِيلَةٍ مِنْ هَذِهِ القَصِيدَةِ أَنْ لَمْ يَتَهَوَّا عَنْ أَعْمَالِهِمْ فَقَالَ :

(٤) المَصْدَرُ السَّابِقُ صِ ٣٠٢ - ٣٠٣ .

ولذكرة فيها هدى ودلائل  
 تناشد عطفانا فنسع وائل ؟  
 تعودوا فما غير البنود وسائل  
 صواعقها في أرضكم والزلزال<sup>(٩)</sup>  
 ولا شك ان الازرى كان يمثل العقيدة الشيعية ويدافع عنها بحرارة  
 وايمان ويرد على الوهابيين وهو كصاحب الكعبى من قبله لم يتعرض لذكر  
 الدولة العثمانية ولا لحكومة العراق آنذاك وسر هذا الاغفال ان الدولة لم  
 تفعل شيئا ازاء الحادثة هذه وان اليأس قد بلغ بالشاعرين - الكعبى  
 والازرى - حدا لم يستطعوا معه أن يذكرا الدولة بشيء أو يشيرا إليها وإنما  
 بقيا في اطار العقيدة التي لا ترى في ذلك الحكم المسيطر ما يعلوه رغبتها  
 ويزيل عنها الشعور بالحيف الذي لحق بالسكان أو يلحق بهم \*

وإذا كان الكعبى والازرى قد أهملا ذكر الدولة والحكومة القائمة فى  
 بغداد آنذاك لأنها لم تدافع عن المدن المقدسة فان شاعرا من الحلقة قد سلك  
 حيال الوهابيين مسلكا حكوميا لأن المناسبة كانت تستدعى ذلك فوقف الى  
 جانب الوالى (علي)<sup>(١٠)</sup> ومجد حملته التي وجهها سنة ١٢١٩هـ ١٨٠٤  
 ١٨٠٥ ملحربة السعوديين ، أما الشاعر فهو حسين بن سليمان الحلبي  
 المعروف بالحكيم وقد مدح الوالى وتندد بالدعوة الوهابية وأنصارها ووصف  
 الوالى بأكثر مما يستحق واستغل اسمه في الاطراء فتشبهه بالأمام علي وشبه  
 سيفه الذي حارب به سعود بن عبدالعزيز بدبي الفقار فقال يخاطب الوالى :  
 أقمت اعوجاج الملك بالسيف والغزم<sup>(١١)</sup>

وشيدت ركتبه على مفرق التجم

نم يقول :

فلا سيف الا سيفه للمة وليس فتي الاه عن حرم يحمي

(٩) المصدر السابق ص ٢٩٧ - ٣٠٢ .

(١٠) كان هذا كتخدا لسليمان الكبير وقد عين واليا بعده كما مر سابقا .

(١١) وردت في الأصل ( القرم ) ولا معنى لها هنا .

وليس في القصيدة سوى التهديد وهي أقرب ما تكون إلى هجاء  
الوهابيين منها إلى الجدل المنظم أو النغرة السياسية المركزة<sup>(١٢)</sup> .  
ولم تكن حادثة الهجوم الذي قام به الوهابيون على مدينة النجف عام  
١٢١٩هـ ١٨٠٤م تمر على الشعراء دون أن يلتفتوا إليها ولكن الذي وصل  
إلينا من هذا الشعر لم يكن من القوة والمانعة بحيث ينسجم مع مكانة النجف  
فقد نظم السيد أبو الحسن كونتر مقطوعة ركبة الأسلوب سقيمة المعانى  
وقد استهلها بقوله :

بشرى من سكاكوا كوفان والننجف ..... وجاوروا المرتضى أعلى الورى شرفا  
ولكن الفطير في هذه الآيات أن الشاعر عين الشهر واليوم والوقت  
فقال مشيراً إلى زحف سعود بن عبد العزيز :

وقد أتى الناس قبل الفجر في صفر ..... بتاسع الشهر نحو السور قد زحفا  
ويؤرخ هذه الحادثة في البيت الأخير من المقطوعة<sup>(١٣)</sup> .

وهذا شاعر آخر لم يكن نصيبيه من المعرفة بأقل من غيره من الشعراء  
المشهورين وهو عثمان بن سند البصري الواقلي<sup>(١٤)</sup> فقد سجل تعصبه  
الشديد ضد الوهابيين بقصائد ومقطوعات كثيرة وناوأهم أشد المناوأة وكفرهم  
ووسفهم بالزيف والضلال في نثره وشعره على السواء ودعا إلى حرفهم باسم  
الدين لأنهم - كما زعم هو وغيره - مارقون خارجون عن اجماع المسلمين  
وعلى طاعة السلطان ، وثورة ابن سند متار عجب لاته نجدى الأصل ومن  
قبائل عنزة التي يتسمى إليها السعوديون ، غير أن العجب يزول إذا عرفنا أن  
هذا الشاعر كان في العراق وكان متصلة بالوالى داود وكانت صلة به تدعوه

(١٢) ذكر المؤلف أن هذه القصيدة في مدح الوالى على رضا وهذا غير صحيح لأن هذا الوالى لم يحارب الوهابيين . راجع القصيدة في ( شعراء الحلقة ) للشيخ على الحقائقى ص ٢٤٤ - ٢٢٥ ج ٣ .

(١٣) راجع ( ماضى النجف وحاضرها ) ص ٢٣٧ ج ١ .

(١٤) اختلف المترجمون له في وفاته ففي ( مختصر مطالع السعود ) المخطوط بالقاهرة وفي المسك الاذقر ص ١٤٦ أن وفاته في سنة ١٢٤٦هـ . وفي ( مختصر مطالع السعود ) المطبوع بالهند أنه توفي سنة ١٢٥٠هـ وفي مجلة ( لغة العرب ) ج ٤ س ٣ أن وفاته في سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٦م .

إلى الملاة أو تباع سيامة الأرضاء والترب وهو بوصفه سينا متعصباً كان يرى وجوب طاعة السلطان والخضوع للوالى الذى يمثله فى بغداد لذلك كان شديد التكير على الدعوة الوهابية وأنصارها . وقد سلك ابن سند فى شعره الذى قاله فى الحوادث الوهابية مسلكاً تارياً راعى فيه تسلسل تلك الحوادث التى كتب عنها فى تاريخه ( مطالع السعود ) فهو حين يذكر الحادثة يضع إلى جانبها مقطوعة أو أكثر وقد ينظم فيها قصيدة أو أكثر وكل الحوادث الوهابية التى كتب عنها كانت أقدم تارياً من وقت تسجيلها . ومعظم الشعر الذى قاله فى تلك الحوادث كان شديد اللهجة والاندفاع ضد الوهابيين وكان مليئاً بمدح الدولة والسلطان وأتباعه من الولاة والقواد الذين حاربوا السعوديين فى الحجاز ونجد وكان فى بعض المقطوعات يقتصر على النواحي الدينية فيهدى الوهابيين بعذاب النار فى الآخرة لأنهم سفكوا الدماء وكفروا المسلمين<sup>(١٥)</sup> . ومن شعره ما قاله حين كتب عن نوبى بن عبد الله وقتله سنة ١٢١٢هـ بعد عودته من حرب السعوديين<sup>(١٦)</sup> فقد رثاه بقصيدة جاء فيها قوله :

فشلَتْ مِنْ مِنْ (طَعِيس) سُلْطَتْ بِهِ  
تَأْنِفْ طَلَابُ الْجَدِي بَعْدَ الْيَمِّ  
وَأَشْمَلَهُمْ بَذْلَا إِذَا كَلَحَ الْأَزْمِ  
جَدَعَتْ بِهِ يَا كَلْبَ عَرَنِينَ قَوْمَهُ  
قَتَلَتْ ابْنَ عَدَالَةَ وَالْحَاكِمَ الَّذِي  
سَجَيَتْهُ التَّقْوَى وَدِيدَنَهُ الرَّحْمَ  
وَمِنْ هُوَ لِلْاسْلَامِ وَجْهٌ وَمَقْلَةٌ<sup>(١٧)</sup>

وحين كتب عن ذهاب الكتخدا ( علي ) إلى محاربة الوهابيين سنة ١٢١٣هـ بعد عودته بالفشل وخيانة بعض أتباعه<sup>(١٨)</sup> قال :

أَسْلَمُوهُمْ لِلْمَهْلَكَاتِ رِجَالٌ  
عَنْ هَدَىِ اللَّهِ لِلْمَطَامِعِ مَالُوا  
وَاسْتَحْلَلُوا مَالَ الْوَزِيرِ وَقَالُوا  
إِنَّ مَالَ الْوَزِيرِ لِلَّهِ مَالٌ

(١٥) راجع ( مطالع السعود ) الورقة ٦٨ .

(١٦) راجع ص ٥٥ .

(١٧) مطالع السعود . الورقة ٧٥ - ٧٦ .

(١٨) راجع ص ٥٥ .

أبطنوا الغش للوزير وراماوا كل ما فيه للوزير احتلال<sup>(١٩)</sup>  
ويشير في بيته آخرين الى أن الكخدا قد استشار في الصلح الذي  
عقده مع الوهابيين من لم يكن ناصحا له :

لم يشاور من كان في النصح جدا كخدام فخاب سعيا وجدا  
من برم خيبة يشاور عدوا برداء الخداع دأبا تردى<sup>(٢٠)</sup>  
ويكرر هذا المعنى في أبيات أخرى معتقدا بأن الخيانة كانت من  
ابراهيم بن ثاقب بن وطبيان لانه من أقارب سعود وكان ابراهيم قد رافق  
الحملة فيقول :

لسان الحال قال لهم غزوتم سعودا كي يعز وكى تذلوا  
تمنوا أن يلاقوه بنجد فلما أن دنا جنوا وذلوا  
عذربى من أناس عظموه بعين الكخدا فعراه ذل  
ومن يجعل معاديه مشيرا فما نصيحة فيه محل<sup>(٢١)</sup>  
وحين كتب عن حادثة كربلاء التي وقعت سنة ١٢١٦هـ أردفها بقوله  
عن سعود :

سفك الدماء وظن أن صنيعه ينجيه  
ولقد تجاوز حده في كل ما يجنه  
فلسوف يعلم غ ما أبداه من تمويه<sup>(٢٢)</sup>  
ولعل التهديد بعذاب الآخرة كان أقرب شئ إلى ذهن الشاعر لانه  
كتب عن هذه الحادثة بعد وقوعها بستين وبعد أن مات سعود  
ولما أرخ جلوس السلطان محمود الثاني عام ١٢٢٣هـ نظم بعض  
الآيات والقصائد في مدحه واستغل ذهاب الجيش المصري إلى نجد في أيامه  
وما انتهى إليه ذلك من القضاء على عبدالله بن سعود سنة ١٢٣٣هـ فقال :  
همام من بنى عثمان صلت براحته رسوب الحد صلت

(١٩) مطالع السعود - الورقة ٨٠ .

(٢٠) المصدر السابق والورقة نفسها .

(٢١) المصدر السابق . الورقة ٨١ .

(٢٢) المصدر السابق . الورقة ٨٦ .

حمى دين النبي به فأمسى ولا عوج يشان به وأمت  
 أزال به ضلاله عارضي<sup>(٢٣)</sup> لتضليل السورى أبداً يمتنع<sup>(٢٤)</sup>  
 وحين أرخ استيلاه جيش محمد على على مكة والمدينة سنة ١٢٢٩ هـ<sup>(٢٥)</sup>  
 وآخلاهـما من الوهابيين شفع ذلك بقصيدة مدح بها السلطان محموداً ونوه  
 بأعماله في هذه الحوادث وطعن على الوهابيين طعناً شديداً فقال :

منجد من بنى عثمان قال له زمانه : يا عديم المثل فاقتصر  
 أطلقت قبلنا من أسر ذى أشر بالسيف يبرق والمسالة السمر  
 ما حجها قط سنى من البشر دعاك محمود هذا العصر كل فتى  
 يراك في الحرب مثل الصارم الذكر لو لا حسامتك لم يصدق مؤذتنا  
 في المسجدين ولم تمدد يد الطفر من عزهم رجس ولا درن  
 من عارضي رمى الاسلام بالغير مخاصم كل أهل الحق قاطبة  
 ثم يشبه السلطان بالخلفاء الاربعة فيقول :

خلفت فينا أباً بكر و كنت لنا عثمان يقوى سيد الرأى من عمر  
 وكانت فينا علينا في معاصمة والافق لولا بريق السيوف لم ينـ<sup>(٢٦)</sup>  
 لكن لاجلك كانوا مطعمـ النظر ولولاك ما نظرت عينـ الى ملكـ  
 ولما كتب عن انتهاء الحكم السعودى على يد ابراهيم بن محمد على  
 سنة ١٢٣٣ هـ واحتلال ما كان يسيطر عليه عبدالله بن سعيد<sup>(٢٧)</sup> وضعـ  
 محاورة في مقطوعتين من الشعر اولاًهما على لسان عبدالله بن سعيد الثانيةـ  
 على لسان ابراهيم بن محمد على وقد اعترف في الاولى بشجاعة السعوديينـ  
 وعدم اتقiadهم للسلطان فقال فيها :

- (٢٣) نسبة إلى (العارض) من نواحي نجد ويسمى بوادي حنيفـةـ  
 واليـمامـةـ وفيـهـ الدرـوعـيةـ مقـرـ السـعـودـيـنـ وـفـيـهـ الـرـيـاضـ التـىـ اـنـتـقلـواـ إـلـيـهـ .
- (٢٤) مطالعـ السعودـ . الورقةـ ٩٥ـ .
- (٢٥) راجـعـ : مطالعـ السعودـ . الورقةـ ٩٦ـ .
- (٢٦) المصـدرـ السـابـقـ . الـورـقةـ ٩٧ـ .
- (٢٧) قـدـمـ لـهـذهـ الحـادـثـ بـقطـعـةـ مـنـ النـشـرـ شـدـيـدةـ الـلـهـجـةـ (ـ مـطالـعـ  
 السـعـودـ ) الـورـقةـ ١١٨ـ .

انا اذا الحرب شتها صوارمنا  
شبابنا صبر في الحرب مذ نشأوا  
اوصدت اوائلنا قدمها او اخرنا  
الاشياب كم بنفوس أغليت جادوا  
الاشياب كم بنفوس أغليت جادوا  
الاشياب كم بنفوس أغليت جادوا

غير أن هذا الاعتراف يتضليل أمام سجنته في تعليم السلطان ويظهر ذلك في الآيات التي وضعها على لسان ابراهيم فيقول :

انا الملوك اذا سلت صوارمنا  
على الآلى مرقوا عن أمرنا بادوا  
انا على اثر سلطان اوائله  
садدوا الورى قبلما امثاله سادوا  
كانوا اوائلكم عن دينه حادوا  
متاپرون على دين النبي كما  
مجاهدون فكم أررووا صوارهم  
من كل من لم يكونوا للهدي هادوا  
انا لدى الحرب أسياف وآساد (٢٨)

وليس معنى هذه المحاورة أن الشاعر تقمص الشخصيتين حسب فوضع على لسان كل واحد منها ما يناسبه ويشعر به وإنما كان يصدر ذلك عن رأيه أيضا ولكنه آثر جانب الدولة ملقا وتزلفا .

وليس أدل على مقت عثمان بن سند دعوة الوهابيين من رسالته التي بعث بها إلى ابراهيم بن محمد على عندما نزل الدرعية وحرضه بها أشد التحريض وذيلها بقصيدة جاء فيها :

ولا تبق منهم واحدا تستطيه اذا خبث الآباء لم يطب الولد (٢٩)

على أن ابن سند كان غير مكلف بهذا التحريض الشديد لو لم يكن متأثرا بالجو السياسي في العراق والعقيدة الدينية المسيرة .

واستغل ابن سند حادثة (المورة) سنة ١٨٢٦م<sup>(٣٠)</sup> فنظم فيها قصيدة معظم أبياتها خارج عن هذه الحادثة إلى الطعن على الوهابيين ومدح السلطان محمود الذي حاربهم ، وتبداً القصيدة بأبيات فيها تمجيد عام للسلطان

(٢٨) مطالع السعود - الورقتان : ١١٨ و ١١٩ .

(٢٩) لم أجده من القصيدة غير هذا البيت اما الرسالة ففي ( مطالع السعود ) الورقة ١٢٠ .

(٣٠) راجع ص ٢٨ .

وجوشة وتنهى بآيات قليلة في ذكر حادثة (المورة) <sup>(٣١)</sup> وقد تخللت البداية والنهاية أبيات غير قليلة في وصف العقيدة الوهابية وأتباعها وأعمالهم وال توفيق الذي حالف السلطان في القضاء على هذه الدعوة وأنصارها ومن تلك القصيدة قوله :

بَشَرَىْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَاتَّنِي  
أَصْبَحْتَ فِيْنَا وَاقْتَانَا مُتَوَكِّلًا  
إِذْ زَرْتَهُمْ بِكَابِ دِينِيَّةٍ  
أَمْطَرْتَ (عَارِضَهُمْ) بِعَارِضِ بَندَقٍ  
فَجَرَىْ بِهِ وَادِيهِمْ فَقَدَمْرَا  
فَتَافَسَ الْحَرْمَانَ مِنْكَ بِعَادِلٍ  
أَمْضَىْ مِنَ الْلَّيْلِ الْمَهْصُورِ وَأَغْيَرَا  
وَلِشِيشِ صَالِحِ التَّمِيمِيِّ بِتَانَ قَالَهُمَا فِي عُودَةِ عَبْدِالْعَزِيزِ الشَّاوِيِّ  
مِنْ نَجْدِ وَهُمَا :

رَكَنَ الْفَخَارَ بِرَكَنِ الْبَيْتِ مُحْجَبٍ  
كَانَ شَيْطَانَ نَجْدَ حِينَ شَاهَدَهُ  
فَاعْجَبَ لِرَكَنِي عَلَى فِي سَاحَةِ جَمِيعِ  
عَفْرَيْتَ جَنَ رَمَتَهُ الشَّهَبَ فَانْقَمَعَا <sup>(٣٤)</sup>

### الشعر في المرحلة الثانية :

كان الخلاف الذي اشتد بين عبدالله وسعود ولدي فيصل قد أدى إلى استجاد عبدالله بالدولة العثمانية لطرد أخيه سعود من الأحساء ، وفي أيام الوالي مدحة كان هذا الاستجاد ولم تكن سنة ١٢٨٨هـ تحل حتى كانت أول قافلة من الفيلق السادس في طريقها من بغداد إلى الأحساء وانتهت المعارك بانتصار الجيش العثماني ومتظوعي العراق <sup>(٣٥)</sup> وقد كانت هذه الحملة

(٣١) ستاتي هذه الآيات في مكانها المناسب من الفصل الرابع .

(٣٢) مطالع السعود + الورقة ١٥٢ .

(٣٣) راجع ص ٥٦ وقد ورد فيها اسم محمد الشاوي .

(٣٤) ديوان التميمي ص ٧٧ .

(٣٥) راجع ص ٥٨ .

المناسبة قيمة لشعراء العراق فقد تناولوها من زاوية المدح للدولة وللسلطان والوالى ( مدحة ) وأنصاره من العراقيين وغيرهم وقد تباروا في التهنة بالانتصار وبالاوسمة والنواشين التي منح بها السلطان عبدالعزيز من كان ذا اثر في هذه الحملة ولاسيما الوالى الذى ظفر بسيف ثمين حمل اليه من الاستانة \*

وكان عبدالغفار الاخرس من أبرز الشعراء الذين أسهموا في تخليد هذه الحملة فقد نظم بعض القصائد في مدح الوالى مدحة والسيد محمد سعيد نقيب البصرة و ( نافذ ) قائد الفيلق وغيرهم وسعد بمدحوجه سعود الشاعر المبالغ لأنهم عصموها نجدا من الاشتراط وبذلوا أنفسهم في خدمة الدولة ، أما ( مدحة ) فانه استرد الملك الضائع واسترجعه لأهله \*

وهذه احدى قصائده وقد نظمها عندما وصل الوالى مدحة الى البصرة متوجها الى الاحساء بعد الاستيلاء عليها وبعد وصول السيف اليه من لدن السلطان ، وفي القصيدة مدح ممزوج بشيء من الآراء في تفسير أعمال السعوديين وأولها :

سعدت نجد اذا وافتني نجدا  
بقدوم منك اقبالا وسعدنا  
واما أصبحت في احسانها  
قيل للشر عن الاحسان بعدا  
منجزا فيك بلطف الله وعدا  
من شرار كادت الاخيار كيدا  
وأراد الله أن يعصمها  
كان كالضائع ملكا مهملا فاسترد الملك أهلوه فردا

ولولا الاعتقاد بالخلافة العثمانية لما اندفع الاخرس الى هذا الرأى  
الذى كان يدين به الكثيرون من أمثاله وهو أن بلاد العرب ملك  
للسلطان العثماني \*

ويسجل الشاعر انتصار مدحة في هذه الحملة بعد فشل الحملات  
السابقة التي وجهت من العراق لاسترداد هذا القطر فيقول :  
اذا تصديت لأمر لم تجد قبل عليك له من يتصدى  
اما الانصار والاعوان من الجنود والتطوعين فانهم :

بذلوا أنفسهم في خدمة أورتهم بعدها عزاً ومجدًا  
نم يوصي مدحه بأن يحكم ما استقنه حكم المستبد :

فاركب البحر وغض لجته يا شيه البحر يوم الجدماء  
وانظر الملك الذي استقته واجر ترتيلك فيه مستبداً  
ويهنه بالسيف المهدى اليه من السلطان :

ينبك السيف الذي أهدى من ملك أهداه انعاماً وأسدى  
ويعبر عن الدولة بقوله :

دولة قد أيدت واتخذت من جنود الله أنصاراً وجندًا<sup>(٣٦)</sup>

وليس من المفارقات الغريبة أن يزعم الآخرين بأن الدولة انتصرت  
بجند الله على السعوديين الذين كانوا يحاربون باسم الدين كما يزعمون  
فإن كلا الفريقين كان يدعى الحق الديني لنفسه لا لغيره وبهذا الرعم  
سبق أن احتل الوهابيون الاحسأ وحاربوا أهلها<sup>(٣٧)</sup> لأنهم ليسوا  
على مذهبهم<sup>(٣٨)</sup> .

وهذه قصيدة أخرى لعبدالغفار الآخر قالها في مدح السيد محمد  
سعيد نقيب البصرة مطرياً بها أعماله في مساعدة الدولة العثمانية ولم يقتصر  
على مدحه بل مدح السلطان والوالى ومعاوينه أيضاً ومنها :

حتى اذا العيد وافانا بغرتة أفر شوال في عيني أبي رجب<sup>(٣٩)</sup>  
هو السعيد الذى يشقى العدو به من ذا يعاديه فى الدنيا ولم يخب  
لما دعاه ولـ الامر متدبأ

(٣٦) راجع (الطراز الانفس) ص ١٢٥ - ١٢٧ .

(٣٧) راجع الماشية ٦٤ من الفصل السياسي .

(٣٨) جاء في (عنوان المجد) لصبيحة الله الحيدري (الورقة ٨٨) :  
أن أكثر من ثلثي سكان الاحسأ شيعة أما القطبيف فكل أهلها شيعة .  
وجاء في (الزوراء) العدد ١٥٨ من السنة الثالثة : أنهם شكوا من  
آل فيصل والتجأوا إلى العساكر السلطانية . وجاء في (الزوراء) أيضاً  
- العدد ٢١٠ من السنة الثالثة : أن أكثر سكان قرى الاحسأ شيعة .  
(٣٩) كاننظم هذه القصيدة في عيد شوال سنة ١٢٨٨هـ وأبو  
رجب كنية المدوح .

لقد كفى العسكر المنصور ناتية  
تجو لها نوب الدنيا على الركب  
وقومت كل معوج صوارمه  
وسكت منذ واف كل مضطرب

\* \* \*

اما وربك لولاه لما خمدت نار لها غير فعل النار والخطب  
اما الذين ذهب التقى الى محاربتهم فانهم :  
بغوا لما نزع الشيطان بينهم والبغى يسلم اهله الى العطب  
ثم يشير الى الوسام الذى منحه السلطان هذا التقى وما أسداء الوالى  
الى المدوح :

بلغت من جانب السلطان من أرب  
ليهند النصر والفتح المبين وما  
فانه بك من بين الرجال حبي  
لن جبك بنيشان تسر به  
أبان فضلك اعلانا لكل غبي<sup>(٤٠)</sup>  
هذا المشير أعز الله دولته

وما حول النص هنا يدل بصرامة على ما كان للزعماء والوجهاء من  
تهافت لارضاء الدولة واكتساب عطفها وأوسمتها لكي يظهروا أمام الاهلين  
بأنهم هم المقربون والمنتفذون \*

ويكرر الآخرين تهنته بهذا (البيشان) الممنوح للتقى فيقول له :  
دمت باليشان والعيد سعيدا فترى أيامك الغراء عيدا<sup>(٤١)</sup>  
اما القائد (نافذ) فان له نصيبا من مدح الآخرين لانه شارك في هذه  
الحملة مشاركة فعالة ، ومن ذلك قوله :

ألا من مبلغ عنى سلامي رئسا في العراق على النظام<sup>(٤٢)</sup>  
رأه مفخر الدنيا حساما وقد يغنى عن حمل الحسام  
فقدمه المشير ليوم بأس يقدمن الخوارج<sup>(٤٣)</sup> كل هام

(٤٠) الطراز الانفس ص ٦١ - ٦٣ .

(٤١) راجع : المصدر السابق ص ١٣٨ و ١٣٩ .

(٤٢) يزيد بالنظام : (الجند) وهو تعبير عصره .

(٤٣) يرى (جب) أن الوهابيين وقعوا في مثل ما وقع فيه الخوارج  
من الخطأ فتعرضوا لاضطهاد الاكثرية وقضى عليهم سياسيا . راجع :  
Modern Trends in Islam. p. 26-32. 2 nd

ويمدح بهذه الآيات الوالى مدحة لانه بذل خدمة عظيمة للسلطان :  
 رمى من بالعراق عصاة نجد      وزير ما رمى مرماه رامي  
 وأدى خدمة عظمت وجلت      بهمته لسلطان الانام<sup>(٤٤)</sup>  
 وهذا شاعر من مدينة كربلاء التى تطلب الوهابيين بناءً كبيراً يقدم  
 تهانيه للوالى مبتدئاً بمدح السلطان أما الشاعر فهو السيد أحمد رشدى<sup>(٤٥)</sup>  
 وهذا بعض ما قاله :

فطبق وجه الارض بالعدل والنجح      بدا نور ظل الله يشرق كالصيح  
 جميع ملوك الارض تعلن بالندح      ملوك على العرش استوى ولعنه  
 أما الوالى مدحة فانه :  
 أحيط بها خبراً فما احتاج للشرح      وزير على من الوزارة قد رفي  
 قلوبهم خوف العساكر فى جنح      وسير جيشاً نحو نجد فخففت  
 ولا أرى حاجة للتعليق على ما فى البيت الاخير من ركبة ومن استعمال  
 الكلمة (جنح) بدل جناح لتم الاستعارة ، ومهما يكن من شيء فقد أراد  
 الشاعر أن يظهر براعة فى التاريخ فقال متمنعاً هذه الآيات :  
 ومد فتحت نجد دعا السعد أرجوا      لقد جاء نصر الله يزهر بالفتح<sup>(٤٦)</sup>

وهذا شاعر آخر من كربلاء أيضاً وهو الشيخ (فلح)<sup>(٤٧)</sup> يمدح  
 السلطان عبدالعزيز ويجد الوالى مدحة والجيش الذى سار لفتح الاحساء  
 ويطرق لفراز سعود بن فيصل فيقول بأسلوبه الضعيف :  
 ألا فليس المجد اذا فتحت نجد      ديار تولى فتحها الجد والجند  
 لعبدالعزيز المستطيل بعزم      على كل موجود لقد وجب الحمد  
 شهنشاه خلل الله راعى عباده      ملوك هدى ملك الملوك له عبد

(٤٤) الطراز الانفس ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٤٥) لعله الرشتى .

(٤٦) الزوراء - العدد ١٥٨ من السنة الثالثة ١٥٠ ربيع الاول سنة  
 ١٢٨٨هـ .

(٤٧) يلفظ بتشدد الياء وهو تصغير فلاج وقد يكون عند العامة  
 تصغير فالح .

به جهز الوالى تبارك جده  
ولما تعالي سعد ( مدحه ) رفعة  
سعود ( سعود ) الشر غابت فارخوا  
جندوا عليها رفرف النصر والسعد  
بأوج المعالى واستثار به المجد  
بحزم عزيز الجند قد فتحت نجد<sup>(٤٨)</sup>

وتهز هذه الحادنة شاعرا آخر من موظفى الدولة وهو أحمد عزة  
العمرى<sup>(٤٩)</sup> فيمدح السلطان والوالى ، ويؤرخ الحادنة أيضا فيقول :

من أرض بغداد الى قطر الحسا  
جهز جيش النصر منا مدحة  
أركب نصف شقه اليد ضحي  
سخر نجدا وقطيفا بعدهما  
أحاطها الجيش بعزم ( نافذ )<sup>(٥٠)</sup>  
جند أمير المؤمنين قد غدا  
عند الصباح حمد القوم السرى  
والى حمى الزوراء فخر الوزرا  
وأركب النصف الاخير الابحرا  
صاحبها لقد بغى واستكرا  
أضحي على تسخيرها مقتدا  
أرخ بنجد أبدا مظفرا<sup>(٥١)</sup>

ولم يكف أحمد عزة بهذه المقطوعة بل نظم قصيدة اخرى يصف بها  
السيف المهدى الى الوالى مدحة ويمدح هذا الوالى لانه عمر العراق وأنفذ  
الاحساء كما يرى الشاعر فيقول :  
له سيف لاح وهو مذكر  
في حده غدت الأعدى تتحر  
ويخاطب الوالى قائلا :

يا أيها المولى المشير ومن به  
بدر الوزارة يستثير ويزهر  
عمرت أطراف العراق وانه  
لولاك ما كان الولاية تعمـر  
نم تأنى العامية المهمة التي لا تربط بين شطري البيت ربطا موفقا فيقول  
مستخدما الجناس :

- (٤٨) الزوراء العدد ١٥٨ من السنة الثالثة .  
(٤٩) كان اذ ذاك مدير لشركة ( الترامواى ) في بغداد ثم صار  
محررا لجريدة الزوراء فكتبا في ديوان الوالى ومتربحا من التركية الى  
العربية وهو ابن أخي عبدالباقي العمرى ، توفي في الاستانة سنة ١٣٠٩ هـ  
وله شعر غير قليل في ( الجواب ) و ( منتخبات الجواب ) .  
(٥٠) يورى بالقائد نافذ الذى قاد الحملة .  
(٥١) الزوراء - العدد ١٦٤ من السنة الثالثة .

قطفت يداه من القطييف ثمارها  
والغصن يكثر حسنه اذ ينهر  
نم احتسى الاحسا بكأس تعرض  
والكأس في بعض الموضع تسكر  
ثم يلتفت الى الوالى ويشير الى القطر الذى كان مقلقا ففتحه فيقول :  
وفتح قطرا كان عنا مغلقا فعدا به ماه العدالة يقطر  
وجعلته فوق العراق ضمية والملك في حين الضمية يكبر  
فحباك سلطان الانام بسيفه كرما وفضل شكره لا يحصر  
وبورخ وصول السيف الى الوالى فيقول :

وغدا الفخار يقول فيه مؤرخا سيف ترصح بالكمال مجوهر<sup>(٥٢)</sup>  
ونظم محمد أمين العمري<sup>(٥٣)</sup> أبياتا بهذه المناسبة فهنا الوالى ووصف  
خصومه بالبغى وعبر عن نجد بأنها فرع من بغداد وان الفرع قد ضم الى  
الاصل وطلب من الوالى ألا يكتفى بنجد بل يمد يده الى جنوب الجزيرة  
العربية أيضا فقد كان الجنوب ولا سيما اليمن في صراع مستمر مع  
الدولة فقال :

أيا والي الزوراء الذي لجلاله  
جميع ولاة الارض تدنوا وتخضع  
للكائنات الغر في البحر انها  
تروح بنصر الله طورا وترجع  
ولا شك أن الفرع للاصل يتبع  
أضفت الى الزوراء نجدا بأسرها  
ومن ظلم أهل البغي أنقذت أهلها  
فأضحت بجنات العدالة ترتع  
عليها جعلت الجند سورة مشيدا  
فأنعم خلل الله سيفا مجوهرا  
عليك به أنف الشقاوة تجدد

\* \* \*  
وانى لأرجو أن تكون ضمية عليها بلاد حازها قبل تبع<sup>(٥٤)</sup>

(٥٢) الزوراء - العدد ١٨١ من السنة الثالثة .

(٥٣) كان ( كهية - كتخدا ) في بغداد اي : ( باب العرب ) وهذه الكلمة تعنى الآن مدير شؤون العشائر وهو ابن اخت عبدالباقي العمري وقد توفي سنة ١٢٨٨ هـ اي : في السنة التي نظم فيها هذه الأبيات .

راجع ( المسك الاذفر ) ص ١٥٥ .

(٥٤) رابع ( العراق بين احتلالين ) ص ٢٦٥ - ٢٦٦ من الجزء  
السابع .

وهذه مقطوعة اخرى لشاعر لم أهتد الى معرفة اسمه وهي مثل سالفاتها من حيث التعبير وال فكرة فيها مدح للسلطان والوالى وذم للذين حاربهم الجيش وفيها يقول :

شـائـر الفـتح فـحـ نـجـدـ  
فـدـ أـسـفـرـتـ مـلـ ضـوـ صـحـ  
اذ جـهـزـ الجـيشـ جـيشـ نـصـرـ  
من اـسـمـ شـائـعـ بـمـدـحـ  
والـىـ الـعـرـاقـ الـذـىـ تـولـىـ  
عـزـمـهـ مـعـ جـمـيلـ صـفـحـ  
طـاعـتـ وـحـوشـ الـأـعـرـابـ (٥٥) طـراـ  
بـظـلـ سـلـطـانـاـ الـعـلـىـ  
سـامـيـ الـفـتوـحـاتـ رـبـ منـجـ (٥٦)  
من العـزـيزـ الـفـتاحـ وـافـيـ أـرـخـ هـذـاـ عـزـيزـ فـتحـ (٥٧)  
وهـذـهـ أـيـاتـ لـشـاعـرـ مـنـ شـعـرـ النـجـفـ وـهـوـ السـيـدـ إـبرـاهـيمـ الطـبـاطـبـائـيـ  
الـتـوـفـيـ سـنـةـ ١٣١٩ـ هـ وـقـدـ أـغـفـلـ ذـكـرـ الـنـاسـةـ إـلـاـ أـنـ الـأـيـاتـ صـرـيـحةـ فـيـ أـنـهـاـ  
نـظمـتـ فـيـ هـذـهـ الـحـادـثـ لـأـنـ فـيـهـ مـدـحـ السـلـطـانـ عـبـدـالـعـزـيزـ وـذـكـرـ نـجـدـ وـقـدـ  
جـاءـ فـيـهـ قـوـلـهـ :

أـعـزـ مـلـوكـاـ عـبـدـالـعـزـيزـ  
أـذـ عـدـاهـ بـالـأـسـلـ العـزـيزـ  
بـظـهـرـ البرـ يـرـشـحـ بـالـتـزيـزـ  
فيـ بـحـرـ الـعـروـضـ جـرـىـ طـوـبـيلاـ  
مـشـرـعـةـ الـعـمـادـ عـلـىـ النـشـوزـ  
وـيـاـ نـجـداـ بـهـ نـجـدـ اـسـتـقـلـتـ  
ثـبـيرـاـ لـاـ يـزـلـ زـلـ بـالـهـزـيزـ  
رسـاـ جـبـلاـ عـلـىـ الجـبـلـ المـسـاميـ  
بـكـفـكـ وـقـنـةـ سـوـىـ الغـمـوزـ (٥٨)

### شـاعـرـ مـعـ الـوـهـاـبـيـنـ :

لـقـدـ كـانـ الشـعـرـ الـذـىـ قـدـمـهـ فـيـ الصـفـحـاتـ السـابـقـاتـ مـوجـهاـ ضـدـ الدـعـوـةـ  
الـوـهـاـبـيـةـ وـأـنـصارـهـاـ مـسـتـكـرـاـ أـعـمـالـهـاـ وـحـرـوبـهـاـ مـادـحـاـ مـقاـومـهـاـ مـنـ رـجـالـ الـدـوـلـةـ  
الـعـمـانـيـةـ ،ـ وـجـمـيعـ هـذـهـ الشـعـرـ عـلـىـ اـخـلـافـ مـنـابـعـهـ وـعـوـاـطـفـ أـصـحـابـهـ وـعـلـىـ

(٥٥) هـذـاـ التـعبـيرـ مـنـ أـسـالـيـبـ حـكـومـةـ بـغـدـادـ آـنـذاـكـ .ـ رـاجـعـ العـدـدـ ١٩٥ـ مـنـ جـريـدةـ الزـورـاءـ .ـ السـنـةـ الثـالـثـةـ .ـ ٢٨ـ شـعـبـانـ ١٢٨٨ـ هـ .ـ  
(٥٦) الـعـرـاقـ بـيـنـ اـحـتـلـلـيـنـ .ـ صـ ٢٦٦ـ - ٢٦٧ـ مـنـ الـجـزـءـ السـابـعـ .ـ  
(٥٧) دـيوـانـ السـيـدـ إـبـراهـيمـ الطـبـاطـبـائـيـ صـ ١٤١ـ - ١٤٢ـ .ـ

ما بين بعضه وبعض من بعد في الزمن وتفاوت في الاساليب يلتقي عند نقطة واحدة وهي مناهضة الوهابيين وأعمالهم ، ولكن شاعرا عراقيا واحدا انفرد بتمجيد الوهابيين وسار في ركبهم ومدح عقيدتهم وبرر أعمالهم وتطرق رؤسائهم ، وهو السيد عبدالجليل<sup>(٥٨)</sup> الطاطباني البصري المتوفى سنة ١٢٧٠هـ غير أن هذا الشاعر لا يستطيع أن يضع نفسه في مصاف شعراء عصره من حيث الاسلوب والصياغة بل كان شعره وسطا وقد يسف فيه إلى ما دون الوسط ف يأتي به ألفاظا لا تخضع لغير الوزن كما أنه لم يستطع أن يسلك في مبدئه السياسي طريقا واحدا لا ينحرف عنه فهو مع السعوديين حين يكون في نجد وعلى ساحل البحر العربي وهو مع الدولة العثمانية وسلطانها وولاتها حين يكون في البصرة موطن أسرته وهو مع شرفاء مكة حين يحج بيته الحرام ، والدولة العثمانية وشرفاء مكة خصوم الدعوة الوهابية ، لذلك خلا شعره من الصدق وحرارة العاطفة ولكنه على كل حال يمثل لونا من ألوان الشعر العراقي في تصوير جانب من جوانب الحركات السياسية وبخاصة تلك الحركات التي مثلتها الدعوة الوهابية في نجد والاحساء وعلى الساحل العربي . ولو لم يكن السيد عبدالجليل يتردد على الاقطار الساحلية بين الاحساء والكويت والبحرين لاعماله التجارية ولو لم تتجهه الضرورة لما رضى أن يقعد في مكان المعارضة لمعاصريه من شعراء العراق ففي الوقت الذي كان فيه هؤلاء الشعراء يرون الدعوة الوهابية مروقا على الاسلام وخروجا على الاجماع كان عبدالجليل يرى فيها احياء للدين وتشيدا لاركانه وقمعا للبدع وهو في ذلك لا يختلف عن أي شاعر يعيش مع السعوديين آنذاك .

وأول قصيدة ينظمها في مدح الوهابيين كانت بمناسبة حرب سعود بن عبدالعزيز مع أمراء البحرين سنة ١٢٢٤هـ وكان هؤلاء قد رفضوا الخضوع

(٥٨) اسرته معروفة في البصرة ولها بساتين من النخل وقد ولد عام ١١٩٠هـ وسافر الى البحرين واشتغل بتجارة المؤلّف وكان كثير الاسفار وتوفي بالكويت وترك ديوان شعر سماه ( روض الخل والخليل - ديوان السيد عبدالجليل ) .

ل سعود عن طوعية فأرسل اليهم جيشاً أخضعهم وأمر رؤسائهم بالذهاب إلى الدرعية فوصلوها في محرم من سنة ١٢٢٥هـ<sup>(٥٩)</sup> وكان هؤلاء من آل خليفة أصدقاء الشاعر وكان هو في البحرين عندما غلبوه على أمرهم ولحقه من الفرار ما لحقهم فقد أسره أتباع سعود وبقي في أيديهم من صفر سنة ١٢٢٥هـ إلى صفر سنة ١٢٢٦هـ<sup>(٦٠)</sup> وقد قضى من هذه المدة ثلاثة أشهر في الدرعية عند سعود وسعى لفكاك آل خليفة<sup>(٦١)</sup> وكانت قد بقوا في الدرعية إلى رمضان سنة ١٢٢٥هـ<sup>(٦٢)</sup> .

ويشير الشاعر إلى أنه نظم هذه القصيدة في ذي الحجة سنة ١٢٢٤هـ<sup>(٦٣)</sup> وأرسلها إلى سعود بن عبدالعزيز ومعنى ذلك أنه أرسلها بعد المعركة التي وقعت بين سعود وأمراء البحرين<sup>(٦٤)</sup> وبعد أن يقع هو وأسيراً بأيدي السعوديين وإذا صح ما زعمه فإنه يكون قد خاف من الضرر فأراد أن يتوجه بنظم القصيدة ولكنه وقع فيما خاف منه .

والقصيدة طويلة بدأها بالشكر للباري الذي أتحف الناس بدين (محمد) فأثار القلوب به فقال :

تبارك يا مولى الملوك الأعظم و(عزت)<sup>(٦٥)</sup> يا مبدى الجميل وراحمي

(٥٩) عنوان المجد لابن بشر ص ١٤٧ من الجزء الأول .

(٦٠) مباحث عراقية - ص ١٩٥ من الجزء الأول .

(٦١) المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٦٢) هذه روایة الشاعر كما جاء في (مباحث عراقية) ص ١٩٦  
ج ١ أما عثمان بن بشر فيشير إلى أن عودتهم كانت سنة ١٢٢٦هـ باذن من سعود . راجع (عنوان المجد) ص ١٥٤ ج ١ .  
(٦٣) روض الخل والخليل - ص ١٤ طبع مصر و ص ٢٠ من طبعة الهند .

(٦٤) حدثت حرب أخرى بين قوات سعود وبين أبناء الامراء من آل خليفة سنة ١٢٢٥هـ وكانت بحرية أكثر منها برية وقد تغلب فيها آل خليفة . راجع (مباحث عراقية) ص ١٩٥ ج ١ و (عنوان المجد) لابن بشر ص ١٤٧ و ١٤٨ ج ١ .

(٦٥) يريد بها : (عزت) وهي لغة من يقلب الحرف الثاني من المضف ياء .

ثم قال :

جزى الله رب العرش بالصفح والرضى وبالخير من قد كان أصدق قائم هو الورع الاواه شيخى (محمد) هو القانت السجاد فى جنح فاحم وبعد أن يستمر فى مدح محمد بن عبد الوهاب ودعوته التي جاء بها فى زمن كثرت فيه البدع وانتشر الفسق والعصيان وقل الناهون عن المنكر والأمرؤون بالمعروف بعد هذا كله يتقل الى مدح عبدالعزيز بن محمد الذى آزر محمد بن عبد الوهاب فى بداية الدعوة ومكى للعدل حتى تساوت لديه الرعايا وفازت بالعيش الرغيد ، وقاد الجيوش مثل السيل :  
فالبس أهل الشرك أثواب ذلة بأسر وقتل واكتساب المغانم وبعد أن يحكم الشاعر على المسلمين بالشرك كما حكم عليهم الوهابيون يقول :

الى أن أباد الله كل معاند وفرق شمل الباطل المراكب  
ورد جموع المشركين بغيرهم وما قط نالوا غير شر الهزائم

ثم يمدح سعود بن عبدالعزيز فيقول :

سعود أدام الله أيام سعده وكان له الاقبال خير ملازم  
امام الهدى بحر الندى من سقى العدا كؤوس الردى حتى اهتدى كل راغم  
وبعد أن يسبغ على سعود ما شاء من الصفات والنعموت يستعرض حادثة  
آل خليفة أمراء البحرين والجيش الذى زحف عليهم من نجد والقواد  
ال بواسل الذين قادوا ذلك الجيش فأخضعوا أمراء البحرين :

وألقى اليهم أمره ابن خليفة وغضّ لأمر غره كف نادم  
فأواه غفرانا وصفحا امامنا وناصحه فى أخذه للكرام (٦٦)

(٦٦) بعد أن أفلت الشاعر من السعوديين ناقض نفسه فقد جاء فى رساله بعث بها الى صديقه فتح الله بن نعمة الله الحلبي مشيرا الى عودة أمراء البحرين بعد أن أعطوا ابن سعود المواثيق بالطاعة وانهم نبذوا المواثيق . جاء فى الرسالة قوله : « والذى الجاهم الى نقض العهد هو ما أذاقهم سعود من الذل والهوان وأخذ كريم الاموال من الغيل والركاب والسلاح » راجع الرسالة فى ( مباحث عراقية ) ص ١٩٦ من الجزء الاول وهى مؤرخة فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٤٢٦ هـ ١٨١١ م .

ويختت القصيدة بقوله مخاطباً سعوداً :

هنيئ لك الملك الذي أنت أهله ومانعه من سوء باع وظالم

وقد حذفنا من القصيدة أكثرها مكتفين بالإشارة إلى ما تضمنه القسم المحدّوف من أهداف وأغراض تتصل بالدعوة الوهابية ومؤسسها وأنصارها على أن قسماً منها غير قليل تعرض للحالة الاجتماعية في نجد وغيرها ولا سيما ما يتصل منها بالبدع والخرافات والمفاسد وسواء أكانت القصيدة بداعي من خوف أو طمع فإنها تصلح أن تكون متنا من متون التاريخ لتلك الدعوة في بدايتها<sup>(٦٧)</sup>.

وفي موقف آخر من مواقف الطمع والتقرب ينظم هذا الشاعر قصيدة أخرى في مدح سعود بن عبدالعزيز عندما وفد إليه مع آل خليفة سنة ١٢٢٥هـ فيقول فيها :

عليك سلام أيها الملك الذي  
جئت الورى مجدًا وفتقهم فخرًا  
وظهرت دين الله بالبيض والقنا<sup>(٦٨)</sup>

والذي أراه أن هذا الشاعر لم يكن قد نظم هذا الشعر بداعي ديني ولم تكن مواقفه هذه بوحي من عقيدة بل كانت بداعي من الخوف والطمع لانه حضرى لا يقوى على مواجهة البدو ولا يطيق خشونتهم ودليلى على تملق الشاعر وعدم صدقه فيما نظم من مدح للدعوة الوهابية وأنصارها ما جاء في رسالته التي بعث بها إلى صديقه الحلبي وهو قوله :

لما كنا في أرض ابن سعود كنتم في أسوأ حال كارها معاشرة غير المشاكل والمجانس وفي أرض لا نعرفها وناس ما أفناهم ٠٠٠ ثم ان جماعتنا من بني عتبة - يعني بهم أمراء البحرين - بعد ما من الله عليهم بالنصر والظفر على عدوهم وقطع دابرته ابن سعود من جميع ساحل البحر استراحوا

(٦٧) راجع القصيدة في (روض الخل والخليل) ص ١٤ - ١٦ من طبعة مصر و ٢٠ - ٢٢ من طبعة الهند .

(٦٨) راجع (روض الخل والخليل) ص ١٧ طبعة مصر .

واستقروا<sup>(٦٩)</sup> ، فَإِنْ نَسْعَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مِنْ ذَلِكَ الشِّعْرِ ؟

### فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ :

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَقَلَ تُرْكِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي الرِّيَاضِ مِعِدًا لِلْحُكْمِ السُّعُودِيِّ أُرْسِلَ إِلَيْهِ السِّيدُ عَبْدُ الْجَلِيلِ هَذِهِ مَقْطُوْعَةً مَعَ كِتَابٍ تَأْيِيدٍ لِرَأْيِكَ الْأَصْلُوبِ وَكَانَ ارْسَالُ الْمَقْطُوْعَةِ مَعَ الْكِتَابِ فِي سَنَةِ ١٢٤٨هـ وَهِيَ جَوابٌ عَلَى كِتَابٍ وَرَدَ مِنْ تُرْكِي كَمَا يَدْعُى الشَّاعِرُ<sup>(٧٠)</sup> ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَقْطُوْعَةِ قَوْلُهُ :

أَخْذَنَا بِالْهَمَةِ الْعُلَيَّاءِ مُنْفَرِداً      مَا يَعْجَزُ الْجَحْفُ الْمُجَارُ مُجْمِعًا  
وَنَلَتْ بِالْحَزْمِ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلْدٍ      صَبَرْتُ مُحْسِنًا تَحْتَ الْمَكَارِهِ لَا  
وَأَنْ يَمْدُ إِلَيْهِ طَالِبُ طَعْمًا      فِي قَفْرَةِ لِيْسَ فِيهَا لِلظَّرِيدِ حَمِيٌّ  
مِنْ مَسْعَدِ مُنْجَدٍ أَنْ تَدْعُهُ مَمْعًا      لَمْ يَشْتَكِ الْهُولُ عَمَّا رَمَتْ غَايَتِهِ  
وَلَمْ تَجِدْ مَوْتًا لِمَهْمَا تَكَنْ فَرْعَا      حَتَّى امْتَطَيْتُ ذَرَى الْعُلَيَّاءِ لَا أُثْرَأً  
لَمْ يَتَكَنْ فِي الدُّنْيَا كَابِدَتِهِ جَزْعًا      وَلَا فَخُورًا وَلَا مُسْتَكِبِرًا قَذْعًا<sup>(٧١)</sup>  
وَبَعْدَ أَنْ قُتِلَ تُرْكِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَنَةَ ١٢٤٩هـ عَلَى يَدِ ابْنِ اخْتِهِ وَجَاهَ  
ابْنَهُ فَيُصْلَى فَقْتَلَ الْفَاتِلَ وَحَلَّ مَكَانُ أَبِيهِ زَحْفَ جَيْشَ مَصْرَى وَاحْتَلَ الرِّيَاضَ  
وَسِيقَ فَيُصْلَى إِلَى مَصْرَ سَنَةَ ١٢٥٤هـ ثُمَّ فَرَّ مِنْ مَصْرَ سَنَةَ ١٢٥٩هـ وَعَادَ إِلَى  
الرِّيَاضَ فَاحْتَلَهَا وَأَقْامَ فِيهَا يَدِعُو النَّاسَ<sup>(٧٢)</sup> وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أُرْسِلَ إِلَيْهِ  
السِّيدُ عَبْدُ الْجَلِيلَ قَصِيْدَةً طَوِيلَةً قَالَ فِيهَا :

إِمَامُ أَنَّا بِالْمَسْرَةِ وَالْهَنَاءِ      وَبِالْعَزِّ وَالْعَدْلِ الْعَمِيمِ وَبِالرَّشْدِ  
وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ أَهْلَ نَجْدٍ مِنَ الْوَهَابِيْنَ كَانُوا يَطْلُقُونَ كَلْمَةَ الْإِمَامِ  
عَلَى كُلِّ مَنْ يَتَوَلَّ الْحُكْمَ مِنْ آلِ سَعْوَدٍ . ثُمَّ يَشَيرُ إِلَى مَا حَدَثَ لِفَيُصْلَى  
فِي مَصْرَ :

فَسَلَّمَ مَصْرَ عَنْهُ هَلْ رَأَتْ غَيْرَ حَازِمٍ      أَبِيَّ عَلَى حَمْلِ الْعَنَا صَابِرٌ جَلْدٌ

(٦٩) راجع : (مباحث عراقية) ص ١٩٦ ج ١ .

(٧٠) روض الخل والخليل - ص ٦٥ و ٦٦ طبعة مصر .

(٧١) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٧٢) راجع ص ٣٤ .

فوض لله المهيمن أمره      وعاد يرب الناس من شر ذي حقد  
وعاد يحمد الله غير مدافع      عن الامر يمدون النقية والقصد  
ثم يصف حالة نجد بعد غياب فيصل في مصر فيقول :

وأنهى اليك الحال مدغت غالنا      بغيتك الدهر العوس على عمد  
جلاء وتنكيد وغم وذلة      ولا ناصر للحق ذو نخوة يجدى  
نم تكشف الحقيقة عند الشاعر وبوضوح عما فى نفسه من أنه  
لم يمدح عن عقيدة بل عن طمع وتقرب وأمل بالعطاء الذى يستريح به من  
الكد والتعب فيقول :

وأرجو من الرحمن يبدل ما مضى      بما يريح القلب من وصمة الكد  
واكفى من هذه القصيدة بما ذكرته لأن معظم أبياتها تكرار واغادة  
للمعنى التى يعرفها الشاعر أو لا يعرف غيرها وهى معان متذلة لكثير من  
النظمين من أمثاله<sup>(٧٣)</sup> .

هذا ما استطعت أن أظفر به من الشعر العراقي الذى سار فى ركب  
الدعوة الوهابية ومجد أصحابها وأتباعها والمحاربين باسمها ، وهذا الشعر  
لم يكن من الرصانة والقوة بحيث يمكن أن يوجد من حيث المجموع الى  
جانب تلك القصائد والمقطوعات التى ناهضت الدعوة الوهابية وأتباعها وإن  
كان بعضها ضعيف الاداء ركيك الاسلوب .

وهذا أيضا مجموع ما استطعت أن أظفر به من الشعر العراقي الذى  
أوحته الدعوة الوهابية وحوادثها سلبا وايجابا وقد رأيت أن الشعر الذى  
ناوا الدعوة الوهابية وأصحابها كثير فى الكم فهو لشرعا متعددين كان لهم  
 شأن فى تاريخ الادب والشعر خلال القرن التاسع عشر وان آية موازنة  
تعقد بينهم وبين شاعر واحد وقف فى صف الوهابيين موقفا مضطربا تبدو  
موازنة غير سليمة اذ ليس ثمة من تكافؤ فى الاسلوب والعاطفة يجعل الموازنة  
 ذات اثر فى البحث او أنها من متمماته ، وقد رأيت أيضا أن العاطفة الدينية

(٧٣) راجع القصيدة فى ( روض الخل والخليل ) ص ١٤٦ و ١٤٧

طبعة مصر وعنوان المجد لابن بشر ص ١٠٦ - ١٠٨ ج ٢

كانت أشد تأثيراً من غيرها في الشعر الشيعي الذي صور هجوم سعود على  
مدينة كربلاء وإذا كانت هذه العاطفة تلتقي مع النزرة السياسية ففي حدود  
اغفال الدولة العثمانية وعدم الاعتماد عليها في دفع الشر + أما بقية الشعر  
الذى وقف الى جانب الدولة العثمانية ومجده أعمالها في محاربة الدعوة  
الوهابية وأنصارها فإنه شعر يدخل في باب المدح أكثر مما يدخل في باب  
العقيدة وإن كان للعقيدة تأثير فيه كما في شعر عثمان بن سند الذي استعمل  
سلاح الوهابيين فحاربهم به ورماهم بالربيع والصلال ، وكما في بعض  
القصائد والمقطوعات الأخرى التي لم تغفل الجانب الديني في تبرير مواقف  
الدولة العثمانية من هذه الدعوة الجديدة .

## الفصل الثاني

# الشعر بين الحس العربي والشكوى العامة

مر بنا في أواخر الفصل السياسي ما كان عليه العراق من تأخر في مجال التيارات الحديثة التي ظهرت في مصر وسوريا ولبنان وقد بنا الاسباب التي حالت بين العراق وبين التطور والاقتباس وأدت إلى بقائه في تلك الدوامة العتمانية المطبلقة فلم تسر إليه الاشعة التي امتدت إلى البلدان العربية الناهضة ومنها الشعور بالحرية والانتفاض من سبات الجهل والحرمان وكان القصد مما أشرنا إليه أن نستعين على تفسير الشعر الذي يلمس منه استكثار للحكم أو استيءان مظاهره العامة في العراق وكذلك الشعر الذي قيل في الحماسة والفخر والاعتزاز بالعرب وأمجادهم القديمة وتأيد نورات بعضهم هنا وهناك في تاريخهم الحاضر أو الشعر الذي شكا فيه أصحابه من الفاقة والحرمان ونكد العيش مما له ارتباط بفساد الاحوال السياسية والاجتماعية ، ومما هو بديهي أن الشعر العراقي في القرن التاسع عشر كان يستمد مقوماته من التراث القديم ويستوحى في موضوعاته عصره وبيته فلم يستطع الخروج عن هذا المحيط ليتلوس طريقه على ضوء المفاهيم الحديثة التي لم تصل إلى العراق آنذاك لذلك بقيت الموضوعات والاساليب التقليدية أهم ما يرتبط به الشاعر فلم يكن بإمكانه أن يتراوّل الأهداف العامة التي تناولها بعض

الشعراء في مصر وسوريا ولبنان من المطالبة بحرية العرب واستقلالهم أو استقلال الشعوب التي يتمنون إليها على أقل تقدير بل لم يكن باستطاعة الشعر العراقي أن يدعو إلى استقلال العراق وانفصاله عن الخلافة العثمانية التي كانت هي الأخرى موضوعاً بارزاً من موضوعات الشعر ، أما الشعر الذي يمكن أن يسمى ظاهرة من ظواهر الاستياء والناهضة للحكم فإنه كان يدور في أساليب محدودة لا يدل معظمها على سعة أفق وعمق تفكير وإن كان بعضها قد ثار وحرض ودعا إلى الانتفاض على الفلم وتناول سياسة الترك بما هي عليه من غدر وبطش ولكن هذا – كما قلنا – كان يدور في الأفق الضيق المحدود ثم يذهب بذهاب فترة الاستياء ليقيمه شعر ممالي للدولة وولاتها إن لم يكن من الشاعر نفسه فمن الشعراء الآخرين ولعل من النادر جداً أن نرى شاعراً خلا شعره من الجمع بين الصدرين ٠

ومهما يكن من أمر هذا الشعر فإنه يمثل الفكرية القومية في بداية المرحلة ويستطيع أن يشارك في بناء النهضة الحديثة للأدب العربي الصاعد ، ومهما يكن من أمر هذا الشعر في ضيق النظرة فإنه كان عدسة تلتقط في معظم الأحيان صوراً مختلفة لتلك الظروف والاحوال السيئة ، وكانت تتوهج خلال ذلك الشعر التقليدي المكبل بأغلال المناسبات ومضات تطلق أشعتها في طريق المواطنين وإن كانت مضات ضعيفة متقطعة تبدو حيناً وتختفي أحياناً كبيرة ٠

#### طرق التعبير :

لقد سلك الشعراء في التعبير عن فساد الحكم وأضطراب الحالة السياسية طرقاً متعددة لا تقل عنها طرق التعبير عن التزعزع العربية التي ظهرت في شعرهم فقد كان بعضهم ذاتياً لا يتجاوز حدود الشكوى من الفقر والفاقة والسطح على المجتمع وظلمه وقسوته وعلى الحياة وضيقها ، وكان بعضهم يخرج عن ذاتيه فيصرخ بقومه ويحثهم ويناديهم ويندد بالظلم ويتألم ويدفعه ألمه إلى اليأس حيناً والى الرجاء حيناً آخر ، وكان بعضهم في شعره

القومي قبل النزعة لا يفخر الا بنفسه ولا يتحدث الا عن آبائه وأجداده ومثل هذا الشعر لا يختلف في موضوعه عن اى شعر افتخر به القدماء في عصور الحكم العربي غير أن بعضهم كان يصور الامانى التي يفكر بها ويرسم لها طريق الوصول ولكن بحروب خالية فيها كل خصائص الحروب ثم لا يقع شيء من ذلك الا في عالم الشعر وحده . والى جانب ذلك كان نوع من الشعر يعبر عن نزعة خاصة لا تزيد الحكم الا ليت خاص من بيوت العرب وهذا الشعر هو الذي يتغنى به بعض الشعراء العلوين فهم حين يصرخون ويخترون وحين تثور حماستهم لا يرون موضوعا لهذا الفخر غير الاتساب للنبي والله ولا يتغفرون قيام حكم صالح الا على أيديهم<sup>(١)</sup> في حين أن هؤلاء الشعراء مدحوا السلاطين والولاة في الدولة العثمانية شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعراء الذين جمعوا بين الضدين فيما تناولوه من موضوعات ، وفيما يلي عرض لأهم تلك الطرق والصور التي عبر بها الشعراء عن نزعاتهم العربية أو عن ثوراتهم وسخطهم على السياسة وما فيها من اجحاف وقسوة .

#### الفخر والخمسة :

هذا اللون من الشعر ولد مع الشعر العربي وصوره شائعة في العصر الجاهلي وما بعده وعلاقته بالسياسة ناشئة من ارتباطه بالحياة القبلية أيام كانت القبيلة صورة مصغرة للدولة فالشعر الذي يفخر بها انما هو تأييد لها ولسياستها ومثله الشعر الخاص الذي يعبر عن ذاتية الشاعر نفسه دون الاشارة الى القبيلة أو البيت الذي ينتمي اليه اذا كان ذلك التعبير يتناول الدوافع والبواعث التي حملته على الفخر والحماسة ومنها الشعور بالذل وعدم الاستقرار ، غير أن هذا الذي قلناه لا ينطبق على القرن التاسع عشر تمام الانطباق فان وجود القبيلة العربية في العراق لا يعني أنها مستقلة سياسيا وانها تحكم نفسها بنفسها فما يقال فيها من الشعر يعد شعرا سياسيا

---

(١) سيأتي فصل خاص بالشعر السياسي عند الشيعة .

لأنه يدافع عنها ويفاخر بها ، أو ما ينفعه بعض الأفراد لذاته ونفسه يعد أيضاً شعراً سياسياً إذا كان فيه تعبير عن البواعث والدوافع ، وللهذا السبب لا يمكن الحكم على هذا اللون من الشعر بأنه يمثل رأياً سياسياً واضحًا وإنما تبدو أهميته في كونه تعبيراً عن نزعه لا تزيد الذوبان في تيار العجمة الحاكمة وفي كونه من عوامل التبيه إلى مواطن العزة والتماسك إزاء ذلك التيار المخيف وإن لم يكن ذلك من قصد الشعراء في بعض الأحيان أو في كثير من الأحيان لأنهم شعراء مقلدون في موضوعاتهم وشعر الفخر والحماسة قد تكون صلته بالتقليد والمحاكاة أقوى من صلته بالاستقلال النفسي والشعورى في القرن التاسع عشر ، ومثل هذا الشعر كثير لا يمكن استيعابه ولما كانت صوره مشابهة فإن بعضها يكفى للدراسة والحكم ومن صوره قول :

عبدالباقي العمرى في تحميشه قصيدة السموأل :

لئن نزت أعدادنا فتزارنا جناناً بما تحمنى به الجار دارنا  
فعز على كل البرايا جوارنا « وما ضرنا أنا قليل وجارنا  
عزيز وجار الأكثرين ذليل »<sup>(٢)</sup>

وللآخرس البغدادي صور كثيرة من الفخر الذاتي والحماسة المتقدمة ، وهو - وإن أكثر من مدح السلاطين والولاة - لم يكن يردد في الغالب فخره وحماسه إلا في الشعر الذي يكون ممدوحه فيه عربياً أو علوياً شريفاً ومن ذلك قوله من قصيدة في مدح أبي الثناء الالوسي :

إذا رأيت الذل رحلت له أنساء أسفار وناوحت النوى  
وانزعتني شيمة لا ترتضى الا المعالي غاية ومتنى  
وكم هجرت موطنها من أهلها والدار من سكانها قد تجتوى<sup>(٣)</sup>

وقوله في قصيدة يمدح بها نقيب بغداد<sup>(٤)</sup> :

ولست مقيناً ما أقمت بمنزل وعيشي أنكاد تسوء وأنكال

(٢) راجع (الترىاق الفاروقى) ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٣) راجع (الطراز الانفس) ص ٢٨ .

(٤) هو السيد علي النقيب وقد توفي سنة ١٢٨٦هـ .

وتصحبني في كل فج عزيمتي وأبيض هندي وأسمع عسال  
وما ملكت مني المطامع مقودا لصاحبها في موقف الضيم اذلال<sup>(٥)</sup>

وإذا كان عيش الآخرين أثكادا واتكلا فانه لم يكن ذا سيف ورمح  
ومغامرات وانسا هي خطرات تقليدية فيها شيء من التعبير عن واقع  
حياته المرة \*

ويجرد الآخرين من نفسه شخص آخر فيخاطبه متبرأ مستفزا لحمل  
السلاح وخوض الحروب فيقول :

فاترك الهزل يوم جد بجد  
واطلب العز بالقنا والمواضى  
فمرام المنى ونيل المعالى  
واقتحمها اذا نبت بك يوما  
وادفع الشر ان علمت بشر  
وتقلد بالرأى قبل المواضى  
ان هزل المقام بالشهم ذام  
انما العز ذابل وحسام  
بسوى البيض والقنا لا يرام  
فأرى المجد بابه الاقتحام  
ربما يدفع السقام السقام  
ليس يجدى بغير رأى صدام<sup>(٦)</sup>

ان هذه المقطوعة من الشعر التعليمي وفيها حس قومي يؤمن بضرورة  
العمل والكفاح ، وتتواء حماسة الآخرين في قصيدة أخرى تدل على ما كان  
يشعر به من ألم شديد في موطن لا يجدى الاحرار فيه غير حمل  
السلاح فيقول :

ألا نكلت أم الجبان ولیدها  
أحن الى يوم عبوس عصبي  
الي موقف بين الأسنة والظبي  
يكشر فيه الموت عن حدنا به  
ترفعت عن قوم اذا ما اختبرتهم  
اذا ما رأيت الحي بالذل عشه  
وفازت بما حازته أم المخاطر  
توق له نفسي خنين الأباعر  
ومنزلة بين القنا والمساجر  
وتغدو المنيا داميات الأظافر  
ووجدت كباراً في نباب الأصاغر  
فأولى بذلك الحي أهل المقابر<sup>(٧)</sup>

(٥) الطراز الانفس ص ٣٠١

(٦) الطراز الانفس ص ٣٤٢

(٧) من مجموعة للآخرين لم تنشر . الورقة ١٢ من نسختي الخطية .

وهذا شاعر آخر من أسرة عربية معروفة في بغداد وال伊拉克 وهو عبد الحميد بن أحمد الشاوي المتوفى سنة ١٤٣١ هـ ١٨٩٦ م فقد ترك لنا هذا الشاعر من فخره وحماسه ما يدل على طموح ونوره واندفاع وتصوّر لعصره ولبلده الذي صعدت فيه الانذال واللثام واستخدمني الاماجد ، ومن ذلك قوله مفاخرًا بنفسه وبأسرته :

أرقـت وهـل يـهـجـعـ المـقـصـدـ  
وـبـتـ أـرـاقـ سـيرـ التـجـوـمـ  
يـقـلـ قـرـيـحـ لـهـ لـوـعـةـ  
وـبـقـولـ فـيهـ مـعـبـراـ عـنـ اـسـتـيـاـنـهـ مـنـ بـغـدـادـ مـوـطـنـ أـسـرـتـهـ :

فـلـوـلاـ عـوـادـ عـدـتـ جـمـةـ  
سـقـىـ اللـهـ بـغـدـادـ صـوبـ الـحـيـاـ  
وـلـكـنـ تـرـكـتـ بـهـ مـعـثـرـاـ  
هـمـ النـاسـ اـنـ عـدـ أـهـلـ الـعـلـاـ

لـقـلـتـ - وـانـ كـنـتـ لـأـقـصـدـ -  
وـطـالـهـاـ الطـالـعـ الـأـسـدـ  
- وـانـ لـجـ بـىـ ظـمـأـ - مـوـرـدـ  
لـهـمـ طـارـفـ الـمـجـدـ وـالـأـنـدـ

ثـمـ يـحـنـ إـلـىـ الـكـرـخـ مـوـطـنـ أـسـرـتـهـ وـيـشـكـوـ مـنـ دـهـرـهـ غـيـرـ آـبـهـ بـأـحـدـاهـ :  
وـفـيـ الـكـرـخـ لـىـ كـبـدـ غـودـرـتـ  
لـقـيـتـ مـنـ الـدـهـرـ مـاـ بـعـضـهـ  
وـلـسـتـ لـأـحـدـاهـ ضـارـعـاـ  
وـلـكـنـ أـنـاـ جـارـ عـلـىـ

\* \* \*

وـلـسـتـ أـبـالـىـ إـذـاـ حـادـثـاتـ  
وـقـومـىـ الـأـلـىـ الصـيدـ سـادـواـ الـوـرـىـ  
فـعـمـاـ لـهـرـ أـخـوـهـ الـلـيـثـ  
وـبـزـ الـحـسـ الـعـرـبـىـ عـلـىـ لـسـانـ هـذـاـ الشـاعـرـ فـيـ قـصـيـدـةـ أـخـرىـ لـهـاـ

(٨) أخذت بعض هذه القصيدة من الاستاذ محمد بهجة الاثري وبعضها الآخر من مجموعة مخطوطة لآل الشواف .

أشد عنقا من القصيدة السابقة وأوضح تصويرا لما كان يشعر به من غبن في بغداد وما كان يلاقيه من جفوة وعدم تقدير لكتاباته وكفاية أسرته في بلد ساد فيه الاراذل والعيid - كما يقول - أو كما يشهد واقع الامر فيرسم لنا صورة من صور هذا الانفعال وهو بعيد عن بغداد وكان قد أرسل من لدن الحكومة العثمانية الى نجد ليقوم بسفارة خاصة بين الدولة وبين رؤساء نجد ، وقد أرسل القصيدة الى أبيه أحمد الشاوي وفيها يقول :

تذكرت بغداد بعد المهدوء ونحن بنجد وقعناها  
وما ذكر بغداد من حبها ولا من مودة سكانها  
ولكن تذكريها اذا زدت بمطعم حمير مطعنهما  
بسيدها وابن ساداتها ملوك الورى حل تيجانها  
أبي وأبو كل أكرومة توارنها صيد قطحانها  
وبعد هذا الفخر بأسرته وبأبيه يستذكر الاقامة في بغداد التي لم تعرف بالجميل لآل الشاوي حين دافعوا عنها وصدوا الجيوش الایرانية عن العراق فيقول :

فقم الاقامة في بلدة تاكرنا بعد عرفانها ؟  
كأن لم نند عن حمامها الجيوش ناكسة نحو ايرانها  
بيض يحصل تضررها فراق الرؤوس لأبدانها  
وسمير يزرن قلوب العدا ة خلف مضاعف أبدانها<sup>(\*)</sup>  
وخيـل اذا أقـلت في الـوغـيـ حقـنا دـمـاـهـاـ بالـدـمـاءـ حـسـناـ عـقـائـلـ نـسـوانـهاـ  
ولـوـ لمـ نـدـافـعـ لـظـلـتـ تـبـاعـ سـابـياـ بـأـبـخـسـ أـثـانـهاـ

\* \* \*

وبغداد تلقى بها جفوة وضيـماـ لـقلـةـ اـسـانـهاـ  
يضمـ أـفـاضـلـ أـشـرافـهاـ وـتسـموـ أـرـاذـلـ عـبـدانـهاـ  
تدنسـ فيهاـ صـدورـ النـدىـ بـعـورـ الـقـرـودـ وـعـيـانـهاـ

(\*) البدن = الدرع القصيرة أو الدرع عامة .

فلا خير يرجى لدى شيئاً وقبحاً وتعساً لشبانها  
تساواوا بجمع خصال اللثام تساوى الحمير بأسنانها<sup>(٩)</sup>

وقد يخيل لبعضهم ان الشاعر كان يهجو أهل بغداد ويستههم ولكن  
الحقيقة التي تكمن خلال القصيدة وتستمد عنصرها من واقع الحياة ائماً هي  
غير ذلك ، انها اثارة الحس حين يخدم ، والشعور حين ينام ، انها نفحة  
شاعر عربي يريد أن يرى بلاده غير خاضعة لفلل مخيم عليها وأن يكون  
للداعفين عنها من أبنائها مكان الصدارة بين الناس .

#### الشكوى من الحياة :

عندما يطفح الالم في قلب الشاعر نفسه لا يلبث أن يتتحول إلى صرخة  
شاكيه وكثيراً ما يكون ألم الشاعر من ضيق الحياة وقسوة الحوادث العامة  
وهذا ناشيء من اضطراب السياسة وفقدان العدل والأمن ، وفي الصور التي  
سأعرضها ما يمثل هذا الرأي ويكشف عنه لأنها لم تكن مقصورة على  
الشكوى والالم وعلى النظر إلى الحياة من زاوية السوداء التي يراها الشاعر  
بل سلكت إلى جانب ذلك مسلكاً متيراً وشكت من الفسق والذلة والهوان  
وقد كان الآخرين البغدادي أكثر التعراء تلمساً لهذه الناحية فقد استغل  
مداهنه في (عبدالغنى الجميل) وأمثاله من العراقيين من لهم شأن في  
المجتمع للتعبير عن ألمه وشكواه وكانت وبناته خلال هذه المدائح شديدة  
الانفعال ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها عبد الغنى الجميل

سنة ١٢٦٤هـ :

أَسْفَا عَلَى أَيَّامِ عُمْرٍ تَقْضِي كَدْرَا وَتَذَهَّبُ بِالنَّى تَأْمِيلًا  
وَبِنَاتِ أَفْكَارٍ لَنَا عَرَبِيَّةٌ لَا يَرْتَضِيْنَ سَوْيَ الْكَرَامِ بِعُولَا  
تَأْبِيَ الْمَرْوَةَ أَنْ أَرَانِي وَاقْفَا فِي مَوْقِفٍ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا<sup>(١)</sup>  
أَوْ أَنْتِي أَرْضِيَ الْهُوَانَ وَأَبْنِي بِدِيلًا<sup>(٢)</sup>  
-

(٩) هذه القصيدة نشر كثير منها في بعض الكتب الحديثة وقد  
أخذتها من بعض المجموعات الخطية .

(١٠) راجع (مجموعة عبد الغفار الآخرين) ص ٢٩ - ٣١ وفي  
(الطراز الانفس) ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

ويقول في قصيدة أخرى يخاطب بها عبدالغنى الجميل وقد نظمها

سنة ١٢٦٥هـ :

اللَّيْكَ أَبَا (مُحَمَّد)<sup>(١١)</sup> أَشْكُو حِوادَتِنَا  
أَرَى هَذِهِ الدِّينَى مِنْ ذَلِّ أَصْبَحْتَ  
تَسْنِمَهَا مِنْ كَانَ مِنْ دُونِ خَفْهَاتِنَا<sup>(١٢)</sup>

ويمدحه بقصيدة أخرى في سنة ١٢٦٧هـ فيقول فيها :

مَنْ أَتَرَكَ النُّوقَ الْمَهْجَانَ كَانَهَا  
لَهَا - كُلَّمَا ضَلَّ الدَّلِيلَ - دَلِيلَ  
(إِذَا مَا جَفَانِي صَاحِبُ وَخَلِيلَ)  
وَلَا الدَّهْرَ يَعْدُ بِالْأَذْى وَيَصُولُ  
عَزِيزَهُمْ فِي النَّاثِبَاتِ ذَلِيلَ  
وَلَكِنْ رَوْضَى بِالْعَرَاقِ مَحِيلَ  
رَوِيَتْ وَفِي رَى الذَّلِيلِ غَلِيلَ<sup>(١٣)</sup>

ان هذه المقاطع ليست مجرد شكوى من الزمان والحياة وليس مجرد  
نورقة نفسية ينفرد بها الشاعر لو لم تكن ثمة بواعت متيرة ولو لم يكن  
تجاوب بين المادح والمدوح في استبطان هذه البواعت والاحساس بها ، بل  
لو لم يكن هناك ظلم وفساد نظام ٠

وهذه قصيدة أخرى لعل فيها شيئاً من الفراقة ولكنها تنطوي على  
جانب غير يسير من تصوير الحالة السياسية ، وظراقة القصيدة تأتي من أن  
الشاعر سرت داره في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٦٧هـ  
فنظم هذه القصيدة ليخبر عبدالغنى الجميل بما حدث له ويصور الدار  
والسرقة والأولاد الصغار وأمههم فيقول :

(١١) هو محمود بن عبدالغنى الجميل وقد توفي سنة ١٣٢١هـ ١٩٠٣م .

(١٢) راجع ( مجموعة عبدالغفار الآخرين ) ص ٣٣ - ٣٦ و ( الطراز الانفس ) ص ٤٣٠ - ٤٣٢ ٠

(١٣) مجموعة عبدالغفار الآخرين ٠ ص ٥٦ - ٥٩ - والطراز الانفس ٠ ص ٢٨٠ - ٢٨٢ ٠

يا ليلة في آخر الشهر قد جئ بعد الصوم بالفطر  
 وكشف الصباح لنا حوادتها عن مضمون الغدر  
 أصبحت منها غير مفتر أبدا الى حرمن على وكر  
 وانما ذكرت هذه الآيات لتكون دليلا على عدم استقرار الامن في  
 بغداد وعلى جرأة المتصوّص الذين كانت أيديهم تمتد حتى الى بيت الشاعر  
 الآخرين وحتى في شهر رمضان \*

ثم يأتي بعد ذلك تصوير الحالة السياسية في بغداد فيقول :

بعد الرجاء بموطن خشن يلقي الكرام بجانب وعمر  
 بلد كبار ملوكه بقر صاروا ولاة النهي والأمر  
 لا يفهمون حديث مكرمة فيهزهم نظمي ولا شري  
 فأصبحت أشقي بين أظهرهم فكانى أصبحت في أمر  
 يرقى الذى الى مرانهم حتى يريك النعل في الصدر<sup>(١٤)</sup>  
 وفي الحق انها جرأة من الشاعر أن يشبه حكام بغداد بالبقر وأن يعبر  
 عن المقربين لديهم بأنهم ليسوا الا من الادباء وان تظاهروا بالسفود والقوء  
 ولكن صرخة الآخرين تستند في مكان آخر وفي قصيدة اخرى يخاطب بها  
 عبدالغنى الجميل فيدو أكثر صراحة وأشد ألمًا من الحياة ومن الفلام  
 الذى لا يريد أن ينجلى حتى صار العراق موردا عذبا للكلاب وصار الاحرار  
 لا يجدون متسعا فيه فيقول :

وحسبك مني صبر أروع ماجد  
 بمستوطن ضاقت بمنى رحابه  
 وقد تلغ العذب الفرات كلابه  
 وفاخر رأس القوم فيه ذنابه  
 اذا كتف الضراغم بالذل غابه  
 ويكشف عن وجه الصباح نقابه  
 ويصدق من وعد الرجاء كذابه<sup>(١٥)</sup>  
 وتلمع بعد اليمس بارقة المنى

(١٤) مجموعة عبدالغفار الآخرين \* ص ٥٩ - ٦٢ و (الطراز الانفس) ص ١٩٧ - ١٩٩ \*

(١٥) المجموعة ص ٨٨ - ٩٠ - والطراز ص ٥٢ - ٥٤ \*

وفي قصيدة أخرى ينور الآخرين حتى كاد صبره أن يتمزق فيقول :

أني تغيرت **البلاد وأهلها**      وأني عليها الدهر وهو مفرق  
 هذى هي الدنيا كما تريانها      حرم الليب بها وفاز الأحمق  
 فصبرت فيها والخطوب متاحة      لا ضاجر منها ولا أنا مشقق  
 حتى رأيت الناثبات تقول لي :      عجبا لصبرك كيف لا يتمزق<sup>(١٦)</sup>  
 ثم تأتي قصيدة أخرى في مدح عبدالغنى الجميل ويندس خلالها  
 مقطوع ناير فيه شعور بالقومية الكريمة المهانة واحساس بهوان تلك القومية  
 لدى الاعجم الحاكمين وسخط على الاقامة في موطن الذل والهوان ذلك  
 الوطن الذى تساوى فيه الاشراف والانذال فيقول :

أسفى على عمر قضى شطره      في خيبة المسى إلى الآمال  
 وبنات أفكار لنا عربية      رخصت لدى الأعجم وهي غواى  
 عجباً مثل أن يقيم بموطنه      مشابه الاشراف بالأنذال  
 قدى نوازره بأوجهه عشر      لا يعنون بصالح الأعمال  
 ولدت بهم أيامهم من دوننا      ما أوقع الأيام بالجهال<sup>(١٧)</sup>  
 ويستغل الآخرين عزل أبي الثناء اللوسي من وظيفة الافتاء في بغداد  
 وحرمانه الاوقاف التي كان يعيش منها<sup>(١٨)</sup> فينظم قصيدة يستعرض بها هذه  
 الحادثة ويحمل لنفسه وتصوير حياته نصيا منها فيقول :

أمثل يطوف الارض شرقاً ومغرباً      على أدب يرضى من الكر بالقل  
 وتقذفى الاسفار في كل وجهة      فمن مهمه وعراى مهمه سهل  
 فلا كانت الأيام اذ ذاك في حل      وتحرمني الأيام ما استحقه  
 حليف الجهول الوغد والحسد النذل      وأرجح أختار الاقامة خاماً

(١٦) المجموعة ص ١١٥ - ١١٦ والطراز ص ٢٦٨ - ٢٧٠ .

(١٧) مجموعة عبدالغفار الآخرين . ص ١٠٢ - ١٠٧ والطراز الانفس ص ٢٨٥ - ٢٨٨ .

(١٨) كان تعينه مفتياً لبغداد في سنة ١٢٥٠هـ أيام الوالي على رضا ويسعى من الشاعر عبدالباقي العمري وكان عزلاً في سنة ١٢٦٣هـ ١٨٤٧ م أيام الوالي محمد نجيب . راجع ( غرائب الاغتراب ) ص ٢٣ - ٢٤ و ( مقامات اللوسي ) ص ٥٢ .

وقد عكفت قوم على كل جاهمل  
كما عكفت أقوام موسى على العجل  
قبا لدهر تستنزل قرومه وستتعلّى

\* \* \*

الام أمنى نفس حر أبية  
شديد عليها في الدنا موقف الذل  
نم يخاطب الالوسي فائلاً :

يحط سواك العزل عن شرف العلا  
ومثلك لا ينحط ما عاش بالعزل  
وكم منصب قد قال يوما لأهله  
إليك اذا عنى فما أنت من أهلٍ<sup>(١٩)</sup>

فالآخرون استاء وتألم لعزل الالوسي وندد بالسياسة التي اندفعت الى  
مثل هذا العمل مع رجل في طبيعة رجال الدين ومن أعون السلطان والولاة  
والدافعين عن الخلافة فيما ألف وكتب ولكن الآخرون لم يكن تأثيراً في  
كل ما مدح به الالوسي كما كان موقفه في مدافعه لعبدالغنى الجميل وسر  
هذا إنما يرجع الى شخصية عبدالغنى نفسه والى موقفه من الحكم وصلاحته  
في ذلك الموقف أكثر من غيره من رجال بغداد حتى ملا قلب الآخرين<sup>(٢٠)</sup>  
فاستجاب له بقصائد كثيرة \*

ولم يكن الآخرون وحدهم الشاعر التأثر على الحياة وعلى فساد نظامها  
بل كان لشعراء آخرين ما يشبه الصور التي رسمها في هذه الثورة النفسية  
وان كانوا أقل منه تصويراً وحساً و منهم عبدالباقي العمرى الذى نال من  
المكانة السياسية ما يمكن أن يحصد عليه مثله في عصر الولاية وغيرهم ولكنه  
في بعض لحظاته الذاتية كان يشعر بالالم لقلق مركزه السياسي بين  
العواصف التي كانت تهدده دائمًا حتى تعرض لما يتعرض له أي موظف في  
الدولة وفي مثل هذه اللحظات استجابت له شاعريته فقال :  
ما لزمانى دون كل الأزمن أوقعه الله بداء مzman

(١٩) الطراز الانفس ص ٣٠٩ - ٣١١ .

(٢٠) قال الآخرون : « ولم أر في مدينة السلام من العلماء الاعلام والسداد الكرام ... من يضاهيه في علو الهمة وبعد المرام ، ومكارم الاخلاق وشدة الباس والتوجل في معالى الامور على أنني قد سبرت أغوارهم واقتفيت آثارهم » ، راجع ( مجموعة عبدالغفار الآخرين ) ص ٢٣ .

يقصى الأعلى ويقرب الدنيا  
فكل طاووس طويس المدى  
من زمني واحربا واحزني  
وأسفي والهفي من زمني<sup>(٢١)</sup>

وهذا السيد راضي القزويني<sup>(٢٢)</sup> يعبر عن ألمه من الحياة وفساد  
الاوضاع في قصيدة من الشعر المخمس فيقول :

أترجو أن تبل صدى رجاء بحر كالسراب لعين رائى  
فوالهفي لآمال ظماء متى تصل العطاش الى ارتواه  
اذا استقت البحار من الركایا

تساوي الناس منخفض وعال وذو نقص يعد كذى كمال  
ففر يا موت أرباب المعالى اذا استوت الأسافل والأعلى  
فقد طابت منادمة المناب<sup>(٢٣)</sup>

### شعراء علويون

مر بما في الصفحات السابقة نماذج من الفخر والاعتداد بالنفس  
وتصوير الحياة القاسية وفساد الاوضاع العامة في شعر عبدالغفار الآخرين  
وراضي القزويني وهو شاعر علويان في نسبهما غير أن هذا النسب لم  
يفلهر أثره فيما عرضنا من الصور لهذين الشاعرين كظهوره في شعر آخرين  
من شعراء العراق فقد وجدنا شعراً يمثل النزعة العلوية الهاشمية ويفاخر بها  
كالذى حدث للشريف الرضى وأضرابه من الشعراء العلويين القدماء ، ومما  
لا شك فيه أن تاريخ العلويين تاريخ مصبوع بالدماء وقد بدأ هذا التاريخ منذ  
صدر الاسلام ومنذ أن شعر هؤلاء بأن حقهم مغصوب فحملوا السيف  
وخاضوا المعارك وقتل منهم عدد غير قليل ، ومنذ أن انقل الحكم الى بنى

(٢١) الترياق الفاروقى . ص ٣٩٧ .

(٢٢) هو ابن الشاعر السيد صالح القزويني وقد توفي سنة ١٢٨٧هـ في تبريز .

(٢٣) راجع ( ديوان السيد صالح القزويني ) الورقة ١٤١ من مخطوطات مكتبة الآثار ببغداد .

أمية كانت حياة العلوين عرضة للقتل والتضييق بسبب نوراتهم ومناؤتهم للحكم ولم يختلف العصر العباسي عن العصر الاموي بالنسبة لمحاربة العلوين الذين لم يقف دون طموحهم قتل أو تشريد أو سجن وقد رافقت هذه الاعمال الطامحة من لدن العلوين خطرات من الشعر القوى النابض بالحركة والحس ولعل قصائد الشريف الرضي خير مثل لتسجيل ذلك الطموح ، أما القرن التاسع عشر فقد استمع إلى أناشيد العلوين على ضفاف الفرات والى أمانيهم التي تعبّر عنها تلك الاناشيد وهي لا تأتي على الاقتر الا في مرانى الامام الحسين فنادوا ونادوا بحمل السلاح واستهضوا قومهم لأخذ التأر من أعدائهم وخصوصهم واذا كان الأخذ بثأر الحسين قد انتهى بانتهاء بنى أمية فان المؤكد أن العلوين كانوا يريدون حكما غير الحكم الذي يتزعمه العثمانيون آنذاك ، وقد سلك الشعرا العلويون في التعبير عن أمانيهم مسالك شتى فمنهم من افتقر على الفخر والاعتزاز ومنهم من نادى بحمل السلاح ومنهم من مجد ثورة بعض الهاشمين العلويين هنا وهناك ، ومنهم من مزج بين السياسة والدين فيما نظم فاستوحى العقيدة الشيعية ودعا الى قيام حكم علوى وثار على أعمال الدولة العثمانية واستهض الامام المهدى للقضاء على هذه الدولة ، وسيأتي في فصل خاص أثر العقيدة في الشعر لذلك لا أرى حاجة لاستعراض هذا الشعر الكبير المصوّغ بالدم وإنما أكتفى بعض النماذج التي تمثل خطرات العلوين في مجال الاعتزاز والفخر وتحمّيد بعض التورات التي حدثت لغير واحد من العلوين في البلاد العربية ،

ولعل صور الفخر والاعتزاز والحماسة التدفقة إنما تظهر جلية واضحة في شعر السيد حيدر الجلبي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ ١٨٨٧ م ولاسيما في قصائده التي رثى بها الامام الحسين فقد كان هذا الشاعر في مرانىه من أدق الشعرا تعيرا وأقدرهم على تصوير الالم والحزن واذا كانت هذه المرانى تتصل - أكثر ما تتصل - بمساية تاريخية آلت جميع الطوائف الاسلامية فان صيتها بالعقيدة الدينية أشد من صيتها بالناحية السياسية الا اذا عرضنا الى هذه المأساة من زاوية التاريخ السياسي وظهور الاحزاب في

العصر الاموى ومنها الحزب العلوى المناوي للسياسة الاموية ومن هذه الزاوية يمكن ربط الاندفاع فى شعر السيد حيدر الحللى الى مخاطبة الهاشمين وحثهم على النهوض بالخطيب السياسى الدقيق فى القرن التاسع عشر فهو لا يرى أن يستقر أو يهدأ حتى يرى العلوين قد استعادوا حقهم وأسسوا الحكم الذى يريدون ولو كان بعد هذه المأساة بمئات السنين وما كان السيد حيدر الحللى قد أسمهم اسهاما فعلا فى تكوين الفصل الخاص بالعقيدة الشيعية وأثرها فى الشعر فان مجاله هنا ائمما يأتى فى الخطرات المعرفة عن نزعته الهاشمية وحماسه وآثاره العلوين لكي يحملوا السلاح فى وجه أعدائهم ومثل هذه الخطرات كثير فى شعره ، ومن ذلك قوله فى مقدمة قصيدة يرثى بها الامام الحسين :

يا آل فهر أين ذاك الشبا      ليست ظبك اليوم تلك الظبي  
للفضم أصبحت وشالت ضحي      نعامة العز بذلك الأبا

\*     \*     \*

ما بقيت فيك لستهض      بقية للسيف تدمى شبا  
حى على الموت بنى غالب      ما أطيب الموت بحر الظبي<sup>(٢٤)</sup>

وقوله متৎسا فى قصيدة اخرى يرثى بها الامام الحسين وهى من  
أعنف قصائده أداء وتعيرا :

ان لم أقف حيث جيش الموت يزدحم      فلا مشت بي فى طرق العلا قدم  
عندى من العزم سر لا أبوح به      حتى تبوح به الهندية الخدم

\*     \*     \*

ملى أسالم قوما عندهم ترتى      لا سالمتني يد الايام ان سلموا<sup>(٢٥)</sup>

ولكن الشاعر مات ولم يحمل سيفا ولم يقف فى معركة .  
وفى لحظة اخرى من لحظات الانفعال ندد بموقف الاستسلام

(٢٤) ديوان السيد حيدر الحللى ص ٩٠ طبعة الهند .

(٢٥) المصدر السابق ص ٣٦٦ .

والركون الى الضيم وحث على حمل السلاح لدفع ذلك الضيم فقال :  
 حلولك في محل الضيم داماً وحد السيف يأنى أن تضاماً  
 وكيف تسن جانبك الليالي بذل أو تحل به اهتضاماً  
 الى كبد السماء ترى الفراما ولم تضرم بعد السيف حرباً  
 يحاذر أن يعاب وأن يذاماً أتبذل للخمول جناب حر  
 وآتك في الظبي شرعاً العالى وجيش الموت يزدحم ازدحاماً<sup>(٢٦)</sup>

ومثل هذه المقاطع الحماسية الثائرة ما قاله السيد صالح الفزويني<sup>(٢٧)</sup>

في قصيدة رثى بها الامام الحسين :

بجدى وجدى من على وفاطم  
 فيما أنا ان لم أدرك المجد والعلا  
 نسنه أباة الضيم من آل هاشم<sup>(٢٨)</sup>  
 من الضيم أن يغنى على الضيم سيد

ومثله السيد ابراهيم الطباطبائى فإنه يجدد لنا حماسة الشريف

الرضى بقوله :

وكم ذا على الهم اغمضيه  
 وأما آن يظهر اعلانيه  
 فاما أنسال المنى بالقنا  
 واما لأقضى العلا حقها<sup>(٢٩)</sup>  
 وكم ذا على الضيم اغضائه  
 أما آن يظهر اعلانيه  
 فاما أنسال المنى بالقنا  
 واما لأقضى العلا حقها

أما السيد جعفر الحللى فإنه يصدر قصيدة في رثاء الامام الحسين بمقطع

حماسى مندفع الى الحرب وحمل السلاح فيقول :

في طلب العز يهون الفنا ولا يروم العز الا أنا  
 لا بد لي في العمر من وقفه بين الغلى البيض وسر القنافذ  
 لا عشت ان لم استدر للوغى رحى سوى الهمات لن تطحنا<sup>(٣٠)</sup>

(٢٦) المصدر السابق ص ٣٦٩ .

(٢٧) توفي سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م .

(٢٨) راجع ( الدرر الفروية ) الورقة ٦٠ من مخطوطات مكتبة الآثار  
 بغداد .

(٢٩) ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى ص ٢٧١ - ٢٧٣ .

وانتصها في وجوه العدى بارفة اما لهم او نا<sup>(٣٠)</sup>  
 ان هذه النماذج والالوان التي ذكرتها لهؤلاء الشعراء العلوين ليست  
 الا خطرات عرضت في مجال الرثاء او لمجرد الحماسة والفخر اذ لم يعرف  
 عن هؤلاء الشعراء أنهم حملوا سلاحاً أو استعاناً بعمل حربي ليتحققوا  
 آمالهم غير أنهم كانوا بهذه الاناشيد والقصائد من الناقمين المحرضين على  
 التورات وقد كثر في شعرهم هذا استعمال كلمات الفسق والذل والظبي  
 والرماح وهي من الكلمات المثيرة الدافعة \*

ولكن الشعور العلوى لم يقف عند حدود الخيال الاسترجاعي ليتخذ  
 من مأساة الحسين مصدرًا للشعر الناقم التأثر بل كان بعض الشعراء قد  
 استوحى الحوادث المعاصرة واتخذ من وثبات بعض الهاشميين مادة للشعر  
 القومي وغنى واستبشر وفرح وهتف للاهاب العجيد بتطلع الهاشميين الى  
 الملك والى مناهضة العثمانيين او غيرهم من يقفون في طريق الحكم العلوى  
 ومن ذلك ما استوحاه السيد جعفر الجلى من ثورة امام اليمن محمد بن يحيى  
 المتوفى سنة ١٣٢٢هـ فقد نظم قصيدة أرسلها الى التأثر في سنة ١٣١٢هـ وقد  
 جاء فيها قوله :

مر وانه واحكم فانت اليوم ممثل والأمر أمرك لا ما تأمر الدول<sup>(٣١)</sup>  
 عنك الملوك انتوا عجزا وما علموا أنت زدت علوا أم هم سفلوا  
 خلاص ذى الناج أن يعطيك طاعته لأمه - ان عصاك - الويل والهيل

\* \* \*

٤٢٢ ص بابل سحر .

(٣١) جاءت هذه القصيدة في ديوان الشاعر موجهة إلى العالم الديني المعروف السيد حسن الشيرازي في سامراء وقد غير فيها الشاعر وأضاف وقدمها إليه في السنة التي أرسلها فيها إلى امام اليمن وكان ارسالها إلى السيد الشيرازي في مناسبة خطيرة وهي منح الحكومة الإيرانية امتياز (التبلاك) إلى شركة أجنبية وكان هذا العمل قد أثار السيد الشيرازي فأفتى بتحريم دخان التبلاك وأدت فتواه إلى فسخ عقد الامتياز ولعل الشاعر أراد أن يتخلص من مسؤولية سياسية فعل ذلك . راجع ( سحر بابل ) ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

أعطاكه أولياء الله والرسل  
بشرى فقد رجعت أيامنا الأولى  
كأنهم قط ما ماتوا وما قتلوا  
سيوفكم لم تزل يا آل فاطمة <sup>(٣٢)</sup>  
ومن الواضح أن استبيان الشاعر بنوره امام اليمن على الترك دليل  
ایمانه بشرعية تلك الثورة التي هي جزء من ثورات العرب على الحكم  
العثماني ودليل تطلعه الى قيام حكم علوى يحقق آمال العلويين ورغباتهم .  
ويوجه السيد جعفر الحلى نداء الى شريف مكة فيقول له :

اشعر لواك مؤيدا منصورا  
الله جارك لا ترى محذورا  
طابت حجورك أولا وأخيرا  
فانهض وطهر بيته تلهمرا  
لا يستقى الا الدم المهدورا  
لم لا تصيرهم هما منشروا  
قرآن جدك خلفهم مهجورا  
ما زال ذكرك يبنا منشروا  
فرحا وأصبح من بها مسرورا  
كانت ظلاما فاستحالت نورا  
يلقاك لو كان القاسم مقدورا  
هذا سبيل رسول الله أنت به  
الدولة اليوم في أبناء فاطمة  
محمد اليوم قد أحيابني حسن  
سيوفكم لم تزل يا آل فاطمة <sup>(٣٣)</sup>  
ووجه السيد جعفر الحلى نداء الى شريف مكة فيقول له :

(٣٢) راجع هذه القصيدة في ( تاريخ اليمن ) للواسعي ص ١٣٤ - ١٣٥  
وجواب امام اليمن عليها بقصيدة من الوزن والقافية ص ١٣٦ - ١٣٧  
وفيها يقول :

انا نهضنا وللاتراك صلصلة وشدة ضاق عنها السهل والجبل  
(٣٣) يظهر من هذا البيت أن هذا الشريف اسمه محمد ولم يعرف  
من بين الشرفاء المعاصرين للشاعر من اسمه محمد سوى محمد بن عبد الله  
بن محمد بن عون وقد منح رتبة ( الباشوية ) سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م وفي  
هذه السنة ثار بعض القبائل في أطراف مكة فقضى الشريف عون على  
ثوريهم . راجع ( خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام ص ٣٣١ ) .

لو لم تقم بحدود مكة حارسا ما حج شخض يتها المعمورا<sup>(٣٤)</sup>  
ومن هاتين القصيدين يظهر أن ثمة صلات بين النجف واليمن وبينها  
وبين مكة ، وهذه الصلات تدور في محيط الهاشمين وتعمل لاقامة ملك  
فاطمي علوى ولعل كلمة (سيد) في البيت ما قبل الاخير صريحة في هذا  
الاتجاه لأنها لا تعنى في ذلك الحين غير العلوى الهاشمى ، ويتبين من  
القصيدة الاخيرة أن شريف مكة كان يكتب بعض العلوين في النجف ولكن  
الشك يحوم حول المناسبة التي نظمت فيها هذه القصيدة اذا أهمل ذكرها  
كما أهمل ذكر مناسبات كثيرة من القصائد فلا يمكن القطع بأن هذه الدعوة  
كانت ترمى الى محاربة الاتراك<sup>(٣٥)</sup> فقد تكون غير هذه وقد تكون في بعض  
الحوادث القبلية او الوهابية ولعل بعض الدراسات في الآتي تكشف عن  
المناسبة فتصبح القصيدة في مكانها من التاريخ ومهمها يكن من أمر هذه  
القصيدة والقصيدة التي قبلها فانهما لا تخرجان عن كونهما دعوة علوية  
هاشمية لاقامة حكم هاشمى ان لم يكن في الحجاز فهى اليمن وهذا الحكم  
أينما كان سيجد له استجابة في نفوس العلوين في العراق ، غير أن القصيدة  
الأولى أصرح من الثانية في هذه الدعوة العلوية \*

#### الثورة الجرئية :

ان النماذج التي مرت كانت في حدود التعبير الذاتى والتفاخر بالبيوت  
والأسر أو في حدود الشكوى العامة من الحياة والاواعض وليس فيها كثير  
من الصراحة والجرأة جبال الحكم العثماني فقد كان الشعرا يحومون  
بأجنبتهم الضعيفة دون الوصول الى هذا الهدف الكبير غير أن بعض الشعرا  
قد لمس جانب الصراحة والجرأة وكشف عن أمانيه وغاياته وندد بالسياسة  
الظالمه وصرخ في وجه الحكم وسار في طريق الانارة والبعث واستمد من

(٣٤) راجع : (سحر بابل) ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣٥) يرى الدكتور محمد مهدى البصیر من مجرد الاستنتاج أنها  
تدعى الى محاربة الاتراك . راجع : (نهضة العراق الادبية) . ص ١٦٤ - ١٦٥ .

نفسه وحياته قوة الانطلاق ووضع أصابعه على الجراح الدامية وألمه ما كان يجري من الفلم والاستهتار ولكن كل ذلك أفرغ في قالب قديم ليس فيه ما يدل على اتجاه جديد في مناورة السياسة ومن هؤلاء الشعراء عبدالغنى الجميل مفتى بغداد<sup>(٣٦)</sup> ولعل شيئاً هاماً في تاريخ هذا المفتى يمكن أن يوضح أسباب ثورته واندفاعه وذلك أنه كان في الشام مسافراً عندما قدم الوالى علي رضا وقضى على المالكى في بغداد وعلى أثر هذا استدعاء من الشام وعيشه مفتياً لبغداد سنة ١٢٤٧هـ غير أن التuff الذى رافق حكم هذا الوالى وتضييقه على الأهلين لجمع اعوان للجيش وتقديم المال للسلطان واعتداء جنده على سكان بغداد كل ذلك أدى إلى غضب عبدالغنى الجميل فنبهه إلى خطير ما يعمله الجندي ، واستندت النفرة بين المفتى والوالى وتار أهل بغداد يريدون قتل الوالى فاضطر عبدالغنى الجميل إلى ترك بغداد ثم نهبت داره وأحرقت وأتلفت مكتبه ، وبعد أن هدأت الفتنة استدعاه الوالى مرة أخرى وعرض عليه المقاطعات الجسيمة فلم يقبل شيئاً منها<sup>(٣٧)</sup> وبقى غاضباً نائراً طوال حياته وقد عبر عن غضبه وثورته بقصائد شديدة اللهجة عربية الروح والاندفاع وكان يقف في وجه السياسة والحكام دون ما خوف أو وجل ويبعث صيحاته المؤثرة طالباً من كل عربي أن يقف معه وشاركه في الدفاع عن الوطن الذليل ، وهذه احدى قصائده الطوال تعبر عن قوة جانبه ودعوته إلى النهوض وقد تفاخر بها وتحمس وعاب خصومه وذم الجبناء الذين كانت الوظائف الحقيرة تستهويهم فيذلون في سيلها العزة والكرامة ، وأول القصيدة :

ألم يأن للاحباب أن ينصفوا معنا فراغوا وما زغنا وحالوا وما حلنا

(٣٦) هو عبدالغنى بن محمد جميل بن عبدالجليل ولد في بغداد سنة ١١٩٤هـ ١٧٨٠م وتوفي في ذي الحجة سنة ١٢٧٩هـ ١٨٦٣م وقد سكنت اسرته بغداد في عهد المالكى قادمة من سوريا .

(٣٧) راجع التفصيل في ( مجموعه عبدالغفار الاخرس ) ص ١١ و ١٢ . وفي ( المسک الاذفر ) ص ١٣٦ - ١٢٨ .

و منها :

أخو سفه بل عادم الرأى لا يعني  
ولا يزدهينا مطعم حينما كنا  
وان لا منا من لا منا عنه أعرضنا  
ولا حادثات الدهر هدت لنا ركنا  
فقل للثام القوم ما أنكروا منا  
فخابوا بما قالوا وقلنا فما خبنا  
وصالت علينا المرهفات وما طشنا

بلينا بقوم حافظ الود عندهم  
وانا لأنبى الذل في موطن الغنى  
ولا نرتضى الا المروءة مذهبها  
وما ساءنا حرب الزمان وبؤسه  
وننكر ان شئنا خلائق عشر  
هم زعموا أن كل برق يخفينا  
وطاشوا ببرق خلبي لا أبا لهم

ويتساءل عن هؤلاء بأى الآباء يفتخرن وان تسنموا القمم :  
فقل لي : بماذا يفخرون على الورى  
اذا عددوا الآباء او ذكروا الابنا ؟  
اما يعرفون المجد الأتيل تسنموا  
صليل المواضي البيض والسمير اللدننا

فقل لي : بماذا يفخرون على الورى  
فهم على المجد الأتيل تسنموا  
وما المجد الا دولة وحافظها

ويفتخر بنفسه فخر الشامخ العامل لا القائل المتوارى :  
أجاميل أقواما حياء وعفة  
فيزعم قوم أتنا منهم خفا  
وعندى مقال يقصم الظهر والبطنا  
ولو نشرت يوما لعضا لها الذفنا

واسكت ابقاء لود علمته  
صحائف عندي جمة قد طويتها

ثم يصور حالة العراقيين آنذاك فيقول :  
من الناس الا مظهر البعض والشخنا  
على بعضهم بعضا يدعونه حسنا  
وشبنا وما للصفوة في كدر شينا  
وان حضروا في موقف للختا غينا  
وهم سمروا في ذكر سعدي وفي لبني  
خيار الورى فيه وساوا بنا ظنا  
وعاد الكريم الحر يستر فد القنا

اجول بطرفي في العراق فلا أرى  
فخيرهم للاجنبى وقبحهم  
وشبانهم شابوا المودة بالجفا  
حضرنا متى غابوا بموقف حربهم  
سمرنا مع السمر العوالى ليليا  
الى اللهأنكوا من زمان تحاذلوا<sup>(٣٨)</sup>  
وباع بفلس كل خل خليله

(٣٨) جرى فيها على لغة (أكلونى البراغيث) .

نَمْ يَهُدِّدُ خَصُومَهُ فَيَقُولُ :

وَعَصْبَةُ لَوْمٍ قَدْ تَاجَوْا لِحَرْبَنَا      فِيَا وَيَحْمِمْ مَاذَا يَلْاقُونَهُ مَنْا

وَتَشَدُّدُ صَرَخَةُ الشَّاعِرِ فَيَدْعُوا إِلَى التَّوْرَةِ وَدَفْعُ الظُّلْمِ :

أَيَادِي سَبَا قَدْ غَادَرْتَ ذَلِكَ الْمَغْنِي  
لِمَوْزَمَةِ يَسْنِي بِهَا الطَّائِرُ الْوَكَنَا  
فِيْوَقْفِهِمْ مِنْهُ عَلَى السَّنَنِ الْأَسْنِي  
لِيَوْمِ عَبْوَسِ شَرِهِ يَوْقَظُ الْوَسْنِي  
إِذَا فَقَدُوا فِي الْحَرْبِ مِنْ يَنْطَحُ الْقَرْنَا  
وَأَفْيَالُ عَرَبٍ كَيْفَ صَبَرُهُمْ عَنَا؟

أَلَا نَخْوَةُ مِنْهُمْ فَيَصْحُوا إِلَى إِلَيْهِ (٣٩)  
أَلَا حَازِمٌ لِلرِّشْدِ شَدَ حَزَامَهُ  
أَلَا مَرْشِدٌ مِنْهُمْ عَنِ الْفَنِّ قَوْمَهُ  
أَلَا غَيْرَةٌ تَدْعُو الصَّرِيقَ إِذَا دَعَا  
أَلَا رَافِعٌ عَنْ قَوْمَهُ بَغَى ظَالِمٌ  
أَلَا مُبْلِغٌ عَنِ سَرَّةَ بَنِي الْوَغْنِي

نَمْ يَعُودُ مَفَاخِرَاهُ حِينَا وَسَاحَطَا عَلَى بَغْدَادِ حِينَا آخِرَ فَيَقُولُ :

أَلَا لَقْلُ لِقَوْمٍ خَامِرُ الْجَهَلِ عَقْلَهُمْ  
أَنْحَنَ بَعْنَانِي لِلْمَقَاعِدِ نَسْوَةً  
أَنْحَنَ بَنْدَنَا الْعَهْدَ خَلْفَ ظَهُورَنَا  
سَلَوَ الشَّامَ عَنَا وَالْعَرَاقَ وَعَنْكُمْ  
طَوَيْنَا عَنِ الزَّوْرَاءِ لَا درَ درَهَا  
وَانِي وَانِي كَنْتُ ابْنَاهَا وَرَضِيعَهَا  
وَفِي سَنَةِ ١٢٦٦هـ ثَارَتْ عَاطِفَةُ عَبْدِ الْمَغْنِي الْجَمِيلُ ثَوْرَةُ عَرَبِيَّةٍ صَارَخَةٍ  
وَتَفَجَّرَتْ عَنْ قَصِيدَةِ تَضَرُّمِ حَسَرَةِ وَأَلْمًا وَتَسَابَ فِي خَلَالِ صُورَهَا الْبَرِيَّةِ  
الْقَاتِمَةِ وَمَضَاتِ مِنَ الْأَمْلِ وَالْتَّفَاؤِ فَقَالَ :

(٣٩) فِي الْأَصْلِ (الَّذِي) وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ .

(٤٠) فِي (مَقَامَاتِ الْأَلْوَسِيِّ) ص ٨٦ - ٨٨ تَفْصِيلُ لِلْوَسَائِلِ الْذَّمِيمِيَّةِ  
الَّتِي تَسْلِكُ لِلْمَحْصُولِ عَلَى الْوَظَائِفِ .

(٤١) رُفع جوابُ (مَتِي) الشَّرْطِيَّةِ عَلَى وَهُنَّ الْقَاعِدَةِ .

(٤٢) راجعُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي (مَجْمُوعَةِ الْأَخْرَسِ) ص ٢٣ - ٢٧  
وَقَدْ نَسَبَتْ خَطَا إِلَى الرَّاوِي دَاؤِدَ فِي مَجَلَّةِ (الرِّسَالَةِ) العَدْدُ ٧٠٦ مِنْ سَنَةِ  
١٩٤٧م لَمَّا دَاءَ دَاؤِدُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ فِي نَظَمِ الشِّعْرِ وَلَمَّا بَيْتُ مَا قَبْلَ الْآخِرِ  
صَرِيحٌ فِي نَسْبَتِهِ وَهُوَ :  
وَانِي لَعَبْدٌ لِلْمَغْنِي وَلَا أَرِي      عَلَى لَغِيرِ اللَّهِ فَضْلًا وَلَا مَنًا

عَلَامُ الْاِقْمَةِ فِي بَلْدَةٍ  
وَيَسْأَلُ عَنْ عُمْرِهِ كُلُّ مَنْ  
فَهْلَا رَحَلَنَا إِلَى غَيْرِهَا  
فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي بَلْدَةٍ  
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَبَّنَا الْخَطُوبُ  
إِذَا بَلْدَةً أَنْكَرْتُ أَهْلَهَا  
وَلَكَنْ يَتَفَاعَلُ بَعْدَ هَذَا النَّمْ وَالْمَقْتُ لِبَغْدَادٍ فَيَقُولُ :

فَصَبَرَا فَانِ الْيَالِيَّ تَحُولُ  
وَقَدْ يُورِقُ الْفَصْنُ بَعْدَ الدَّبُولِ  
وَقَدْ تَجْلِي ظَلَمُ الْخَطُوبِ أَدْلَمِ  
فَلَا تَحْزَنْ لِأَمْرِ عَرَاءَ  
فَقَدْ خَصَنَ اللَّهُ دَارَ السَّلَامِ

وَبَعْدَ هَذَا التَّفَاؤلِ وَالانتِظَارِ يَسْتَرِخُ قَوْمُهُ اسْتَصْرَاخُ الْيَائِسِ وَيَأْسُ  
أَشَدَّ الْآسُفِ لَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي بَغْدَادٍ مِنْ يَمْلأُ نَفْسَهُ فَيَقُولُ :

وَقَوْمِي كَسَالَى وَدَائِي الْهَرَمِ  
وَأَهْمَ وَمَالِي مِنْ مَسْدَدٍ  
فَأَيْنَ سَرَّاهُ بْنِي هَاشِمٍ  
وَأَيْنَ الْكَمَةُ الْحَمَةُ الدُّعَاءُ  
أَنَادَى وَمَا لَى مِنْ سَامِعٍ  
إِلَى كُمْ نَرَاعِي الْخَسِيسُ الدُّنْيَ  
فَمَا لَى فِي الْكَرْخِ مِنْ مَسْكُنٍ  
وَكَيْفَ وَقَدْ سَارَ عَنْهَا الْكَرَامُ  
وَكُلَّ رَفِيعٍ بِهَا ضَائِعٍ

(٤٣) لعلها ( جمر الوعنى ) وإن كان حذف الناء مع المؤنث المجازى جائزًا ولكن العطف لا يستسيغ هذا الحذف لأن الفاعل في الثاني ضمير .  
(٤٤) كانت الرصافة مقر الوالي وموظفيه والجندي وعوائلهم جميعا وكانت لهؤلاء محللة قرب ( السراي ) سميت باسمه كما كان بعض الحاليات من الأمم الأخرى يقيم في الرصافة أيضًا .

وتضيق بغداد بالشاعر فلا يرى له فيها مكاناً يسعه فيفكر في تركها لانه أحسن بالذل وقد الامل بالانصار والاعوان :

أَمِيمْ دُعِينِي أَجْوَبَ الْفَلَةَ  
فَأَنِي وَعِنْكَ عَالِي الْهَمْ  
أَمَا تَعْلَمِينَ بِأَنِي امْرُؤٌ  
أَبِيَّ عَنِ الظِّيمِ مَهْماً أَلَمْ  
وَكُنْتَ أَطْنَبَ طَنُونِي وَحَلَ النَّدَمْ  
وَكُمْ لِي عَلَى الْكَرْخِ مِنْ وَقْفَةٍ  
أَسْأَلُ أَبِنَ الرَّفَاقِ الْكَرَامَ  
فَلَمْ أَرِ لِي مِنْ مُجِيبٍ بِهَا  
وَأَنِي تَجِيبُ بِهَا

(٤٥)

وفي قصيدة اخرى يتوجه بها الى الشام نفاثات حارة صدرت عن قلب مكلوم قد آذاه ما كان يحدث في العراق من ظلم وما كان يقابل به هذا انظلم من سكوت وخضوع وقد بدأ القصيدة بمقديمة تقليدية في الغزل والحنين ثم قال بعد المقدمة :

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لِجَلْقِ عُودَةَ  
وَأَبْيَتِ فِي وَادِي السَّفَرِ جَلْ لِيَلَةَ  
مَاذَا أَرِيدُ مِنَ الْعَرَاقِ وَكَرْخَهُ  
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنِي فِي بَلَدَةَ  
وَيَصُولُ فِيهَا كُلُّ مَحْلُولِ الْوَكَاكَ  
وَبِلَاهُ مِنْ فَنَّكَاتِ دَهْرِ جَائِزِ

★ ★ ★

وَإِذَا الْمَازِلُ بِالْكَرَامِ تَغِيَّرَتْ  
فَارْحَلْ بِأَنْفِ شَامِ الْعَرَبِينَ  
وَاحْتَرِ لَنْفَسَكَ مَنْزِلًا فِي الْعَلَا  
فَالْحَرُّ لَا يَرْضِي بَعِيشَ دُونَ (٤٦)

وفي قصيدة اخرى يشتد غضب الجميل وتثور حمساته ويهتف بقومه ويتنى أن يلتقي حوله البهاليل من العرب ليعمل ما يفكر به ، وهو بصيغته

(٤٥) راجع ( مجموعة الاخرين ) ص ٢٧ - ٢٩ .

(٤٦) نظم هذه القصيدة في سنة ١٢٦٧هـ . راجع ( مجموعة الاخرين ) ص ٤٢ - ٤٣ .

ودعوته لا يكتم استياء من بغداد التي لا ت يريد أن تنهض وتب فقد ألغت  
الذل وتحترم الدم في عروق أهلها ، ومن هذه القصيدة قوله :  
وكيف أرى بغداد للحر منزلًا إذا كان مفرى الأديم نزيلها<sup>(٤٧)</sup>  
ويسطو على آسادها ابن عرسها  
فما منزل فيه الهوان بمنزل  
وأصعب ما ألقى رياضة ناقص  
وما ساد في أرض العراقيين ماجد  
فسر عن بلاد طوح لا ترى بها  
ثم يحجب الآفاق ويقطع المفارق التي أعيت معالها الدليل فلم يهتد إلى  
الطريق الا حين يستاف التراب ويشمه ليعرف أين مكانه من الصحراء وهو  
في طوافه هذا إنما يفتش عن قوة من العرب تشد أزره وتساعده في حمل  
الاعباء التي ينوه بها :

عفا الله عنى كم أجوب مهامها  
على ألقى عصبة عيشية  
يُنمُّ بهم مجد رفيع ومنطق  
ثُم يتلهف ويستفهم - مستبعداً مستبطنا - عن اليوم الذي يتحقق  
فيه رغبته :

متى يلثم اللبات رمحى وترتوى  
وحولى رجال من معد ويعرب  
إذا أوقدوا للحرب ناراً تأججت

(٤٧) ارسل هذه القصيدة الى أبي الثناء اللوسي عندما كان في الاستانة أثناء رحلته التي قام بها في خلال ١٢٦٩ - ١٢٦٨ هـ وقد خمسها الآخرين البغدادي وأرسلت الى اللوسي في صيف سنة ١٢٦٨ هـ مع التخييس الذي بلغ ثمانية وخمسين مخمسا كلها منشورة في مجموعة الآخرين اما في ديوانه فلم ينشر منها سوى ثلاثة وثلاثين وينظر أن الناشر حذف ما لا يمكن نشره آنذاك . اما اللوسي فقد ذكر منها ثلاثة وأربعين مخمسا في (تراث الاغتراب ) ص ٢١٨ - ٢٤٤ ويلاحظ القارئ بعض الاختلافات في الاسطرا والكلمات وفي التقديم والتأخير .

ويشير الى النظرية القائلة بأن العز لا يكون الا عند سكان الخيام أما سكان المدن فائهم قد يميلون الى الخضوع والذل<sup>(٤٨)</sup> فيقول :

ما العز الا في بيوت تلفها عذارى وأبكار الطبي حمولها  
تحف بها من آل وائل غلة لهم صولة في الحرب عال تليلها

نم يستصرخ ويتألم :

ألا غيره تقضي المنازل حقها  
عليها رجال من نزار وعامر مطاعين في الهيجا كريم قتيلها

ويفتخر بنفسه :

فلم ألو للاندال جيدى ، ومعشرى بها ليل مستن المايا نزولها  
ويسوؤه ما في بغداد من عدم تقدير للاقفاء :

وكم باسقات بالرصافة أقدمت على عجزها حيث استطال فسيلها  
رعن الله نفسي لم ترد مورد القدى وتصدى وفي ظل المهجير ظليلها  
وما المجد الا دولة ورجالها اسود الوغى والسمهرية غيلها  
لها الله دنيا نالها أحقر الورى  
سأحمل أعباء الخطوب وأتنى كفليها<sup>(٤٩)</sup>

ويسجل عبدالغنى الجميل تاريخ بغداد السياسي فى عصره تسجيلا واضحا لا يحتاج الا الى شئ من الصراحة فى ذكر المسمايات من الاشخاص الذين يحكمون وذلك فى قصيدة أرسلها الى ابى الثناء الالوسي ايضا عندما كان فى الاستانة ، وقد صور بها الظلم الذى عم الناس والخراب الذى شمل البلاد ومنها :

لهفى على بغداد من بلدة قد عشعش العز بها ثم طار  
كانت عروسا مثل شمس الضحى لستير حلها لا يعار

كانت لاساد الوغى منزلا والخائف الجانى بها يستجار

\* \* \*

(٤٨) راجع ( مقدمة ابن خلدون ) ص ١٢٥ طبعة المكتبة التجارية .

(٤٩) راجع هذه القصيدة مع تخييسها فى ( مجموعة الآخرين ) ص ٤٥ - ٥٥ .

فيها ولا في أهلها مستجار  
 فانفر والا يديك الخيار  
 ما ميزوا أشرارها والخيار  
 يلعب بالأباب لعب القمار  
 قطباً غداً الثور عليه المدار  
 قد سجد الليث بها للحمار  
 وهكذا عادة دار البوار

واليوم لا مأوى لذى فاقه  
 واليوم قد حلَّ بها من ترى  
 حلَّ بها قومٌ وهم في عمى  
 وأصبح القرد بها مقتدى  
 والليث قد غاب وفي غابه  
 وللخنا لما غدت مربضاً  
 بارت بها أنسى تجاراتها

يصبح بالناس البوار البوار  
 من بعد ما كانوا كورد البهار  
 فيها عن الرشد من الأزورار  
 وما علا الا خفيف العيار  
 الى العلا عادت خطاه قصار  
 فجار فيها الوغد والحر حار  
 وأول الأحرق يبدو الشرار  
 الا اذا جرد بضم الشفار

قد نعى اليوم على جدرها  
 والكرخ قد أفتر من أهله  
 ما سميت زوراء الا لما  
 قد حط فيها كل طود علا  
 وكل من كان بها وابا  
 قد خلع الناس عذار الحيا  
 والكل فيها قادر زنده  
 لا يستفي غيف آخر نخوة

نم يخاطب الالوسى بمثل ما سبق :

أيا شهاب الدين يا سيدى  
 بغدادكم أخي عليها الذي  
 قد بليت بالغمرات التي  
 يا نازحا عنا وما قد درى  
 برمته من مسد رئته

قد هجم النزل علينا وغار  
 من أسره لا يستطيع الفرار  
 قد علمت مثلك خوض الغمار  
 من بعده ما قد جرى في الديار  
 بالنزل قد قاد الصغار الكبار<sup>(٥٠)</sup>

ان تاريخ هذه القصيدة ينص على أنها أرسلت الى الالوسى في أثناء  
 رحلته الى الاستانة ورحلته قد بدأت في جمادى الاولى سنة ١٢٦٧هـ ١٨٥٠م

(٥٠) راجع (مجموعة الآخرين) ص ١٢٣ - ١٢٤ و (غرائب  
الاغتراب) ص ٢١١ - ٢١٢ .

وانتهت في ربيع الاول سنة ١٢٦٩ هـ<sup>(٥١)</sup> المصادف لنهاية ١٨٥٢ وبداية ١٨٥٣ وفي هذه الفترة تعاقب على ولاية بغداد ثلاثة من الولاة كان ثالثهم (محمد نامق) في سنة ١٢٦٨ هـ ١٨٥٢ اذا استعرضنا ما كتبه اللوسي نفسه في وصف بغداد خلال هذه الفترة وبخاصة زمن ولاية محمد نامق<sup>(٥٢)</sup> ادركنا فداحة الخطاب وتفاقم القلم في بغداد ، اذا عرفا ذلك اكبرنا لعد الغنى الجميل هذه الثورة العنيفة التي تدل على ما للشاعر من حس عربي وشعور وطني .

ويسمعن عبدالباقي العمري صوتا من اصوات التذمر والاستياء مع كونه موظفا كبيرا في بغداد ولكنه لم يستطع أن يكتم ما يحس به من المضايقات ولم يستطع أن يتتجاهل فساد السياسة وحالة العراق آنذاك فقال :

قد استحال العراق مفسدة  
وأهلـه كالاغنام عاتـ بها  
هـذا بـاطـورـ الشـرـ يـسلـخـهاـ  
وـكمـ تـيوـسـ عـلـىـ العـراـقـ نـزـتـ  
جـاشـتـ خـلالـ دـيـارـهـمـ فـةـ  
فـىـ كـلـ يـوـمـ مـنـ شـرـ طـائـفـةـ  
صـدـورـهـاـ كـالـأـعـجـازـ خـاوـيـةـ  
أـعـانـهـاـ كـالـعـيـونـ باـكـيـةـ  
تـحـيرـ الشـاعـرـ الـفـطـيـنـ بـهـاـ  
أـبـابـ خـيرـ غـدتـ مـقـفلـةـ  
عـنـهـاـ عـسـىـ رـبـ الـفـتـحـ يـفـتـحـهاـ<sup>(٥٣)</sup>

وهذا شاعر آخر من شعراء النجف استوطن بغداد وجاور مقر الحكم فيها وهو السيد صالح الفزويني المتوفى سنة ١٢٠١ هـ ١٨٨٣ ان هذا الشاعر ثار على الترك لأنهم غدروا بزعيم خزانة ( مطلق بن كريدي ) وكان هذا قد ثار على الحكومة ثم سلم نفسه بعد أن أعطى الموانئ والمعهود

(٥١) غرائب الاغتراب . ص ٢ و ٤٤١ .

(٥٢) راجع ص ٦٦ .

(٥٣) الترياق الفاروقى ص ٢٨٨ - ٢٨٩ مطبعة طبعة المروف بمصر .

بألا يمس بسوء ولكن الحكومة سجنته في بغداد مع أصحابه ثم نفي إلى الخارج وقتل في منفاه وكان ذلك في أيام ولاية محمد نامق الثانية (١٢٨٤هـ ١٨٦٧م) وفي أثناء قيام شبل العريان الدروزى على إدارة لواء الحلة<sup>(٥٤)</sup> وقد أثارت هذه الحادثة بعدها وبطشها عاطفة السيد القزوينى فنظم فيها المقطوعة الآتية :

لأهل النهى والغدر من شيم الترك  
أرى الفلك الأعلى يسير في الفلك  
بحد المواضي نظمك الدر في السلك  
حدوا حذو هيدان يصغين في عك  
كما جنحوا للسلم خوفاً من الفلك  
بعهدك قدماً والموائق في الصك  
وكم مضحك قولًا ومن فعله مبكى  
بوجهك مثل الشمس لكن بلا ذلك  
بعون الله الناس منهم بلا شك  
بسجنك قد وافي على جرف الهمك<sup>(٥٥)</sup>  
وكم للملك الترك هتك حرمة  
وما خلت حتى سرت في الفلك أنتي  
ولما نظمت الملك بعد بداده  
سعوا سعي موتور بواتره وقد  
وانك لم تجنج إلى السلم خفية  
ووافتهم لما دعوك وما وفوا  
ولا عجب من غدرهم بعد أمنهم  
يلوح لعيني شمس سعد خزانة  
فلا تخش من سجن فانك مطلق  
وان العلا والمجد والحلم والندى  
ولكن السجين لم يطلق وإنما غدر به بعد تلك الموائق<sup>(٥٦)</sup>

ويسمعننا أحمد الشاوي المتوفي سنة ١٣١٩هـ صرحة تتبع من أعماق  
قلبه في حين أنه كان موظفاً في دواوين الدولة ولكن وظيفته هذه لم تحد  
من شعوره العربي وهو بهذا الشعور وبما يراه من الفعلم الذي اشتد في  
أواخر القرن التاسع عشر والعنجهية المتعصبة التي تحاول أن تجعل العرب  
تركاً قد اندفع إلى ما هو أشد وأعنف مما قاله الشاعر فقال :

ألا ليت شعري والأمانى ضللة

وعمر الفتى - إن عاش ما عاش - للهلك

(٥٤) راجع ( تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً ) ص ٤٩ و ٥٠ .

(٥٥) ديوان السيد صالح القزويني . الورقتان : ١١١ و ١١٢ من مخطوطات مكتبة الآثار - بغداد .

(٥٦) من المفارقات المضحكة أن السيد جعفر الخرسان استبشر بسجين مطلق . راجع ( شعراء الغرب ) ص ٢٠ ج ٢ .

أمحترمى ريب المنون ولم أكن  
لادرك للاسلام ثارا من الشرك

وأبرد من صهب العثاني غلى

(٥٧) واشفي واستشفى بسيفى من الترك

ان هذه الابيات الثلاثة تتطوى على رأى فيه عنف وشدة وهو اتهام  
الترك بالمرroc عن الاسلام ولعل هذا الشاعر قد قال هذه الابيات فى لحظة  
حادة أنسنه صلته بالدولة ومدحه بعض سلاطينها وولاتها (٥٨) وليس لهذه  
الشدة من تفسير سوى طموح الشاعر وكونه من أسرة عربية ذات نفوذ  
وزعامة فى بغداد التى هيمن عليها الترك وأذلوا أهلها أيماء اذلال .

وبلهجة أخف يندفع السيد راضى القزوينى الى ذم الترك فى (تبريز)  
ويؤثر النزعة العنصرية على النزعة الدينية وكان اذ ذاك عابر سبيل فيقول  
متشوقا الى وطنه :

أجتبا بزوراء العراق لقد طال النوى فتى التلاقى

\* \* \*

(٥٩) وما تبريز للقصباء مأوى وأين الترك من عرب العراق  
ويخسн السيد راضى القزوينى بين عبد الغنى الجميل قالهما فى  
ذم بغداد وفي وصف الذل الذى لحق الاحرار فيها فيقول :

أفى الزوراء ذو الهم العوالى ينال من العلا أقصى النزال  
فما متلكفا طلب المحال (دع الزوراء ان رمت المعالى  
وسر عنها تجد عنها بديلا )

وقد متبدلا رفما بخض بحکم المجد من ندب وفرض  
ولا (ترضى) بعض دون بعض (فإن الحر لا يرضي بأرض  
برى فيها مهانا أو ذليل ) (٦٠)

(٥٧) المدخل - محمد بهجة الاثرى ص ١٧٢ وورقة بخطه ارسلها

إلى .

(٥٨) سيأتي هذا في بحث الشعر الماء للدولة .

(٥٩) راجع . ديوان السيد صالح القزوينى . الورقة ١٧٩ .

(٦٠) المصدر السابق . الورقة ١٣٧ .

وفي أخرىيات القرن التاسع عشر قدر لشاعر عراقي أن يخرج من القفص الضيق وأن يزور مصر ثم يسافر إلى الاستانة ويطلع على بعض ما فيها من السياسة والاحوال العامة ثم يتنهى به المظاف إلى وثبة من وثبات النفس . أما الشاعر فهو جميل صدقى الزهاوى وقد كان سفره فى سنة ١٣١٢هـ ١٨٩٦م وفي ذلك الفرف قربه السلطان عبد الحميد وعنه واعظا للبيان فسافر ثم رجع بعد سنة وعندما نشب الحرب بين الدولة العثمانية واليونان سنة ١٨٩٧م نظم الزهاوى قصيدة يمدح بها السلطان ويؤيد الدولة فى حربها<sup>(٦١)</sup> هذه غير أنه تأثر بعض أدباء الآتراك فشعر بالفجوة البعيدة بين الحكم والصلاح فنظم قصيدة فى حدود سنة ١٨٩٨م وهو فى الاستانة<sup>(٦٢)</sup> وكانت أول قصيدة ثائرة تحمل عنوانا قبل أن يكون ذلك للشعر العراقي ، أما القصيدة فعنوانها : ( حاتم تغفل ) وفيها يقول :

ألا فاتبه للأمر حاتم تغفل      أما علمتك الحال ما كت تجهل  
أغث بلدا منها نشأت فقد غدت      عليها عواد للدمار تمجل

ومنها :

وكم وعدوا أن يصلحوا قبل هذه      لك الله كم ترجوا حياة لدولة  
ترى كل يوم أمرها يتعرقل      توالت عليها النائبات فكلما  
ترحل عنها مشكل حل مشكل

ويصف فيها الظلم الذى تعانىه الأقطار العربية آنذاك فيقول :

لهم أثر للجور فى كل بلدة	يمثل من أفعالهم ما يمثل
إذا نزلوا أرضا تفاصم خطبها	كأنهم فيها البلاء الموكل
فمدت إلى سوريا يد عسفهم	تحملها من ظلمهم ما تحمل
وبغداد دار العلم قد أصبحت بهم	يهددها داء من الجهل مضل

(٦١) سياتى ذلك فى مكانه الخاص .

(٦٢) عكدا يستنتاج من حياته التى كتبها بقلمه وأملأها على الصحف ومن ديوان ( الكلم المنظوم ) ص ٦ .

وصل عنهم القطر اليماني انه  
يت بما يجري عليه وينزل  
بلاد بها الاموال من يد أهلها  
تنزع غصبا والغوس تقتل  
ويقول عن السلطان عبدالحميد :

وذى سلطة لا يرتفى رأى ناصح  
اذا قال قولا فهو لا يتبدل  
أيأمر ظل الله في أرضه بما  
نهى الله عنه والرسول المجل  
فيفقر ذا مال وينفى بمرا  
ويسجن مظلوما وسيبي ويقتل  
ويهدده فيقول :

تمهل قليلا لا تغفل أمة اذا  
تحرك فيها الغيف لا تمهل  
وأيديك ان طالت فلا تفترر بها  
(٦٣)

هذه الصور والنماذج التي عرضناها في هذا الفصل تمثل التزعة  
الساخطة على الحكم وعلى الاوضاع السياسية وهي فيما صورته من أمور  
او اوضاع ليست على نسق واحد وفي اتجاه معين فقد كان بعضها شاكيا  
ساختا على الحياة ونكدتها وبعضها كان يمثل جانب الحماسة العربية او  
الروح العلوى الناقم وبعضها صريح جرى يدعو الى الثورة والانتقام  
وليس في تقسيم هذه الصور والنماذج الى الاقسام التي احتواها هذا  
الفصل تحديد قائم لاغراضها واتجاهاتها فقد يكون في هذا القسم ما يصلح  
للقسم الآخر بالنظر لتكرار المعانى وتشابه الصور غير أنى أردت بهذا  
ال التقسيم أن أحدد جهد الطاقة ما يمكن أن يصور اتجاهها أو يعبر عن غاية  
وهدف وإذا لم يكن هذا التقسيم تماما واضحا في كل هذه الصور والنماذج  
فانه في الكثير منها قد جاء سليما معبرا عن الاتجاه الذى سيق له والغاية التى  
ذكر من أجلها .

---

(٦٣) راجع ( الكلم المنظوم ) ص ٦ - ٩ .

## الفصل الثالث

# ثورة الشعر في ظل العقيدة

مر في بحث الحالة الاجتماعية توضيح للديانات والمذاهب التي تسيطر على سكان العراق وتقسمهم فيما بينها وأهم هذه الديانات الديانة الإسلامية فان أغلبية سكان العراق من أتباعها غير أن هؤلاء الاتباع قد انقسموا فيما بينهم الى سنة وشيعة وكان القصد من هذا الإيضاح - مضافاً إلى كونه جزءاً مما من وصف الحالة الاجتماعية - أن أقدم به دراسة لون من ألوان الشعر السياسي يتصل بالعقيدة ويستوحىها وهو خاص بشعراء الشيعة ، ومن الواضح أن شيعة العراق امامية اثنا عشرية امامهم الاول علي بن أبي طالب وأمامهم الثاني عشر محمد المهدي المنتظر وان اعتقادهم بالخلافة الإسلامية منذ البداية يختلف عن غيرهم فهم يرون أنها نص في الأئمة الاثني عشر وقد جر هذا الاعتقاد عليهم مصاعب جمة في مختلف العصور ومنها العصر العثماني فقد كانت الدولة العثمانية ترى في هذا الاعتقاد ما يسب لها المتابعة من عدم الخضوع للسلطان والولاة ولا سيما أن الشيعة لا يقرنون بالأمامية الحاضرة لغير المهدي الذي يتظرون به لينفذ الناس من هذه الحكومات المستبدة الفظالة فهو عندهم امام العصر وولي الامر وصاحب الزمان لذلك بقيت الدولة العثمانية نافرة من الشيعة وان كانوا معها في حروبها مع الدول

الاجنبية أو فيما يتصل بخدمة الامة الاسلامية ولكنها ميزة لهم عن غيرهم بكثير من المقاومة والمناولة<sup>(١)</sup> ودعت الى وقف دعاوتها ونفوذ رجال الدين منهم وتسرب عقائدهم في البوادي والارياف السنية<sup>(٢)</sup> ، وحث بعض رجال الدين ليكتبوا ويؤلفوا ضدتهم وكان بعض رجال الدين من الشيعة أيضا يقابلون هؤلاء بالمثل ولم يكن كل ذلك سوى أكواخ من الحطب تلقى في النار المتأججة<sup>(٣)</sup> ، وإذا كان احترام آل البيت وتقديسهم ليس من مميزات الشيعة وحدهم<sup>(٤)</sup> فإن الاعتقاد بالخلافة والامامة وما يترتب على هذا الاعتقاد هو السبب المباشر في جر المتابع على الشيعة من جانب الدولة العثمانية وإن كانوا شركاء في معظم هذه المتابع مع غيرهم من بقية السكان الذين لم يكونوا بأحسن حالا منهم إلا أن توجيه النقد والتجریح إلى عقائدهم كان أشد عليهم من تلك الحوادث الكثيرة التي وقعت في مواطنهم واستنزفت دماء كثيرة منهم ، وقد فصلت في بحث الحالة السياسية كثيرا من تلك الحوادث التي كانت تكرر دائما فثبت الرعب بين السكان وتتخض عن عدم الاستقرار والأمن ، إن هذه العوامل وغيرها وكون العصر عصر توسل وتضرع بالأولياء والصالحين كل ذلك قد ترك لنا شعرا يمثل جانبا من جوانب الثورة على القلم لعله أعنف الجواب وأفضلها آثارا للشعر السياسي المناوى للدولة ، وإذا كانت مراثي الامام الحسين في القرن التاسع عشر تحتوى على كثير من هذا الاتجاه السياسي فان صورا اخرى من شعر العقيدة كانت تشارك في رسم هذا الاتجاه وقد استوحى معظم هذه الصور عقيدة الشيعة بالامام المهدى فإنه في اعتقادهم قد غاب خوفا من العباسين واحتفى ليقى حيا يرزق حتى

(١) بلغ من مناولة الدولة العثمانية للشيعة أنها حالت بينهم وبين دخول المجلس النيابي الاول الذي افتتح في ١٩ مايس من سنة ١٨٧٧ م في حين أن اليهود - وهم أقلية - مثلهم نائب وهو ( مناحيم ) .

(٢) راجع ( الزوراء ) العدد ٥٥٦ من السنة السابعة ١٢٩٢ هـ .

(٣) لا يزال كثير من هذه الكتب مخطوطا في بغداد وغيرها .

(٤) في ديوان عبدالباقي العمري وغيره مدائح كثيرة لآل البيت .

يأذن الله له بالخروج<sup>(٥)</sup> فملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدها ملئت ظلماً وجوراً  
 لذلك كان شعراً الشيعة يتخذون من المهدى مثابة لهم كلما حزبت حازبة  
 أو وقعت حادثة أو اشتد ظلم فيزعون إليه ويتجهون إلى الله ليأذن له  
 بالظهور فينفذ الناس من الظلم ويعد الدين الإسلامي إلى مكانته الأولى من  
 القوة والعمل والتطبيق . إن هذا الاعتقاد قد ظهر أثره واضحاً في كثير من  
 القصائد التي مزجت بين الدين والسياسة وتتناولت الحوادث العامة والخاصة  
 وفي معظم هذه القصائد ما يمس الخلافة العثمانية التي وسمها الشعراً  
 - بطريق التلميح - بالمروق والربيع ، وما يمس السلطان الذي احتل مكان  
 غيره ، وكانت المناسبات التي تحفز الشعراء و تستثيرهم مناسبات مختلفة أهمها  
 مقتل الإمام الحسين فيقدمون الكثير من قصائد الرثاء بمثل هذه الاتجاهات  
 التي تستوحى العقيدة و تستنهض الإمام المهدى ، وقد تكون المناسبة احتفالاً  
 بمواليد المهدى نفسه ، أو استجابة للحوادث والثورات التي كانت تحدث  
 بين حين وآخر فيستعمل فيها السلاح من جانب الدولة إلى غير ذلك من  
 المناسبات الكثيرة التي شغلت العراق في القرن التاسع عشر .

وأخلية الشعراء وانفعالاتهم في هذا المجال تختلف قوة وضعفاً تبعاً  
 للاستعداد الذهني والفنى وتبناً لطاقة الشاعر وقدرته ولكنهم لا يختلفون في  
 انتصار المهدى وقيام دولته وعودة الحكم إلى آل البيت وهم لا يختلفون أيضاً  
 في الاحساس بالظلم الذي عم العراق والفساد الذي شاع وانتشر في كل  
 مكان من الدنيا وكل هذا لا ينتهي ولا يقضى عليه إلا بظهور المهدى  
 وقيام دولته .

وقد شاع هذا اللون من الشعر في القرن التاسع عشر مع ما شاع من

(٥) قال أبو الثناء الآلوسي في (غرائب الاغتراب) ص ١١٣ :  
 « وانكار مجحٍ المهدى أشبه شيء بانكار المواتير نعم لا يأس بانكار ظهوره  
 على الوجه الذي يزعمه الشيعة ... » وقال في (نشوة المدام) ص ٧٨ :  
 « ولا خفاء في ظهوره بعد حين عندي ... وقد ذهب بعض علماء الشافعية  
 إلى كفر من انكر ظهور الإمام المنتظر ... »

مدائح آل البيت ومراتبهم<sup>(٦)</sup> وتناوله معظم شعراء الشيعة واذا كان من عوامل انتشاره التأثر بمساورة الامام الحسين فانه لا يعد عاما آخر وهو اشتداد القسوة والظلم والفرق البارز بين سلوك الحاكم وطبيعة المحكوم الى جانب الاعمال التي يلاحظ فيها مناؤة الشيعة ومصايبهم في عيشهم وعقائدهم .

ولما كان هذا اللون من الشعر مشابها في الهدف وال فكرة فان الاجتزاء بعضه كفيل بتوضيح الدراسة ، والكشف عن الجانب السياسي المهم فيه .

قال الحاج هاشم الكعبي<sup>(٧)</sup> في مقدمة قصيدة يرثى بها الامام الحسين ويستهض المهدى لاخذ بناء الحسين ، والقضاء على الفلم :

فيما آخذ الثأر المرجي لأجله  
على فترة أفادك من آخذ ثارا

أمنتلرى طال انتفارى لطلعه  
ملأت لها عينى قدى والشأن  
أما آن للسيف الذى أنت ربى  
بييد رقابا فاجرات وفجارات؟

فقم - سيدى - فالسيل قد بلغ الزبى  
وقد عمت البلوى سهولا وأوعارا

(٦) ان مدح آل البيت ورثائهم كثير في الشعر القديم وفي شعر الفترة المظلمة ولم يقتصر هذا على العراق وحده أما التبشير بالإمام المهدى فقد ورد أيضا في شعر القدماء ومنهم الشريف الرضى فإنه ذكر الآئمة الاثنى عشر ياسمانهم في قصيدة طويلة ( ص ٣٥ ) من ديوانه - طبعة بيروت .

وقبله دعبد العزاعي فقد قال :  
فلولا الذى أرجوه فى اليوم أو غد  
قطع قلبى اثراهم حسرات  
خروج امام لا محالة خارج  
يقوم على اسم الله والبركات

رابع ( روضات الجنات ) ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .

(٧) راجع فصل ( الشعر والمواثد الوهابية ) في أول قصيدة منه .

علاناً - عداك - العار والثار سيدى  
خذ الثار يا ابن المصطفى واكتشف العار<sup>(٨)</sup>

امام متضرر ، وشاعر يتضرر بعين قذية وقلب ملتهب نارا ، وبلوى قد  
عمت جوانب الارض ، وعار وثار ، !! انها كلمات شديدة توحى بأن حشدتها  
في هذا المقطع دليل النعمة من جانب ، واستهدا الفلم من جانب آخر .  
وتؤثر حادثة كربلاء ايام الوالى محمد نجيب بالشاعر الشيخ صالح  
الكواز<sup>(٩)</sup> ، تأثيراً شديداً ، ويستاء لها استياء مرا لانها كانت في مدينة مقدسة  
تضم أجداد الشهداء من الحسين وأنصاره ، ولأنها وقعت في عيد الأضحى ،  
ووجهت فيها المدافع إلى السكان<sup>(١٠)</sup> ، فوصفها الكواز وصفاً مؤثراً وندد  
بالياسة التركية وبالعمل الذى قام به الوالى من غير رحمة ولا شفقة . وقد  
صبع الشاعر هذه الصورة الحزنية بصيغة العقيدة فوجه خطابه إلى الامام  
المهدى طالباً منه التهوض لتدارك الدين الذى أوشك أن يتلف ، ودفع  
الفلم الذى حاق بالناس ، واستهدا الخلافة المغصوبة . فقال :

وشعواء فيها الدهر يرعد خيفة  
وينسد منها الافق ، والارض ترجمف  
تراحم برج (الحوت) حتى يعومها  
وتتدنو من (الكف الخضيب) فتغرف<sup>(١١)</sup>

ثم يخاطب المهدى :

أبا القاسم المهدى لا عز أو ترى  
لك الكتب تللى والكتائب تزحف<sup>(١٢)</sup>

(٨) ديوان الكعبى ص ٧٣ .

(٩) ولد سنة ١٢٣٣هـ وتوفي سنة ١٢٩٠هـ وكان يتعاطى بيع  
الكيران والجرار لذلك لقب بالكواز . راجع (البابليات) للشيخ محمد على  
اليعقوبى ص ٨٧ - ٨٩ من الجزء الثانى .

(١٠) وقعت هذه الحادثة سنة ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م وقد مر تفصيلها في  
القسم الثانى من الفصل السياسى .

(١١) الموت . والكف الخضيب نجمان معروفة ، وفي البيت  
تورية .

(١٢) أبو القاسم كنية النبي ص ثم اطلقت على كل من اسمه محمد .

فها هي في أيدي العدى تتلقف  
محلاة ، والقوم منها تنزف ؟  
وتتزو عليهم القرود وتشرف ؟  
وهذا لواء المسلمين بزعمهم  
على رأس أشقي العالمين يرفرف

من الواضح في هذه الآيات أن السلطان العثماني أشقي الناس في  
نظر الشاعر وأنه يتقمص وظيفة ليست له ، ويرقى منبرا لم يكن لامثاله .  
ويستمر الشاعر قائلا :

دعوتك للتوحيد قد غال أهله  
دعوتك للقرآن راح مثلا  
دعوتك للمظلوم ضاعت حقوقه  
أترضى - وأنت المستجبار - بأننا  
أناس على الاوئنان تخنو وتعكت  
بأيدي أناس غيروه وحرفوا<sup>(١٣)</sup>  
وليس له من عصبة الجور منصف  
بأيدي العدى من أرضنا تختطف ؟

ثم يصور هروب السكان من كربلاء، موجها خطابه إلى المهدى :  
وأيسل ما يشجيك أن مجاوري  
ضرير أبيك السبط من أرضه نفوا  
بعيدون قيد الرمح عنه مسافة  
فكيف بهم والبعد وعر وتفتف  
فكيف بحمل الرؤسات يكلف ؟

\* \* \*

فآه لارض الطف في كل برها  
وان نساء المسلمين ذواعر  
يلاحظها رجس ويقذف عرضها  
لئن ضرب الامثال في فقد يوسف  
فها نحن في جيل به كل والد  
نم يلمس الشاعر الناحية القومية فيتالم للعرب أشد التالم لأن الذى  
يملك زمام أمرهم لم يكن منهم ، فلا بد لهم من حر يغار عليهم :  
أيملك أمر العرب من لا أبا له ولم ينمء منهم نزار وخدف ؟

(١٣) يقصد بالتغيير والتحريف : عدم تطبيق نصوص القرآن كما يحب .

لهم فما للصفح عند اقتداره  
 أحب الورى من ليس يحنو عليهم  
 وما لبني الاحرار الا ابن حرة  
 ولكن الشاعر لم يكن يائسا بل كان لديه شيء من الامل وان ضاق  
 به الرحب :

أقول لنفسي - عندما ضاق رحبتها  
 وكادت على سبل الممالك تشرف :-  
 رويدا كأنني بالأمانى صدقتنى  
 باتجاز وعد للهدى ليس يخلف<sup>(١٤)</sup>

ويعد السيد صالح القزويني البغدادى الى نظم ديوان خاص بالـ  
 البيت ويسميه ( الدرر الغروية في العترة المصطفوية )<sup>(١٥)</sup> ، ولا تكاد  
 قصيدة من قصائد هذا الديوان تخلو من استهانة للامام المهدى ، وتصویر  
 للظلم والجور ، وعدم وجود حكم عادل تطبق فيه الشريعة الاسلامية كما  
 يجب أن تطبق ، وكان الشاعر صريحا في آرائه ، وهذه احدى قصائده  
 التي يمدح المهدى وينتظره ويعاتبه فيقول :

ملك برغم الملوك وتقدا د أعزاؤها لـه اذلا  
 أصيـد من بنـي النـبـى تـرى فـى وجـهـه نـور جـدـه يـتـلاـ  
 عـاقـدا رـاـيـة الـهـدـى نـاـشـرا لـلـأـمـن وـالـيـمـن فـى الـورـى سـرـبـالـاـ

\* \* \*  
 وينادى جبريل في الافق بشرا كم فقد أظهر الجليل ثمالا  
 أقبلت دولـة الرـشـاد وـعـنـکـم أـذـنـت دـولـة الفـسـاد زـوـالـاـ<sup>(١٦)</sup>

وصراحة الشاعر واضحة في وصف الدولة العثمانية بأنها دولة

(١٤) أرسل الى هذه القصيدة الشيخ محمد علـى اليـعقوـبـي مـعـتمـدـ جـمـعـيـةـ الـرابـطـةـ الـادـيـبـيـةـ فـىـ التـنـجـفـ ، نقـلاـ عنـ دـيـوـانـ الشـيـخـ صـالـحـ الـكـواـزـ المـخـطـوـطـ ، فـىـ مـكـتبـةـ اليـعقوـبـيـ نـفـسـهـ .

(١٥) هذا الـديـوـانـ مـخـطـوـطـ فـىـ مـكـتبـةـ الآـثارـ بـيـغـدـادـ بـرـقـمـ ٢٠٩٨ـ وـهـوـ غـيرـ دـيـوـادـهـ الـكـبـيرـ مـخـطـوـطـ أـيـضاـ .

(١٦) منـ الطـرـيـفـ انـ الطـحـاوـيـ أـلـفـ رسـالـةـ فـىـ بـقـاءـ دـولـةـ آلـ عـثـمـانـ بـعـدـ انـقـراـضـ دـولـةـ صـاحـبـ الزـمانـ . رـاجـعـ ( نـشـوةـ المـدـامـ ) صـ ٧٨ـ .

فساد ، ثم يخاطبه قائلا :

يا امام المهدى أطلت المدى فاظهر وفك القيود والاغلالا  
ما ترانا اليك فى كل يوم شتكي منهم الأذى والنكايا  
من أعاديك لا تطاق احتمالا<sup>(١٧)</sup> كم على بعديك احتملنا رزایا  
ويقول في قصيدة أخرى :

يا ابن الهدأة متى تجرد للهدى  
ومتى نرى أنوار جدك أحمد  
والعدل يزهو مورقا والدين يز  
سيفا تغل به الفسال وتقمع ؟  
وأيمك حيدر من جينك تسقطع ؟  
هر مشرقا والدهر غض ممزع<sup>(١٨)</sup>  
ويقول في قصيدة أخرى وهو يستقبل الحوادث قبل أن تقع :

ملوك يطبق أقطار البلاد له  
مؤيد بجنود ما لهم قبل  
نعم دعوه الدين مطبقة  
يشفى به الله من أكبادنا فرحا  
عدل يسم به شاء وسرحاننا  
بها له نزلت متى ووحدانا  
جميع أقطارها سهلا وأحزانا<sup>(١٩)</sup>  
وتتطقى حرق فرحن أجفانا  
ويستفهم بالهفة :

منى ينادي المنادى في السماء ألا  
قد أظهر الله سلطانا لعزته  
نعم يخاطبه ويشكو اليه الجور والظلم :  
بشرامكم ظهر المهدى اعلانا  
تعنو السلاطين ارغاما واذاعانا

يا غالبا لم تنب عن رعايته ولا يزال بعين اللطف يرعانا  
ألا ترانا وأعدانا تعاهدنا  
اليك نشكو ويشكو الدين جورهم  
بالظلم مصبحنا فيه ومسانا ؟  
فاسمع لنا يا امام العصر شكونا<sup>(٢٠)</sup>  
ويخاطب المهدى في قصيدة أخرى فيقول :

متى تطلق الأسرى وتستأسر العدا  
ويترقب لظى البلوى بفيض المراحم ؟  
ويرقد من أشياعكم كل ساهر  
ويشهد من أعدائكم كل نائم ؟

(١٧) الدرر الغروية - الورقة ١٥ .

(١٨) الدرر الغروية - الورقتان : ٢٤ و ٢٥ .

(١٩) الاشهر جمع (حزن) على حزون .

(٢٠) الدرر الغروية - الورقة : ٥١ - ٥٣ .

أنقضى جفونا عن مواليك والعدا تسومهم جرما بغیر جرائم<sup>(٢١)</sup>

ويشتد في قصيدة أخرى فيصف الولاة وأتباعهم بأنهم وحوش

مفترسة ، وإن الشدائيد تقع كل يوم فتشعل القلوب نارا :

فقد طمست أعلامه والمدارس امام الهدى أدرك بطلعتك الهدى

نساءً ولم يشهد لك الطرف مشهدا ميسراً الى أن تحطينا المرامس !

قد افترسونا فالعمارس منهم ضوار غواش والضوارى عمارس

umaras نمارس منهم كل يوم شدائدا لها بين أحناه الضلوع مقاييس<sup>(٢٢)</sup>

وبمثل هذه الصرخة يخاطبه أيضاً فيقول :

ما آن أن تقضى له الموعودا ؟ طال انتظار الوعد منك لآمل

أدرك عباد الله منك بطلعنة تبرى السقيم وتنعش المجهودا

وتلاف شمل العدل والتوحيد من قوم أبادوا العدل والتوحيدا

تقضى وتتذرر فيكم متقدماً وعيديكم للملحدين عيذا<sup>(٢٣)</sup>؟

وأظن ان هذا الشاعر لم يظل في استهان المهدى ويستصرخه ،

ويصف الحكم بأسوأ ما يوصف به لو لم يشعر بالجو الذى كان يختنقه بظلمه

وطفيانه ، وإذا عرفنا أن الشاعر قد عمر فأدرك معظم القرن التاسع عشر أدركنا

مبلغ تأثيره بالحوادث وشعوره بفداحة الغللم ، بل أدركنا بوضوح مقدار ما

وصل اليه الغللم في القرن التاسع عشر \*

أما الشيخ حسن ققطان المتوفى سنة ١٢٧٩هـ فإنه يستفهم عن اليوم

الذى يرى نفسه فيه متباهياً بدولة الامام المهدى الذى تعود الدنيا به شابة

بعدما شاخت ، فيقول :

متى امتطى نهد الجزاره فارها بدولة سلطان الورى مدرك الثار ؟

تعود به الدنيا شباباً نعيمها لها زهو أزهار ويانع أنمار

(٢١) المصدر السابق - الورقة ٦٥ .

(٢٢) المصدر نفسه - الورقة ٦٩ .

(٢٣) المصدر السابق . الورقة ٧٧ .

ويملؤها بالعدل من بعد جورها  
وتختصب أقطار البلاد بنائل  
وبعد هذا التخلل والتصور المبني على الروايات والكتب يخاطبه قائلاً :  
أمولاى يا ابن العسكري الى متى  
على الدين من أعداك اسماء أطماع ؟  
أذلاء فيهم ، تلك قسمة اجراء !!  
عليهم سمات الذل رقا لأحرار !  
وأيماننا غرني الى جزر جزار  
من العدل فجر مستبد باسفار (٢٤)  
أرقاء وأحرار وليل لا فجر له !! ، ذلك ما يقوله الشاعر عن الحاكمين  
والمحكومين وعن العصر الذي شاهده وعاش فيه ، ولا شك أنه لم يقل هذا  
عننا وجزافاً لو لم يكن يشعر بهذا كله ، ولو لم يكن يحس بالذل والخضوع  
لدولة جائرة ظالمة لا ترعى حقوق الناس ، ولا تقيم للدين وزنا فيما تجري  
من الاحكام والنظم .

وكان أقدر الشعراء تعبيراً وأشدتهم عاطفة السيد حيدر الحلبي فان  
انعكاس الحياة في نفسه انعكساً داكناً قاتماً وجهه توجيهها حزيناً ظهر أثره  
في مراتبه للامام الحسين ، وكان نسبه الى الامام الحسين من عوامل هذا  
التوجيه أيضاً ، غير أن ثورته على الحياة لا تخلو من شعوره القوى بالظلم  
الذى كان يراه في الحياة وغير الحياة من مدن الفرات ، وما كان يسمع به  
من ذلك في جهات العراق عامة ، وقد دعا كل ذلك الى التقاط صور غير  
يسيرة من صور الحكم الهزيل في عرف الدول ، والقاسي الشديد القسوة  
في نظر الشاعر ، وفي ظل العقيدة هذه كان السيد حيدر يوجه عدسته  
لللتقط والتصوير ، فيصف الفلم في قصائد كثيرة ويوجه خطابه الى  
المهدى في مقدمات بعض القصائد التي روى بها الامام الحسين وقد يقصر  
الموضوع على الامام المهدى وحده . ومن الاول قوله في قصيدة يرني  
بها الحسين :

(٢٤) شعراء الغرب - ص ١٧ - ١٩ ج

الله يا حامى الشريعة أتقر وهى كذا مروعه  
بك تستغىث وقلبي ملك عن جوى يشكو صدوعه  
ويقول فيها :

مات التصبر بانتظارك أيها المحبى الشريعه  
فانهض فما أبقى التحمل غير أحساء جزوعه

\* \* \*

كم ذا القعود ودينكم هدمت قواعده الرفيعه<sup>٤</sup>  
فيه تحكم من اباح اليوم حرمتـه المنعـه<sup>(٢٥)</sup>  
ويستهضـه في قصيدة اخرى فيقول<sup>(٢٦)</sup> :

من حامل لوى الله مـأـلـكة تطوى على نـفـاثـاتـ كلـها ضـرـمـ  
يا ابنـالـأـلـى يـقـدـدـونـ الموـتـ انـ نـهـضـتـ  
بـهـمـ لـدـىـ الـرـوـعـ فـيـ وـجـهـ الضـبـيـ الـهـمـ  
الـخـيلـ عـنـدـكـ مـلـتـهـ مـرـابـطـهـ  
وـالـيـضـ مـنـهـ عـرـاـ اـغـمـادـهـ السـآـمـ  
ماـ لـمـ يـسـلـ فـوـقـهـ سـيـلـ الدـمـ العـرـمـ  
لاـ ظـهـرـ الـأـرـضـ مـنـ رـجـسـ العـدـاـ أـبـداـ

\* \* \*

جرائم آذـتـكـ انـ تـعـاجـلـهـمـ بالـأـنـقـامـ فـهـلـاـ أـنـ مـنـقـمـ<sup>(٢٧)</sup> ؟  
وبـيـمـلـ هـذـهـ العـاطـفـةـ يـخـاطـبـ المـهـدـىـ فـيـ قـصـيـدـةـ اـخـرىـ فيـقـولـ :

انـ ضـاعـ وـتـرـكـ ياـ ابنـ حـامـىـ الدـينـ لاـ قـالـ سـيـفـكـ :ـ للـمـنـاـيـاـ كـوـنـىـ  
عـجـباـ لـسـيـفـكـ كـيـفـ يـأـلـفـ غـمـدـهـ  
وـشـبـاهـ كـافـلـ وـتـرـهـ المـضـمـونـ ؟ـ  
لـهـ قـلـبـ وـهـوـ أـغـضـبـ لـلـهـدـىـ  
مـاـ كـانـ أـصـبـرـ لـهـنـكـ الدـينـ !ـ  
فـمـتـىـ أـرـاكـ وـأـنـتـ فـيـ أـعـقـابـهـاـ  
بـالـرـمـحـ تـلـعـنـ صـلـبـ كـلـ رـكـنـ<sup>(٢٨)</sup> ؟ـ  
فـتـمـهـدـ الـدـيـنـاـ باـمـرـةـ عـادـلـ

ولاـ شـكـ انـ الـحـلـىـ حـيـنـ يـسـتـهـضـ المـهـدـىـ لـلـاخـذـ بـثـارـ الحـسـينـ يـعـرـفـ  
أـنـ قـاتـلـيـهـ قـدـ اـسـتـحـالـواـ تـرـابـاـ ،ـ وـلـكـهـ يـعـتـقـدـ بـأـنـ الـحـكـمـ مـتـشـابـهـ وـأـنـ الـدـوـلـةـ

(٢٥) راجع ( الدر اليتيم ) ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٢٦) من هذه القصيدة مقطع في الفصل الثاني .

(٢٧) الدر اليتيم - ص ٣٦٦ .

(٢٨) الدر اليتيم - ص ٣٩٤ .

القائمة آنذاك لا تخرج عن كونها غاصبة لحكم ليس لها . وبمثل هذا التعليل والتوجيه يمكن أن يقال عن كل ما نظم في زفاف الإمام الحسين مصدرًا باستهانة المهدى \*

غير أن السيد حيدرا لا يكتفى بذلك بل يستوحى الحوادث التي عاصرها وشهادتها وينطلق معها في ثورة نفسية تتخذ من العقيدة مجالاً للانتقاد فتصرخ ويختدم ويشتد غضبه ويحيل الدنيا كلها إلى غضب ونورة ، ولكنه لا يعدو الواقع فيما يصور من الظلم والعنف اللذين اشتدا مع السكان ، حتى صاروا كأنهم الانعام بأيدي الجزائريين .  
وهذه إحدى قصائده وقد قصرها على استهانة الإمام المهدى وصور

فيها الظلم الذي كان يلاقيه السكان فقال :

أقام بيت المهدى الطاهر  
كم الصبر ؟ فت حشا الصابر  
يمد يداً تشتكى ضعفها  
يرى منك ناصره غائباً  
نهزك لا مؤنراً للعمود  
ونوقف عزتك لا بائساً  
ونعلم أنك عمماً تروم  
ولم تخشن من قاهر حيئاً  
ولابد من أن نرى الفطالين  
بيوم به ليس تبقى ظلاك  
 ولو كنت تملك أمر النهوض

وهذا البيت الأخير انعكاس للعقيدة التي تنص على أن المهدى لا يخرج حتى يأذن الله له لذلك يعذر الشاعر اذا تأخر ولكنه يرجوه أن يسأل

الله تعجيل الظهور لينقذ الناس :

لتعطيك جهود رضا العاذر  
وانا - وان اضرستنا الخطوب -  
ولكن نرى ليس عند الآله  
فلو تسأل الله تعجيله

لواقف دعوته في النهوض بأسرع من لحمة الناظر  
فتف عدلك من دينها فـا أعمتها يـد الأطر  
وسكن أمنك منا حـثـا غدت بين خافقـتـي طـاثـر  
ولكن الشاعر لم يكتـفـ بالتوسل وحـدهـ بل يـشـتدـ ويـسـتـهـضـ لـقـيـامـ نـورـةـ  
يتـزـعـمـهاـ المـهـدىـ ويـسـتـظـلـ بـرـايـتهاـ بـنـوـ هـاشـمـ ،ـ فيـقـولـ :

أـمـاـ لـقـعـودـكـ مـنـ آـخـرـ أـثـرـهاـ فـدـيـكـ مـنـ ثـاثـرـ  
وـقـدـهـاـ تـمـيـتـ ضـحـىـ الـشـرـقـينـ بـظـلـمـةـ قـسـطـلـهـاـ الـمـاـئـرـ  
بـرـدـنـ بـمـنـ لـاـ بـغـيرـ الـحـمـامـ أـوـ درـكـ الـوـتـرـ بـالـصـادـرـ

\* \* \*

أـوـلـاـكـ آـلـ الـوـغـىـ الـلـبـسـونـ عـدـوـهـمـ ذـلـةـ الصـاغـرـ  
هـمـ صـفـوـةـ الـمـجـدـ مـنـ هـاشـمـ وـخـالـصـةـ الـحـسـبـ الـفـاخـرـ

وـأـحـبـ أـنـ أـسـيـرـ مـعـ الشـاعـرـ فـيـ هـذـهـ الـفـصـيـدـةـ فـانـ فـيـ كـلـ بـيـتـ مـنـهـاـ  
صـورـةـ مـنـ صـورـ الـأـمـلـ الـذـىـ يـتـخيـلـهـ الشـاعـرـ ،ـ وـفـيـ كـلـ بـيـتـ مـنـهـاـ حـرـكـةـ  
تـعـبـيرـيـةـ صـادـقـةـ تـجـسـدـ مـاـ كـانـ يـحـسـ بـهـ الشـاعـرـ مـنـ ظـلـمـ وـجـورـ :

وـبـاـ إـبـنـ الـأـلـىـ وـرـنـواـ كـابـراـ حـمـيدـ الـمـائـرـ عنـ كـاـبـرـ  
تـدـارـكـ بـسـيفـكـ وـتـرـ الـمـهـدىـ فـقـدـ أـمـكـنـكـ طـلاـ الـوـاتـرـ  
كـفـىـ أـسـفـاـ أـنـ يـمـرـ الزـمـانـ وـلـسـتـ بـنـاهـ وـلـاـ آـمـرـ  
نـمـ يـسـرعـ النـبـضـ عـنـ الشـاعـرـ وـتـمـوجـ الصـورـةـ بـالـحـرـكـةـ الـقـوـيـةـ ،ـ  
وـتـطـغـيـ الـثـورـةـ :

عـلـيـكـ اـمـامـ الـمـهـدىـ عـزـ ماـ  
لـكـ اللهـ حـلـمـكـ غـرـ الـفـغـةـ  
وـطـولـ اـنـتـظـارـكـ فـتـ القـلـوبـ  
فـكـمـ يـنـحـتـ الـهـمـ أـحـسـانـاـ  
وـكـمـ نـحـنـ فـيـ لـهـوـاتـ الـخـطـوبـ  
أـصـبـرـاـ عـلـىـ مـثـلـ حـزـ المـدىـ  
غـداـ الـبـرـ يـلـقـىـ مـنـ الـفـاجـرـ  
فـأـسـاـهـمـ بـطـشـةـ الـفـادـرـ  
وـأـغـضـيـ الـجـفـونـ عـلـىـ عـائـرـ  
وـكـمـ تـسـتـطـيلـ يـدـ الـجـائـرـ  
تـنـادـيـكـ مـنـ فـهـاـ الـفـاغـرـ  
وـلـفـحةـ جـمـرـ الـفـضـاـ السـاعـرـ ؟

أصبرا وهذى تيوس الفلال قد أمنت شفرة الجازر  
أصبرا وسرب العدى راتع يروح ويندو بلا ذاير ؟  
ويعتقد الشاعر أن ظلم العثمانيين متسلل من الفعلم القديم وأن  
السيف الذى حارب الشيعة فى العصور السالفة هو السيف نفسه الذى  
يحمله الاتراك :

نرى سيف أو لهم متضى على هاما بد الآخر  
به تعرق اللحم منا وفيه تشفل العظام بد الكاسر  
و فيه يسموننا خطة بها ليس يرضى سوى الكافر  
فنشكوا اليهم ولا يعطفون كشکوى العقيرة للعافر  
وحين التقت حلقات البطان ولم نرى للبغى من زاجر  
عجبنا اليك من الظالمين عجيج الجمال من الناجر  
وبتنا نود الردى كلنا لنقل عنهم الى قابر<sup>(٢٩)</sup> !!

صيحة مدوية ، وصرخة هادرة وتساقو بين الاسلوب والعاطفة ، وفتحة حارة مضطربة ، وخاتمة فيها يأس يود الشاعر معه الموت !! ولم هذا كله وال العراق قد تساوى سكانه في كل ما يعمله الاتراك ؟ لا شك ان الحل كأن في أدق ساعات الانفعال ، وان هذه القصيدة لابد أن تكون في حادثة قاسية من الحوادث الكثيرة التي تقع بين حين وآخر وقد رأها الشاعر بعينه فهزته هزا عنيفا والتتجأ الى العقيدة يستوحيها ، والى الملاذ يستنهضه ٠

وهذه قصيدة اخرى تمثل ثورة السيد حيدر في حادثة من الحوادث الهامة التي وقعت على الفرات سنة ١٨٥٧ هـ ١٢٧٤ م ، وعلى أثر عمل استفز أهل العراق وأزعجهم فثاروا وتمردوا وحاربوا وحوربوا وأوذوا ايذاء شديدا ، وقد كانت هذه الحادثة أيام الوالي (عمر) حين أُعلن عزمه على تطبيق نظام التجنيد الالزامي ففعل ذلك بكل عنف وشدة<sup>(٣٠)</sup> وبطريقة مليئة بالرعب والارهاب زيادة على كره العراقيين للجنديه ، ونفورهم منها لاسباب

(٢٩) راجع هذه القصيدة في ( الدر اليتيم ) ص ١٨٣ - ١٨٦ .  
(٣٠) من تفصيل هذه الحادثة في القسم الثاني من الفصل السياسي .

واضحة<sup>(٣١)</sup> . وقد أثارت هذه الحادثة شاعرية السيد حيدر الحلبي وكان عمره إذ ذاك تمانية وعشرين عاماً فاعلن ثورته وسخطه ، ولكنه لم يكن صريحاً في مواجهة الحكم ولم يشر إلى تلك الحادثة وإنما تناول الصورة في مظاهرها العام ورسمها لتطبق على كل حادثة مماثلة لا يعرف تاريخها ولا مسيبها ، وقد لاذ بالعقيدة ليستمد منها الشعور ، وبالغ في الوصف مبالغة شديدة فاعتقد أن الدين تغير وأن الضلال قد ملأ الأرض ، وأن هذه الشدة لا تضاهيها أية شدة في العظم والعنف ، ثم استصرخ المهدى ليحمل سيفه لأن الشيعة قد أخذوا ، والهوى قد مات !! إلى أمثال ذلك في صور التهويل والبالغات ، قال :

يا غمرة من لنا بمعبرها  
موارد الموت دون مصدرها  
يُطْفَح موج البلا الخظير بها  
فيفرق العقل في تصورها  
وشدة عندها انتهت عظماً  
شدائِد الدهر مع تكرّها  
ضاقت ولم يأنها مفرجاً لها  
فجاشت النفس في تحرّها  
الآن رجس الضلال استغرق الأرض فضجت إلى مطهّرها  
وملة الله غرت ففدت تصرخ لله من مغيّرها

ما زادى لسان مخبرها ؟  
من مخبرى ، والنفوس عاتبة  
أغنى فغضت بجور أكفرها ؟  
لم صاح الأمر عن رعيته  
شيعته وهو بين أظهرها ؟  
ما عذرها نصب عينه أخذت

---

(٣١) كان من كره العراقيين للجنديّة أن بعض الاسر العربيّة في النجف وغيرها أثر الالتحاق بالدولة الإيرانية وسجل تابعيته لها وكانت الدولة لا تقبل هذا الادعاء في كثير من قضايا الجنديّة لأنها على علم بأن هذا العمل إنما هو هروب من الجنديّة . وللشيخ حسين الدجيلي المتوفى سنة ١٢٥٠هـ قصيدة تشير إلى هذه الناحية وقد نظمها في مناسبة دعوة شاب للجنديّة ومنها :

فقيل من أنت فارتاعت فرائصه وقد كسا الخد ثوب الحمرة الخجل  
فقال للفرس أنتي فامتوا غضباً فقال أشهد من شتم فما قبلوا  
رائع هذه القصيدة في ( شعراء الغرب ) ص ٢٠٩ - ٢١١ ج ٣

والبيت الاخير يوضح جزءا هاما من العقيدة وهو الایمان بكون المهدى  
يرى هذه الاعمال بعينه ويظف بين ظهرانى شيعته . ولكن لم يهوى  
الشاعر ؟ ولم يعتقد أن الشيعة قد أخذوا لأن الوالى جند بعض شبانهم ؟  
الجواب يمكن في الرعب الذى به الوالى وفي الارهاب الذى أشاع بين  
السكان ، وفي نظرية الشاعر الخاصة وهى أن كل عمل مثير يوجه الى مناطق  
الشيعة لم يكن الا عملا عدائيا مذهبيا !!

ويستمر الشاعر في مثل هذه الصرخة :

يا غيرة الله لا قرار على ركوب فحشتها ونكرها  
قد بلغ السيف حز منحرها سيفك والضرب ان شيعتك  
مات المهدى سيدى فقم وأنت  
واترك منايا العدا بأنفسهم لم يشف من هذه الصدور سوى  
وهذه الصحف محو سيفك للأ  
فالله يا ابن النبي في فحة  
ماذا لاعدتها تقول اذا  
أشقة بعد دونك اعترضت  
فهاك قلب قلوبنا ترهما  
كم سهرت أعين وليس سوى انتظارها غونكم بمسيرها  
ما هكذا الفتن يا ابن أطهرها !!  
فارحمن لها ضعف جرم أصغرها<sup>(٣٢)</sup>  
كيف رقاب من الجحيم بكم  
حررها الله في تصرها  
ترضى بأن تسترقها عصب  
لم تله عن نايها ومن هرها  
وبعد أن يستذكر الشاعر هذا الاسترقاق والخضوع لاقوام مشغولين  
بالمهو يتمنى الموت لأنه أفضل من الحياة :

(٣٢) في البيت جناس بين ( جرم ) بمعنى الذنب . وبين ( جرم )  
بالكسر بمعنى الجسم .

أبعد بها خطة تراد بها لأقرب الله دار مؤثرها  
 الموت خير من الحياة بها لو تملك النفس من تخيرها  
 تم يهدد أعداءه بغضب الله ، وان هذا الغضب اذا لم ينزل لان دعوة  
 الناس قد حجبت لسوء أفعالهم فان دعوة الامهات اللاطئيأخذ أولادهن منه  
 ستكون السبب في غضب الله :

ما غرَّ أعداءنا بربهم  
 مهلا فلله في بريته  
 فدعوه الناس ان تكون حجبت  
 فرب حرئي حشا لواحدها  
 توشك أنفاسها وقد صعدت  
 وهو مليء بقسم أظهرها  
 عوائد جل قدر أيسرها  
 لأنها ساء فعل أكثرها  
 شكت الى الله في تصورها  
 أن تحرق القوم في تسرعها<sup>(٣٢)</sup> .

واذ ترك هذا الشاعر أود أن أشير الى أن قصائده هذه لا تمثل الا  
 اهتزاز النفس واختصار الاعصاب وعدم الوقف امام الحوادث بثبات وقوه ،  
 وان كانت هذه الحوادث في حد ذاتها مثيرة مزعجة ، ولكن الانكال على  
 العقيدة وانتظار الفرج دون عمل وتنظيم كل ذلك جعل السكان عرضة  
 للاذلال والاستهتار بحقوقهم ، ولو كان ثمة وعي منظم لوجه السكان توجيهها  
 موحدا ول كانت قوة القبائل الموزعة بين التورات الارتجالية قوة واحدة لا  
 يستطيع اي وال أن ينال منها أو يزعزعها .

ويستفهم السيد ابراهيم الطباطبائي عن اليوم الذي تشرق فيه الدنيا  
 بظهور المهدى فيطوى النفي وينشر الرشد بين الناس :  
 متى تشرق الدنيا يوم محمد تنادي به الأملاك قد ظهر المهدى ؟  
 ويطوى لواء الغى من بعد نشره وتنشر في الآفاق ألوية الرشد<sup>(٣٤)</sup>

(٣٣) راجع هذه القصيدة في ( الدر اليتيم ) ص ١٨١ - ١٨٣ .  
 وراجع للكشف عن مناسبتها ( جنة المأوى ) للشيخ حسين التورى ص ٢٩٠ . من بحار الانوار المجلد الثالث عشر و ( البابليات ) لليعقوبي ص ١٥٤ ج ٢ .

(٣٤) ديوان الطباطبائي ص ٩٧ .

والبيت الثالث يحتاج الى ايضاح لان الشمس لا تطلع من الغرب وان ذكرت بعض الروايات : ان من علامات الساعة طلوع الشمس من الغرب ، ولكن الذى يريده الشاعر أن المهدى يظهر فى مكة المكرمة لاول لحظة من ظهوره ، ومكة تقع فى الغرب من العراق .

أما السيد جعفر الحلى المتوفى سنة ١٣١٥هـ فانه يستهضف صاحب الزمان باسلوب رقيق ليرد الحق الى أهله فالحكم عارية عند غير آل البيت ولا بد أن يرد هذا المعارض ، ولكنه لا ينسى أن يبين الاسباب التى دفعته الى هذا الاستهضف فيقول :

يا قمر التم الام السرار  
لنا قلوب لك من شفاعة  
دجا ظلام الغى فلتجله  
يستنصر الدين ولا ناصر  
منى نرى بيضك مشحودة  
متى نرى خيلك موسومة  
على كعامة لم تسعنها القفار

ذاب محبوك من الانتصار  
كالبيت اذ يشناق صوب القطار  
يا مرشد الناس بذات الفقار  
وليس الا بكم الانتصار  
كلماء صاف لونها وهى نار ؟  
متى نرى خيلك موسومة  
على كعامة لم تسعنها القفار

ثم يشير الى الزعامة الدينية وأنها لآل البيت فيقول :

رياسة الدين لنا فصلت ابرادها والناس عنها قصار  
أن يلبسوها اليوم عارية ففي غد سوف يرد المعارض<sup>(٣٥)</sup>

ولكن شاعراً كان من رجال الدين البارزين فى الحلقة ومن المقربين لدى الولاية والدولة العثمانية لا يكتفى استباءه وتذمره من السياسة والظلم الذى استباح الوطن ، والجور الذى عم البلاد فيجنج الى العقيدة متخفيها وراءها ويوجه نداءه الى الامام المهدى . أما الشاعر فهو السيد محمد القزويني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ<sup>(٣٦)</sup> . وقد شارك غيره من الشعراء فى

(٣٥) سحر بابل - ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٣٦) راجع (البابليات) ص ٢٧ من الجزء الثالث - القسم الثانى .

تصویر الظلم وكان موافقا في رسم الصورة غير قليل الحظ من صدق العاطفة  
والحسن ومن الموسيقى المنسجمة المطاءعة ، قال :

أحلما وكادت تموت السنن لطول انتفارك يا ابن الحسن  
اؤشك دين أيمك النبي يمحى ويرجع دين الوطن !  
وهذى رعاياك تشكو اليك ما نالها من عظيم المحن

لا شك أن السلطان العثماني يغضب لو سمع مثل هذا القول وان  
الناس - أو المسلمين - ليسوا رعايا الا لصاحب الزمان . وعلى لسان هؤلاء  
الرعايا يستمر الشاعر ويحاطب المهدى :

تنديك معلنة بالتحبب  
وتذرى لما نالها أدمى  
ولم ترم طرفك فى رأفة  
لقد غر امهالك المستعلي  
قطيق ظلمهم الخافقين  
ولم يقتدوا منك فى رهبة  
فخذ عمنا الجور واستحكموا  
شخصنا اليك بأبصرنا (٣٧)

وتلتقي العقيدة بالسياسة في مكان آخر دون أن يكون استهان  
للإمام المهدى أو التجاء إليه ، بل تأتى الصورة مقصورة على وصف  
الحادثة وأثرها في نفوس الناس وكونها موجهة إلى ايداء العقيدة أو مكان  
من أمكنتها المقدسة . وقد اجتمعت في حادثة واحدة خطوط متعاكسة متضاربة  
من أمكنتها المقدسة . وقد اجتمعت في حادثة واحدة خطوط متعاكسة متضاربة  
ليست الا لونا من ألوان المفارقات في الشعر ، وتضارب وجهات النظر بسبب العقائد

(٣٧) شعراء الحلقة - ص ٢٧٥ و ٢٧٦ الجزء الخامس .

والمناهض فان حادثة كربلاء أيام الوالي محمد نجيب<sup>(٣٨)</sup> قد دفعت بعض الشعراء في بغداد الى تأييدها وامتدح الوالي فيها<sup>(٣٩)</sup> بينما اثرت في شعراء الحلة وغيرهم تأثيراً سلبياً<sup>(٤٠)</sup> وألتهم ايالما شديداً ومن هؤلاء السيد مهدي ابن السيد داود الحلبي المتوفى سنة ١٢٨٩هـ ١٨٧٣م فانه رد على أحد الشعراء المؤيدین للوالي بمقطوعة تضمنت بعض الاشطر من أبيات ذلك الشاعر<sup>(٤١)</sup> عاكساً المعنى الاصلي ومندداً بعمل الوالي ومن هذه المقطوعة قوله :

(أحسين دنس دار مرقدك الالى)  
كفروا فحاشا منه يدنس مرقد  
قد حل منهم في نراها الملحد  
بعصابة الشيطان لم تدنس ولو  
جاءت اليك جنودها تتجند  
من حقده جلب الجنود لها كما  
دارت على أشياعكم فيها كما  
قتلت بمرقدك الشريف أماجدا  
لاذوا به وبجنبه قد ألدوا  
(سموا الرواقض وهو نعم المرقد)  
رفدوا به ولكونهم والوكم  
كم من دم سفكوا وكم من حرمة  
هتكوا وكم لأمجد قد بددوا<sup>(٤٢)</sup>

اما الشيخ سالم الطريحي المتوفى سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٦م فانه يقدم قصيدة في رثاء الامام الحسين بأبيات لا تخفي ألم الشاعر من جنف الحكم فيقول :

الام النوى وعلينا العدى تجور ولم نستطع ردها ؟

(٣٨) من ذكر هذه الحادثة في الفصل السياسي .

(٣٩) من مدحوا الوالي في هذه الحادثة الاخرين البغدادي وسيأتي ذكر ذلك .

(٤٠) راجع قصيدة الكواز في بداية هذا الفصل .

(٤١) نظم هذا الشاعر المجهول أبياتاً جاء فيها :

احسين دنس دار مرقدك الالى سموا الرواقض وهو نعم المرقد  
كم من وزير لم ينزل تطهيرها منها منهم فظاهرها النجيب محمد  
(البابليات) ص ٧٦ ج ٢ .

(٤٢) راجع المصدر السابق ص ٦٧ - ٧٧

تحملا ما لو أن الجبال تحمل عندها  
تابغت علينا وقد أدركت على رغم أنفها قصدها<sup>(٤٣)</sup>

وفي سنة ١٤٩٠هـ كان سكان النجف يحتفلون - كعادتهم -  
ب يوم مقتل الإمام الحسين فلم يكن من حاكم المدينة إلا أن أمر بقتل بعض  
الأشخاص قتلوا في الصحن الشريف وقد اهتزت النجف وأعلنت سخطها  
وأنصلت بالاستانة فأرسلت الدولة من يتحقق في شأن هذه الحادثة التي  
أغضبت رجال الدين وغيرهم ومنهم الشاعر السيد إبراهيم الطباطبائي الذي  
استجاب لعواطف الناس فنظم مقطوعة يسجل فيها هذه الحادثة ولكنه خلط  
فيها بين مدح الوالي - وكان اذ ذاك سرى الكريدى - وبين العقيدة الثائرة  
لاتهاك شهر المحرم على يد حاكم النجف ، ولكن شيئاً جديداً في هذه  
القصيدة لم يشر إليه الشعراه ولم يتناولوه بشعرهم وهو وصف الرشوة التي  
كانت منتشرة بين الموظفين ، فان الطباطبائي قد كان بارعاً حين لم يفته  
ذكرها ، وهذه أبيات من القصيدة تشرح ما ذكرناه :

والى الولاة إليك مظلمتى أشكو بعين الواحد الأحد  
لروافد الشاكون قد عدوا ورواق عدك مشرع العمد  
بلد به يرشى علانية والمرتشى هو حاكم البلد  
كيد ولا فرعون كاد به موسى بنث السحر في العقد

\* \* \*

للله شهر محرم فلقد فيه استحلوا حرمة الصمد  
واسط بعاشر يومه نفر شهداء يوم العطف أو أحد  
فلقد أباح به حرام دم هдра بلا عقل ولا قود<sup>(٤٤)</sup>

هذا ما استطعت أن أضعه من الشعر في مجال السياسة الثائرة في

(٤٣) شعراه الغرى - ص ١١٩ ج ٤ .

(٤٤) راجع ديوان الطباطبائي - ص ١٠١ .

خلل العقيدة<sup>(٤٥)</sup> ، وهو جزء من كل ولكنه جزء هام فيه تصوير للعقيدة حين لا يرضيها الحكم القائم فتمد شعراها بالفكرة والعاطفة وتنبرهم على الفلم والطفيان ، وتوجههم حيث تريده من التوجيه ، وهذا الشعر في كل ما مر من صوره ليس مجرد تفكير ديني أو سبج في الأخيلة ، وهيا م وراء الآمال البعيدة ، بل هو مظاهر التعبير عن الفلم وعدم الاستقرار .

---

<sup>(٤٥)</sup> مر في فصل (الشعر والحوادث الوهابية) نماذج للكعبى والازرى من هذا اللون .

## الفصل الرابع

# الشعر في رُكاب الدولة

قبل البدء :

في كل من عصور الادب مفارقات وخطوط يقاطع بعضها بعضاً ويصطدم بعضها البعض وقد تحدث هذه المفارقات لشاعر واحد كما تحدث لشاعراء متعددين يختلف بعضهم عن بعض في الاتجاه والغاية ، وليس من تعليل لذلك غير قسوة الحياة وتفاوت النسبيات قوة وضعفًا وغير الحاجة التي ترسم للشاعر طريقه في تناول الاغراض الشعرية وكونه يعيش في بيئة ليس لشعراها الا هذا المسلك الذي وجهوا إليه .

ولقد كان شعراً القرن التاسع عشر في العراق - ومعظمهم من ذكروا في معرض الحماسة والقومية والثورة في ظل العقيدة - قد سلكوا في شعرهم مسلك أى شاعر لا يرى أساساً من جعل الشعر وسيلة للتقرب والزلفي عند السلاطين والولاة أو أى موظف من موظفى الدولة .

وقد يخيل لمن يكتفى بتصوير الحالة السياسية والاجتماعية في العراق - كما سبق في مكانه الخاص - أن الشعراً لابد أن يكونوا في صفوف الناقمين من المواطنين ولكن الحقيقة غير ذلك فقد سار الشعرا في خطوط ملتوية تناسب مع عصرهم وبيتهم وحياتهم ولا يغطى على هذا السير كونهم قد ثاروا في بعض المناسبات وأظهروا استياءهم في بعض اللحظات التي

لا يفسر معظمها بغير تأثير العقيدة أو ضيق منابع العيش أو الاقصاء عن وظيفة قد يكون الشاعر راضياً بها وإن كانت تافهة بالنسبة لغيره من موظفي الآثار أو مقربيهم مع أن الموظفين من الشعراء كانوا قلة لا شأن لهم في الحساب .

ومن ثم لا بد لنا أن نستعين بما مر في الفصل السياسي من عرض لأهم الحروب والحوادث التي رافقت تاريخ الدولة عامية وال العراق خاصة خلال القرن التاسع عشر ، وما مر من ذكر لاعمال السلاطين والولاة في بناء مسجد أو تكية أو شق نهر لا يكاد يمر عليه عام حتى يندثر ، أو غير ذلك من الاعمال التي يراد بها التمويه على السكان واجتذاب عواطفهم ونفوسهم .  
ان تلك الاعمال والحروب والحوادث كانت ميداناً فسيحاً يتسابق فيه الشعراء أسلفهم وهجيتهم ، قويمهم وضعيفهم ، فهم مع الدولة في حروبها الخارجية باسم الاسلام ، والداخلية باسم المصلحة ، ومع السلطان في جلوسه وميلاده وفيما يعمل من ترميم مسجد أو انشاء تكية ، أو ارسال كسوة الى ضريح أو مرقد ، وهم مع الولاية في حروبهم مع القبائل ، أو مع جيران العراق ، وفي أعمالهم الصغيرة من تعمير مسجد أو شق نهر صغير ، أو حفر بئر يشرب منها العابرون ، وفي كل عيد وختان ، بل في كل مناسبة وغير مناسبة ، وفي استقبال من يأتي وتوديع من يذهب .

وقد يكون من المهن على تاريخ الادب أن يسجل كل هذه الالوان من الشعر دون أن يضيق بها ، وأن يضمها إلى أمثالها مما أنتجه المصور القديمة ، وقد يكون من المهن علينا إلى حد ما أن نقبل ما قبل في مدح السلاطين وفي حروبهم مع الدول الاوروبية أو غيرها من يتمردون من الاتباع والمحكومين في ولايات البلقان والمناطق الاوروبية ، وقد يكون من المهن أيضاً أن نقبل ما مدح به الولاية في اصلاح مسجد أو شق نهر أو ختان أو عيد .

ولكن الذي يجعل شعراء العراق عرضة للوم والتcriيع ، وال النقد الشديد اسرافهم في مدح الولاية خلال التورات القبلية والانتفاضات الداخلية

التي لا تفسر الا بأنها رد فعل لفساد الحكم وسوء النظام ، فقد كان الشعراء حال هذه الحوادث والثورات متبرعين في شتم القبائل والذئرين منها خاصة ، وكانوا لا يكتون استثنائهم عندما يقمع الوالي أية ثورة أو حادثة ، ولا يخلون بتحميم انتصاره على أخوانهم من المواطنين لأن الثورة لم تكن على وال تركي ظالم ، أو دولة لا تربطها بالعراق رابطة جنس أو لغة !! وكان الذئرين لم يكونوا طلاب حق أو منذمرين من ظلم واضطهاد !! وقد يكون من التورات والحوادث ما لا صلة له بالسياسة ، وإنما للشعب والفوضى حسب ، ولكن أكثر التورات كان نتيجة لغطرسة الولاة وسوء أعمالهم ، وحتى في هذه الحالة كان شعراء العراق يتظرون النتيجة ويستعدون لاستقبال الوالي عندما يعود متصرراً ظافراً تاركاً وراءه الاشلاء والدماء وخراب البيوت !!

وليس من تفسير لهذا السلوك المضطرب من الشعراء الا أنهم يعيشون دائماً في ضيق من الحياة وفي حاجة الى هبات الوالي وعطائه ، وأن أكثرهم أو بعضهم كان في جوار الوالي أو مستخدماً لدبيه في وظيفة من الوظائف الصغيرة \*

وأكثر هذا الشعر لا يخرج عن الملق والطعم ، وعن التقليد والمحاكاة ، ولا يعبر عن عاطفة صادقة يتباين معها المواطنون \*

ولما كان هذا الشعر من أكثر الموضوعات<sup>(١)</sup> التي تناولها الشعراء فإن استقصاءه كله ليس من وظيفة هذا البحث بل من وظيفة تاريخ الأدب وحده ، لذلك ساكتني منه بالقدر المناسب لتوضيح مسلك الشعراء ، أو بتعبير أدق لتوضيح هذا اللون من الشعر في ظل السياسة والاحاديث ، وسأكتفي من هذا اللون أيضاً بما يتصل بالسلطانين وكبار رجال الدولة والولاة \*

(١) اذا استثنينا موضوع الرثاء في آل البيت \*

## في موكب السلاطين :

ان الشعر في موكب السلاطين لا يخرج عن كونه شعراً تقليدياً تملئه العاطفة الإسلامية وخاصة في حروب الدولة مع الدول الأوروبية . وقد تساوى في هذا اللون شعراً السنة والشيعة ، فقد كان هؤلاء - ولاسيما الفريق الثاني منهم - ينسون الجراح والألام حين تعلن الدولة حرباً على خصم من خصومها ، أو حين يعلن أحد الخصوم حرباً على الدولة ، وكانوا بداعف من التصور الإسلامي لا يدخلون وسعاً في الاشادة بالدولة والسلطان وجده ، ولا يكتمون فرحةهم واستبشرتهم بالنصر والظفر ، أما السلطان فهو أمير المؤمنين وامام المسلمين وحامي حوزة الدين من أعدائه الكفار ، وخصومه المعاندين المارقين ، ونجوشة المفقرة المنصورة إنما تحارب لاعلاء كلمة المسلمين والمحافظة على التغور الإسلامية من الاعداء .

فإذا لم تكن حروب ولا حوادث تدفع إلى نظم الشعر فإن مدح السلطان لا بد منه في عيد جلوسه أو ميلاده ، أو حين يبعث كسوة إلى مكة أو المدينة أو إلى مرقد أحد الانبياء والآولياء في العراق ، وعندما يأمر بترميم مسجد أو تكية ، أو شق نهر أو غير ذلك .

وأود في هذه الدراسة أن أشير مع السلاطين المدحوجين وأسجل ما قيل من الشعر في كل واحد منهم وإن جاء متآخراً عن المناسبة ، أو نظم بعد حدوثها بسنين غير قليلة .

## محمد الثاني :

كان لهذا السلطان شأن في السياسة العثمانية وقد وقعت في أيامه حوادث وحروب غير قليلة من ذكر الكثير منها في الفصل السياسي وكان لحوادثه وحروبها أثر في الشعر العراقي كما كان لاعماله الأخرى بل كان مدحه يأتي لمجرد المدح ومن ذلك ما قاله عثمان بن سند حين ذكر تولية هذا السلطان سنة ١٤٢٣هـ ١٨٠٨م فقد نظم على لسانه قائلاً :

وما أنا إلا من أناس ولديهم لبع السرايا والجيوش المرشح

ولا عيب فيهم غير أنهم الأولى  
إذا ملکوا أمر البرية أصلحوا  
رهاين مهما عسعن الليل سبحوا<sup>(٣)</sup>

سلطان من تقوى أباطين للهوى  
ولا عيب فيهم غير أنهم الأولى

وقال في مدحه أيضاً :

سلطان عصر لم يزل  
متدرعاً متخفياً  
سل عنه دمعاً سافحاً  
والليل مسدول الكل<sup>(٤)</sup>

وفي الحق أن محمود الثاني لم يكن كما وصفه الشاعر هذا الوصف  
المبالغ فيه<sup>(٥)</sup> .

أما حرب (المورة) سنة ١٨٢٦م - وكانت بين الدولة واليونان<sup>(٦)</sup> -  
فإنها أثارت عاطفة هذا الشاعر فقال فيها من قصيدة :  
له من هزوا القنا فنهضرا  
وسقوا سيفهم النجع الأحمر<sup>(٧)</sup>  
ولكسر من نصر دين محمد  
سلوا السيف لنصر دين محمد  
الا بصلمه الفوارس فطرا  
قافين (محمود) التقى ما غزا  
من آل عنان الكرام ومن هم  
نصروا الهوى بسيوفهم فتأزرا

نم يختتمها بقوله مخاطباً السلطان :

مد النصارى من سفاهة رأيهم  
ومحا فاض بما نضوت مكسرًا  
آساد جندك أن تعم وتعبرًا  
باتسود حرب لا تهاب الأبحار  
وغمزت ذايل عودهم فتكسرًا<sup>(٨)</sup>

(٢) مطالع السعود - الورقة ٩٥ .

(٣) المصدر السابق - الورقة ٩٧ .

(٤) راجع ص ٢٣ .

(٥) راجع ص ٢٨ .

(٦) من قسم من هذه القصيدة في الفصل الأول من هذا الباب  
ص ١٣٤ .

(٧) مطالع السعود - الورقتان : ١٥١ - ١٥٢ .

ولكن الشاعر فاته الحقيقة لأن الدولة لم تنتصر في هذه المعركة ولم يكتب لها الظفر .

وقد بالغ عبدالباقي العمري في مدح السلطان محمود ، ففي سنة ١٢٥٤هـ بعث هذا السلطان بكسوة إلى مكة والمدينة وأهدى قطعاً ثلاثاً من النسيج إلى أضرحة الأنبياء في العراق وبهذه المناسبة نظم العمري قصيدة جاء فيها :

ويا لأمير المؤمنين مبررة  
بها من أبي الزهراء قد أحرز الفخرا  
بخدمة بيت الله قد أحرز المنى  
وخدمة قبر المصطفى فاز بالشري  
حمت بيضة الاسلام أحسان رفعة  
فلم تخنـ ما دامت بأحضانه - كسر(٨)

#### عبدالمجيد الاول :

وفي أيام هذا السلطان جلت جيوش محمد على وإلى مصر عن سوريا<sup>(٩)</sup> ووقعت حرب (القرم) بين الدولة وروسيا<sup>(١٠)</sup> ومدت أسلاك البرق إلى بغداد ، وقد كان لهذه الحوادث وغيرها تأثير في شعراء العراق فقد نظم السيد عبدالجليل الطباطبائي قصيدة بمناسبة جلاء الجيوش المصرية عن سوريا سنة ١٢٥٦هـ ١٨٤٠م ورأى في هذا الجلاء مناسبة جميلة ل مدح السلطان عبدالمجيد الذي أشاع الفرح في قلب كل موحد بانتصاره على محمد على وقد جاء في هذه القصيدة الركيكة قوله :

بشرى بعز قد أضاء مخلد شملت به الأفراح كل موحد  
سلطانا عبدالمجيد ومن له الـ بأس الشديد وكل مجد أتله

(٨) الترياق الفاروقى - ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(٩) راجع ص ٢٩ .

(١٠) راجع ص ٢٧ .

ويشير الى وقوف الدول الاوروبية بجانب هذا السلطان لرد محمد على :  
 ولحربه قاد القياصرة الالى ألغوا الوعى بغرار كل مهند  
 أجرى اليه السفن كالاعلام قد قدت له متن الخصم المزبد<sup>(١١)</sup>  
 وما يدل على أن الشاعر كان يمدح قصداً للمنفعة الفردية ما جاء له  
 في خاتم هذه القصيدة من التماس . يطلب فيه من السلطان أن يعفى أملاكه  
 في البصرة من الضرائب فيقول باسلوب ركيك قريب من الشعر الملحون :  
 جد لي وأطلق أسر نخل من أذى (الـ ميري) معافي لم يزل كمؤبد  
 وفي حرب القرم سنة ١٢٧١هـ ١٨٥٥م وقف عبدالباقي العمري  
 يشيد بالدول التي ناصرت الدولة العثمانية ضد روسيا ولكنه لم يذكر  
 السلطان عبدالمجيد وقد كانت هذه الحرب في أيامه ، وما جاء له بهذه  
 المناسبة قوله :

أقول للدول المنصور عسكراً لا زال عسكراً بالله منصورة  
 لما اتفقتم على صدق المحبة في ما بينكم واتحدتم صرتم سورة  
 بسطوة ( دعت ) الاطواد راجفة دمرتم ممحضات الروس تدميراً

\* \* \*

مدافع غطت الدنيا غمامتها فغادرت صبح يوم الحرب ديجورا  
 وينهى هذه القصيدة بيت يؤرخ به هذه الحادثة وفتح حصن  
 « سواستيول » فيقول :

سواستيول التي أعيت معاقلها سخرتم حصنها أرخت « تسخيراً »  
 ويؤرخ هذه الحادثة بأبيات ثلاثة اخرى فيقول :  
 يا ملك المسقو سقاك الردى كأساً لها في كل عضو ديب  
 وحزت كسراماً له جابر وفرت من خرى باوفي نصيب  
 جاهك قد أُسقط<sup>(١٢)</sup> اذ أرخوا نصر من الله وفتح قريب<sup>(١٣)</sup>

(١١) رابع القصيدة في ( روض الخل والخليل ) ص ١٣٥ - ١٤٠ طبعة مصر .

(١٢) في التاريخ تعمية لطيفة وهي اسقاط كلمة ( جاهك ) من  
 التاريخ . اي : اسقاط حساب حروفها من الشطر الثاني .

(١٣) الترياق الفاروقى . ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

وفي سنة ١٢٧٧هـ ١٨٦١ صدر أمر السلطان عبدالمجيد بمد خط «التلغراف» الى بغداد فنظم عبدالباقي ارجوزة ضممتها أشطراً من ألفية ابن مالك وقد وصف بها هذا المخترع الجديد وأتنى على السلطان وقد جاء في هذه الارجوزة قوله :

نظمتها في نعت من أمدنا  
بما به كل بعيد قد دنا  
من مدد مسلسل الامداد  
يلوح مرفوعاً على أعاد  
تهف فوقها هواق التا  
على أمير المؤمنين علنا  
من بعض تسهيلااته الجزيئه  
وهي لعمر جده كليه  
صدر أمره الشريف العالى  
للخطة الزورا بلا امهال  
في مد خط (التلغراف) المستوى  
على قواعد باحکام فوى  
نم يستمر في وصف الاسلاك بأبيات غير قليلة<sup>(١٤)</sup> .

ولعبدالباقي العمري قصيدة أخرى في مدح هذا السلطان وهي في عيد جلوسه وليس فيها غير المبالغات والبدعيات المتكلفة<sup>(١٥)</sup> . ولابي الثناء الألوسي أبيات قليلة في مدح هذا السلطان ومنها قوله في الاستانة :  
فيها لقد حلَّ الملك المجتبى عبدالمجيد أجل أملاك الورى<sup>(١٦)</sup>

#### عبدالعزيز :

وللسلطان عبدالعزيز نصيب غير قليل من الشعر العراقي ففي أيامه جاء الوالي مدحة الى بغداد وانشأ بعض المرافق وفي أيامه قضى على السعوديين في الاحساء<sup>(١٧)</sup> ، ومن مدحه من الشعراء عبدالغفار الآخرين

(١٤) راجع المصدر السابق - ص :- ٣٥٢ - ٣٥٦ .

(١٥) راجع : التریاق الفاروقی - ص ٣٥٧ .

(١٦) لقد أخذ الألوسي أبياتاً من قصيدة ابن عين الشاعر الدمشقي وأضاف إليها أبياتاً من عنده ولم يشر الى ذلك . راجع : غرائب الاغتراب ص ١١٦ - ١١٧ وديوان ابن عين ص ٣ - ٨ بعد المقدمة . طبع دمشق سنة ١٩٤٦ م .

(١٧) مر في فصل «الشعر والحوادث الوهابية» شعر غير قليل في مدح عبدالعزيز .

فانه لم يكفل بجعله خليفة بل فضله على جميع الملوك بأسا وكرما وجعل منه حاكما عادلا في النهار وحبرا مبتلا في الليل ، ومن ذلك قصيدة نظمها أيام الوالي محمد نامق وقد جاء فيها قوله :

خليفة الله في الاقطار محترم  
فلا كنامق واللعراف ولا  
كمثل عبدالعزيز اليوم سلطانا  
فلو وزنت ملوك الارض قاطبة  
لزادهم في الندى والبأس رجحانا

\* \* \*  
يفضي النهار بأحكام يدبرها رأياً ويتو بجنح الليل فرآنا !!

\* \* \*  
فاجمعت أمم الافريقي واتفقت على محنته شيا وشبانا<sup>(١٨)</sup>

ان من المؤكد أن الآخرين - كغيره من بقية الشعراء - كان مخدوعا لا يعرف شيئا عن هذا السلطان ولم تصله أنباء فسقه واسرافه وما كان عليه من أعمال استحق أن يسمى بسيها السلطان المتهتك<sup>(١٩)</sup> .

ولقد بالغ أيضا في مدح هذا السلطان شاعر بغدادي آخر هو السيد راضي التزويني فقد شبه جلوسه على السرير بظهور النبي (ص) في حين أن هذا الشاعر من الذين لا يؤمنون بالخلافة العثمانية ومن ذلك قوله :

مذ قر في تخت العلا سلطانها	زهت الملوك وأزهرت تيجانها
بملكيها وتأودت عيادتها	وتهللت غرر المالك بهجة
عبدالعزيز بملكيها رضوانها	فكأنما هي جنة وكأنما
يوم النبوة قد بدا برهانها	وكان يوم جلوسه بسريره
وسما بعرش سريره خفانها	مسجدت له أaculaها لما استوى
	ثم يخاطب المدوح نفسه :
مشكاة نور العدل أنت سراجها	وقفة دين الله أنت سانها

(١٨) الطراز الانفس ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

(١٩) سلاطين بنى عثمان الخمسة . للدكتورة ماري ملن باتريك ص ٣٤ من الترجمة العربية .

بك ملة الاسلام راق نظماها وزها بعدها عصرها وزمانها<sup>(٢٠)</sup>  
وفي سنة ١٢٧٩هـ ١٨٦٣م أمر هذا السلطان بفتح باب جديدة لم يرقد  
الامام علي في النجف فنظم الشيخ عباس بن الشيخ حسن آل كاشف الغطاء  
أبياتا بهذه المناسبة كتبت على الباب ومنها :

عبدالعزيز أعز الله جانبـه  
والدين حـُسـنـ فيـهـ أـيـ تحـصـينـ  
 الخليفة الله في فرض ومسنونـ  
رأـيـ علىـ الـبـعـدـ ضـيقـ الدـاخـلـيـنـ إـلـىـ  
منـوـيـ الـأـمـامـ أـبـيـ الفـرـ المـيـامـيـنـ  
لـزـائـرـيـ قـبـرـ بـابـ الـعـلـمـ وـالـدـينـ  
فـجـادـ فـيـ قـفـحـ بـابـ أـورـثـ سـعـةـ  
فـقـفـ خـاصـعاـ وـاسـعـ مـؤـرـخـاـ  
جلـتـ عـلـتـ بـابـ سـلـطـانـ السـلاـطـينـ<sup>(٢١)</sup>  
ويـلـاحـظـ مـنـ هـذـهـ المـقـطـوـعـةـ أـنـ فـقـحـ بـابـ للـعـرـقـ الـعـلـوـيـ كـافـ لـانـ  
يـجـعـلـ مـنـ عـبـدـالـعـزـيزـ اـمـامـاـ لـلـخـلـقـ كـلـهـ !!ـ وـلـيـسـ بـغـرـيبـ أـنـ يـصـدرـ هـذـاـ  
مـنـ شـاعـرـ بـعـيدـ عـنـ عـاصـمـةـ السـلـطـةـ لـاـ يـعـرـفـ مـاـ يـجـرـيـ فـيـهـ وـفـيـ قـصـورـ  
الـسـلـاطـينـ مـنـهـاـ وـلـاـ يـدـرـىـ أـنـ النـاسـ كـانـواـ يـوـدـونـ سـقـوـطـ هـذـاـ السـلـطـانـ  
وـخـلـعـهـ<sup>(٢٢)</sup> .ـ وـلـعـبـدـالـبـاقـيـ الـعـمـرـيـ أـبـيـاتـ بـؤـرـخـ فـيـهـ جـلوـسـ هـذـاـ السـلـطـانـ  
سنة ١٢٧٧هـ<sup>(٢٣)</sup> .ـ

#### عبدالحميد الثاني :

لقد كان نصيب السلطان عبد الحميد الثاني من الشعر العراقي أوفرـ  
من غيره مع أن الفترة التي حكم فيها سماها المؤرخون فترة الاستبدادـ ،  
غيرـ أـنـ هـذـاـ اـسـتـبـدـادـ لـمـ يـعـرـفـ عـنـ شـعـراءـ العـرـاقـ مـاـ كـانـ يـعـرـفـ سـوـاهـ  
مـنـ الـاتـرـاكـ أـوـ أـنـهـمـ لـمـ يـدـرـكـواـ الـمـفـهـومـ الـذـيـ أـدـرـكـ سـوـاهـ مـنـ الـمـلـعـنـينـ  
عـلـىـ تـيـارـاتـ السـيـاسـيـةـ فـقـدـ كـانـ لـلـجـامـعـةـ اـلـاسـلـامـيـةـ التـيـ اـحـضـنـهاـ هـذـاـ  
الـسـلـطـانـ لـتـوـطـيـدـ مـرـكـوـهـ أـثـرـ كـبـيرـ عـنـ رـجـالـ الدـينـ وـالـشـعـراءـ فـيـ الـعـرـاقـ اـذـ

(٢٠) ديوان السيد صالح القزويني . الورقة ١٧٧ .

(٢١) ماضى النجف وحاضرها ص ٤٧ ج ١ .

(٢٢) راجع : ( مذكرات مدبحة ) ص ١٣ و ١٤ .

(٢٣) راجع : الترياق الفاروقى ص ٤٣٦ .

كان دعاء هذه الجامعة ومؤيدوها لا يألون جهدا في ترسيخها في نفوس العراقيين ، وكانت تبدو الى جانب هذا بعض الاعمال التي يعدها العراقيون من الحسنات وهي في الواقع أعمال يمكن أن يقوم بها أي موظف يحسن تصريف الأمور ولكن كل شيء من هذه الاعمال كان يعزى الى السلطان والى رغبته ، واذا كان لهذا السلطان شأن كبير في نفوس الشعراء يوم صار سلطاناً نافذ الكلمة فان هذا الشأن قد بدأ يوم مولده سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٣ م وقد ظهر أثر ذلك على لسان الشاعر عبدالغفار الاخرس فانه نظم قصيدة بهذه بنيات منها السلطان عبدالمجيد ويصف الفرح الذي عم الناس يوم مولد ابنته عبدالحميد ومنها قوله :

ولد قد أشرق الكون به من علا سلطانا عبدالمجيد

\* \* \*

فزعت بغداد حتى أنها قابلت أيام هرون الرشيد

\* \* \*

وإذا الكون أضا أرخته فضياء الكون من عبدالحميد<sup>(٢٤)</sup>

وحين صار سلطاناً أراد أن يبرهن على احترامه رجال الدين وطلبة المدارس الدينية ليجعل من هؤلاء رصيداً يعتمد عليه فأمر بأن لا يشملهم نظام التجنيد الإلزامي ، وقد سجل حسن البزار الموصلى هذه المناسبة بأبيات رككية جاء فيها قوله :

لذاك اترت من صهاته جامى  
العلم أشرف ما يسمى به السامي  
سلطاناً عز سلطاناً لنا حامى  
كهف الخلقة ظلل الله من ملث

\* \* \*

وقسم الأمر فينا بين متضرر  
حرباً وداع له تقسم علام  
وقد عفا عن أهل العلم حين رأى  
لابد من علماء فيه أعلام

---

(٢٤) راجع : الطراز الانفس ص ٩٥ و ٩٦ .

لا يستطيعون حربا غير أنهم إلى المحاريب فيه كل مقدم (٢٥)  
وفي الحق أن طلب العلم لا يمنع من التدريب على أعمال الجندي  
إلى حد كبير ولكن الجندي في العصر العثماني كانت أشد على رعايا الدولة  
من وباء الطاعون وقد مرت الاشارة إلى موقف العراقيين منها في أكثر من  
مكان واحد .

وفي سنة ١٨٨٧ هـ ١٣٠٥ تعرضت مدينة النجف - كعادتها -  
للعطش بسبب ارتفاعها وعدم وصول الماء إليها فأمر السلطان عبد الحميد  
 بشق نهر صغير من الفرات يصل إلى غربى المدينة حيث تخفض الأرض  
 هناك إلى مستوى نهر الفرات وقد استبشر سكان النجف حين وصل الماء  
 إليهم وأقاموا مهرجانا بهذه المناسبة ألقى فيه الخطب والقصائد التي أطربت  
 في مدح السلطان والوالى (مصطفى عاصم) وحاكم النجف وقد سمى  
 هذا النهر (نهر الحميدية) باسم السلطان كما سمي أيضا (نهر عبدالغنى)  
 باسم حاكم النجف . أما الشعراء الذين نظموا بهذه المناسبة فمنهم الشيخ  
 طاهر الدجلي وقد جاء في قصيده قوله :

حتى الملوك وقل لها بشرى أجرى الحميد لحيدر نهرا  
 ومنها في مدح الوالى وحاكم النجف :

كالعاصم الحامى له خضمت أهل العراق فلم يتحقق مكرها  
 وكذلك عبد الغنى فكم قد شد في طلب العلا أزرا (٢٦)

وكان المبدع بهذه المناسبة السيد جعفر الحلبي فقد قال يمدح  
 عبد الحميد :

دول المالك طأطأت لك هامها قدما فقد ألقت اليك زمامها  
 نظرت مدارك فقصرت من خطوها ورأيت لواك فنكست أعلامها  
 فاهنا رئيس المسلمين برتبة شرف الملوك اذا مشوا خدامها  
 ويندح الوالى عاصما خلال القصيدة تم يعود إلى مدح السلطان

(٢٥) ديوان البزار الموصلى ص ٩٠ - ٩١ طبع مصر .

(٢٦) راجع (مباحث عراقية) ص ٦٦ ج ٢

وصف حالة مدينة النجف وما كانت تعاينه من العطش فيقول :

واسع رئيس المسلمين رسالة  
بضاعة عزت على من سامها  
فندى يمينك قد سقى أهل الحمى<sup>(٢٧)</sup>  
عذبا يبل من الصدور أوامها  
كان الفرى وأهله في حالة  
تشكو عن الماء القرابح صيامها  
وعلى البعد أغتهم وأيتهم  
بالماء يعلو سهلها وأكامها<sup>(٢٨)</sup>

وقد اهمل هذا الجدول الصغير بعد مدة قليلة فترسبت فيه الرمال  
وانقطع الماء عن النجف سنة ١٣٠٨ هـ فأمر السلطان عبدالحميد بحفر نهر  
آخر يحاذى الاول وسمى « نهر الحميدية » و « نهر الحيدرية » وقد  
روى في الاول اسم السلطان ، وفي الثاني اسم ( حيدر ) وهو من أسماء  
الامام علي ، فكان لهذا النهر من الفرح ما كان للاول ، وقد أقيم له احتفال  
حكومي في النجف وألقى القصائد المناسبة ، ومنها قصيدة للسيد جعفر  
الحلبي وقد جاء فيها :

جرى ماؤنا من لطف سلطانا عذبا  
فلذ لنا طعما ولذ لنا شربا  
جانا امام العصر من صدقاته  
مراحم فيها ازداد من ربه قربا  
امام الورى عبدالحميد الذى جرت  
أياديه حتى عممت الشرق والغربا !!  
نم يمدح الوالى فيها فيقول :  
وقد علمت ب福德 اأن وزيرها  
غدا لأمام العصر أسرع من لبى<sup>(٢٩)</sup>

ويختتم القصيدة بيت يؤرخ فيه هذه المناسبة فيقول :

لقد صدق أياتها وهي عذبة  
اذا الناس فى تاريخها شربوا العذبا<sup>(٣٠)</sup>

ويصادف هذا التاريخ سنة ١٣١١ هـ .

(٢٧) الحمى : من أسماء النجف .

(٢٨) سحر بابل - ص ٣٧٨ - ٣٨٠ .

(٢٩) راجع - البابليات - ص ٢٥ ج ٢ القسم الثاني . للشيخ

محمد على اليعقوبي .

(٣٠) سحر بابل من ٧٩ .

وللسيد جعفر الحلى مقطوعة اخرى بهذه المناسبة أيضاً<sup>(٣١)</sup> ، ومن  
الشعراء الذين نظموا فيها السيد محمد الفزويني فقد أرسل الى السلطان  
أبياتا بطريق البرق يشكره فيها على هذه المبرة ومنها :

شكرا امام المسلمين على صنائعك السنية  
أجريت نهرا في الغرى به منت على الرعيه<sup>(٣٢)</sup>

وفي حرب الدولة العثمانية مع اليونان سنة ١٤٣١ هـ ١٨٩٧ م<sup>(٣٣)</sup> نظم  
شعراء العراق قصائد انتصروا فيها للدولة ووقفوا الى جانبها ومنهم السيد  
جعفر الحلى فقد قال يمدح السلطان عبدالحميد ويصف هذه الحرب :  
لنك طأطأت دول الفضلال رقابها قدتها فسيفك قد أذل صعبها  
ومنها :

أرسلت من جند الله عساكرها  
يستعدبون من النيمة صابها  
اما أعداء الدولة فانهم خافوا  
وتحصنوا في قلعة قد أحكمت  
وتخللوا فيها النجاة وما دروا  
حتى اذا فتح المظفر (أدهم)<sup>(٣٤)</sup>  
حلف النصارى بال المسيح وأقسمت  
تلث البطارق أن تغير دابها<sup>(٣٥)</sup>

والقصيدة كلها من هذا السبق الذى لا يعدو هذه الفكرة وهى أن  
النصارى ثاروا على المسلمين فحاربهم السلطان .

وكان لابد أن يعلن فى الأقطار التابعة للدولة العثمانية ان السلطان قد  
انتصر لثلاثي الرعية ظنها بالدولة ، وباعتقاد الانتصار نظم الشيخ يعقوب

(٣١) راجع : المصدر السابق من ٢٣١ - ٢٣٢

(٣٢) راجع (نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر) من ٢٧٤ - ٢٧٥ و (البابليات) من ٢٦ ج ٣ القسم الثاني .

(٣٣) راجع من ٢٨ - ٢٩

(٣٤) هو القائد المعروف أدهم باشا .

(٣٥) راجع : سحر بابل - ص ٥٢ - ٥٤

ابن الحاج جعفر<sup>(٣٦)</sup> أثيأنا يُورخ بها هذه الحادمة فقال :  
 سلطانا عبدالحميد الذى صان حمى الاسلام وال المسلمين  
 أعز دين الله فى موقف أذل فيه الشرك والمنحرفين  
 حرب بها اليونان قد شاهدت عاقبة العقىان عين اليقين  
 فيما أعنان الله أجناده على العدا والله نعم المعين  
 أوحى له الذكر بتاريخها انا فتحنا لك فتحا مبين<sup>(٣٧)</sup>

ويلاحظ في هذه الآيات أن الشاعر لا ينظر إلى هذه الحروب إلا من الزاوية الدينية وهو كالسيد جعفر الحلى في هذه النقرة ، اذ لم يكن للشعراء علم بالسياسة ولم يكونوا يعرفون ان العامل الديني كان أضعف من غيره في آثاره هذه الحروب .

ويشارك جميل صدقى الزهاوى في مدح السلطان وجوشة في هذه الحرب وكان اذ ذاك في الاستانة فيقول :  
 هو الفتح ألقى في قلوب العدا هولا وثبت ان الحق يعلو ولا يعلى

\* \* \*

أضعاف بني اليونان في الحرب رشدهم فضلوا ، وقد خابت أمانى من ضلا

\* \* \*

نصحنهم ألا يدافعوا ولاءنا فلم يقبلوا الا العداوة والغلا  
 الى أن رددنا كيدهم في تحورهم بنصر به قد خصنا الملك الأعلى  
 ويشير فيها الى طلب الصلح من قبل اليونان :

ولما سعى الساعون أن نهجر الوعى ونمنع للمغلوب من فضلا مهلا  
 عقدنا مع اليونان للحرب هدنة على طلب منهم فكانوا اليد السفل  
 ويمدح السلطان فيقول :

سلطانا عبدالحميد سياسة طريقتها في المضلات هي المثل<sup>(٣٨)</sup>

(٣٦) هو والد الشاعر المعاصر الشيعي محمد على اليعقوبي معتمد  
 الرابطة الادبية في النجف . وقد توفي سنة ١٤٢٩ هـ .

(٣٧) راجع (البابليات ) ص ١٤٤ - ١٤٧ ج ٣ القسم الاول .

(٣٨) راجع (الكلم المنظوم ) للزهاوى ص ٣ و ٤ .

ولهؤلاء الشعراء وغيرهم قصائد أخرى في مدح هذا السلطان بمناسبة عيد ميلاده وجلوسه وبعض أعماله ، ومنها قصيدة للسيد جعفر الحلبي نظمها بمناسبة عيد ولادة عبد الحميد سنة ١٣١٥هـ ، وقد جاء في أولها :

ميلاد سلطان البرية عيد وبه سعد للهدي وصعود بوركت يا دين النبي بليلة فيها خليفة عصرنا مولود

وعدد أبيات هذه القصيدة ثمانية وثلاثون خص بقسم منها والي بغداد اذ ذاك وهو عطاء الله الكواكبى<sup>(٣٩)</sup> ، وقد بالغ في مدحه كما بالغ في مدح السلطان<sup>(٤٠)</sup> .

#### الصدر العظام والوزراء :

لم يقتصر الشعر الذي كان يوجه إلى استانبول على السلطان وحده سواء سمع هذا الشعر أم لم يسمع ، وسواء وصل أم لم يصل ، بل كان للصدر العظيم والوزراء نصيب منه ولكنه نصيب قليل بعد الشعراء عن العاصمة ولأن شهرة هؤلاء الموظفين لم تكن قد بلغت درجة كافية بحيث تملأ أسماع الشعراة كما ملأت أسمائهم شهرة السلطان أو الوالي الذي يقيم بين ظهرهم .

ولذلك لم يكن الشعر الذي قيل في هؤلاء شيئاً يذكر فقد كان لا يتجاوز المقطوعات الفصار والآيات القليلة التي كانت تتضمن بمناسبة تعيين صدر أعظم أو تقال للزلفي والتقارب لدى صدر أعظم أو وزير .

ومن أمثلة ذلك قول عبدالباقي العمري عندما صار مصطفى رشيد صدراً أعظم للمرة الثالثة سنة ١٢٦٩هـ :

رجع الرشيد الى الصداره فلما هنا ولد البشاره  
والمحاطب باليت أبو الناه الالوسي حين كان في الاستانة<sup>(٤١)</sup> .

(٣٩) ولـى بغداد سنة ١٨٩٦م وكان طاعناً في السن .

(٤٠) راجع القصيدة في ( سحر بابل ) ص ١٥٦ - ١٥٨ .

(٤١) راجع ( غرائب الاغتراب ) ص ١٢١ .

ويجمع العمري بين هذا الصدر و بين مستشاره فؤاد عالي والسلطان عبد المجيد أيضاً فيقول :

فؤاد لصدر الملك لا زال لائقاً وهل لائق للصدر غير فؤاده  
فذاك وذا جسم وروح تلازماً لخدمة ظل الله بين عباده (٤٢)

وقد جمع الآلوسي أيضاً بين هذا الصدر ومستشاره بأبيات ثلاثة فقال :  
ولما نظرت الى المستشار وشمت عليه مدار الامور  
هفت أناي بقول صحيح عليه يلوح من الصدر نور  
يليق بهذا الصدر هذا الفؤاد وهل غيره لائق للصدور (٤٣)

ولا شك أن للأسماء أثراً في هذا اللون من البدع الذي تلاعب فيه  
العمري والآلوسي \*

ونرى الآلوسي في رحلته بين الأسباب التي الجأته إلى ترك بغداد  
والاتجاه إلى الاستانة فيخاطب هذا الصدر بيدين ضنهما شطراً لابي فراس  
الحمداني فقال :

قصدت من الزوراء صدراً معظماً وقد سامي دهر  
وقلت لنفسي - والرجلاء موفر - (لنا الصدر دون العالمين أو القبر) (٤٤)  
وهو بهذه التضمين قد استخدم كلمة الصدر بمعنى آخر \*

ثم يعود إلى مدح المستشار فؤاد ، والصدر ، والسلطان بأبيات يرجو  
بها فضاء حاجته ليعود إلى أهله فيقول مخاطباً المستشار :

أرى دولة الاسلام شخصاً فرأسه ملاذ الورى السلطان والصدر صدره  
وأنت بلا ريب فؤاد وحبذا فؤاد حوى العرفان لله دره  
فيما سيدى قد طال بالعبد غربة فعنوا عليه أن يحرر أمره  
ليغدو إلى أهله بالخير داعياً ويبقى لكم ما عاش بالمدح ذكره (٤٥)

(٤٢) المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٤٣) المصدر السابق والصفحة نفسها .

(٤٤) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٤٥) المصدر السابق ص ١٤١ و ١٤٢ .

وحيث صار فؤاد على صدرًا أعظم سنة ١٢٧٨هـ نظم العمرى أبياتا

يورخ بها هذه الصدارة فقال :

صدارة كررت مرارا  
لواحد الدهر فى الكمال  
ما قطعت عنہ وقتا  
الا وحنت الى الوصال  
ان رمت تاریخها ارجالا  
كرر ثلاثا الصدر عال<sup>(٤٦)</sup>  
وليس في هذه الابيات سوى الفن التاريخي فإذا كررنا كلمتي (الصدر  
عال) ثلاث مرات وحسبنا حروفها على طريقة الجمل وجدناها توافق تاريخ  
هذه الصدارة .

وقد أرخ الاخرين صدارة مدحه باشا الاولى سنة ١٢٨٩هـ وكانت

في أيام السلطان عبدالعزيز فقال :

ان المالك في صدارة (مدحه)  
أضحت بطيب مسرا وهناء  
ضحكت به دار السعادة بعدها  
للدولة العلياء من سلطانها<sup>(٤٧)</sup>  
أرخ تصدر مدحه العلياء

ومما تجنب الاشارة اليه أن مدحه عين صدرًا أعظم بعد أن غادر  
العراق بمدة<sup>(٤٨)</sup> .

وقد مدح عبدالباقي العمرى بعض وزراء الدولة ومنهم حفظى باشا  
فقد أرسل اليه مقطوعة مع القصيدة التي نظمها في الاستيلاء على حصن  
(سواستيول) في حرب القرم وقد مر ذكرها في مدائح السلطان عبدالالمجيد  
أما المقطوعة التي مدح بها حفظى فإنه يشير فيها إلى صداقة كانت بينه وبين

(٤٦) الترياق الفاروقى - ص ٤٣٦ .

(٤٧) مجموعة للاخرين ، لم تنشر . الورقة ١٧ من نسختى المنقوله  
عن نسخة يعقوب سركيس .

(٤٨) في ديوان السيد حيدر الحلى قصيدة في مدح الصدر الأعظم  
ولكن ليس في المقدمة أو في ثانيا القصيدة ما يشير إلى اسم المذووج ويغلب  
على القلن أنها في (مدحه) بعد أن عين صدرًا أعظم لأن للشاعر فيه بعض  
المدائح أيام كان واليا في العراق . راجع هذه القصيدة الغفل في ديوان  
السيد حيدر الحلى ص ٢٠٨ - ٢١٠ . وفي العقد المفصل للشاعر نفسه  
ص ٢٢ - ٢٤ ج ٢ .

هذا الوزير وأن هذه الصدقة هي التي حفته لأن برسليه قصيدة  
 (سواسيول) . وقد جاء في مقطوعته التي يخاطب بها حفظي قوله :  
 أيها المولى الذي باهت به دارة الملك شيخ الوزراء  
 هذه منظومة قد قالها عبد الداعي بصبح ومساء  
 ذاكرًا في ضمنها ما شاع من فتح حصن الروس من بعد الغزاء<sup>(٤٩)</sup>  
 ولم يكن القصد من هذا الخضوع غير أن يتفضل الوزير بتسجيل  
 هذا الشاعر في ثبت المخلصين للدولة .  
 وللعمري أبيات أرسلها إلى أحمد زبور ناظر الأوقاف السلطانية  
 بالاستانة وكان هذا قد طلب من الشاعر نسخة من ديوانه (الباقيات  
 الصالحات) في مدح النبي وآل البيت لطبعها له وأول الآيات :  
 دعائى زبور الوكلاه أَحْمَد لحضرته بظهر الغيب أَحْمَد<sup>(٥٠)</sup>

#### ولاية العراق :

إن الشعر الذي قيل في مدح الولاية وذكر مناسبتهم وحوادثهم  
 وحرثو بهم شعر كثير لا يمكن استيعابه في دراسة لا تعرض إلا إلى التواحي  
 الهمامة التي يمكن أن تكشف عن الخطوط والاتجاهات ، وتترك من الشعر  
 ما كان صوراً مكررة أو معادة لا تضيف شيئاً جديداً إلى المطلوب من هذه  
 الدراسة ، كما أن في مدح بعض الولاية ما لا حاجة لذكره في هذا المجال  
 لأن مجرد مدح يراد به التماس عطف الوالي ورضاه .

ولما كانت صور المدح في مناسبة هامة أو في غير مناسبة صوراً كثيرة  
 متشابهة فإن الاقصار على بعضها دون بعض أجمل من تناولها عامه ، لذلك  
 أرى من المفيد أن أتناول في هذه الدراسة ما قيل في أبرز الولاية ، وما صدر  
 من أشهر الشعراء خلال القرن كله ، وأن أتجنب الفضول والزوائد .  
 وإذا كان تحديد الموضوعات مما يعين على فهمها ودراسة جوانبها أكثر مما

(٤٩) راجع :- التربiac الفاروقى ص ٣٩٥ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٣٩٦ .

لو درست وهي غير محددة فان دراسة هذا الشعر في كل ولاية على حدة افضل في تنظيم الخطوط التاريخية والسياسية والادبية ، وان تناول كل وال من الولاة وكل شاعر من الشعرا بانفراد مما يساعد على التصور الواضح المقيد .

#### ولاية بغداد :

اذا كنت قد بدأت ببغداد فلأنها الولاية الكبرى ولأن ما قيل في ولاتها من الشعر أكثر وأغزر مما قيل في الولاية الآخرين ، وسأتناول من ولاية بغداد من كان لهم أثر في توجيه الشعرا وجهة حكومية طاويعها الشعر في مختلف الحوادث والمناسبات .

#### الوايى داود :

ان هذا الوايى الملوك الذى ختم به عصر الممالك كان أقرب الولاية الى شعرا عصره ، بل كان الشعرا أقرب طبقات المجتمع اليه ، وقد كان بصيغة من مدائحهم ودواوينهم أكثر من نصيب أى وال سبقه أو لحقه ، فقد رافقوه في كل عمل وكل حادثة ومرة وسجلوا له ذلك كما يجب ، وكما يشاء ، وارتضوا به الى مصاف الملوك والامراء بل منحه بعضهم صفة الخلافة وسماه خليفة العصر ، أما هو فقد كان يطرب لهذه المدائح والألقاب وينبىء عليها بمقدار ما يستحق أصحابها ، ومن أبرز الشعرا الذين مدحوه :

#### الشاعر عثمان بن سند :

هذا الشاعر كان من المقربين عند داود وقد ألف كتابه المعروف « مطالع السعود »<sup>(٥١)</sup> ، وسجل في هذا الكتاب ما يرضى هذا الوايى من تاريخه وتاريخ حروبه ومعاركه والنورات التي قضى عليها ، ومدحه بقصائد

(٥١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطا وتوجد منه نسخة في مكتبة الاوقاف ببغداد برقم ٥٨٤٠ . ونسخة ثانية في مكتبة الآثار ببغداد أيضا .اما التي اخذتها مرجعا في هذه الدراسة فهي نسخة الآثار برقم ٢٣٣ .

كثيرة كان فيها عونا له وخصما لكل ناشر أو محارب ولو كان من القبائل  
العراقة العربية ، ولعل من المستحسن أن أترك لشعره كل ابضاح وشرح  
وألا أسرع في الحكم والتعليق .

قال عنمان على لسان هذا الوالي مدعيا ان المعارف والتقوى كانت في  
أيامه وان أيام من سبقه كانت حافلة باللهو :

وانى لفلال لكل كتيبة سرير الى ابطال سورتها عدوى  
تفاخر أيامى وأيام من مضوا ببغداد من أملوا جدهم شاؤى  
فكانت لأيامى المعارف والتقوى وما افتخرت أيامهم سوى اللهو<sup>(٥٢)</sup>

وإذا كان اللهو لا يحتاج الى دليل فان التقى من مبالغات الشاعر !!  
وقال فيه حين أرخ انتصاره على الوالي السابق واستاد ولاية بغداد له  
وقد تعرض لذكر الوالي السابق ودفاعه عن نفسه :  
بشراك بشري بما تهوى قضى الزمن والجد منك على " والرجا حسن

\* \* \*

أردت حقن دماء المارقين ولكن العصاة أرافقوه وما حقنوا  
ظنوا الحصون عن القدر مائعة أمانع من قضاء القاهرة الحصن ؟  
ما نفوا عن (سعيد)<sup>(٥٣)</sup> ما تأنفه اذ خال فيهم دفاعا رأيه الزمين  
استودع الملك لا أهلا فساد به رعيا ، أذنب على الأغnam يؤمن<sup>(٥٤)</sup> ؟

ويخرج عنمان بن سند عن حسه العربي بتأثير الزنجي لهذا الوالي  
فيجدد بثورة عشرات الدليم على داود سنة ١٢٣٣هـ ، وكان داود قد قضى على  
هذه الثورة بقوة الانكشارية ، فيقول :

هو القرم صلت في الرؤوس مناصله فسلّ مناوئيه وثل مقاتله  
مناصل ما سلت على غير معتد غشوم يرى أن يدفع الحق باطله

(٥٢) مطالع السعود - الورقة ٣ .

(٥٣) هو سعيد بن سليمان الكبير . راجع الفصل السياسي في  
بحث المالك .

(٥٤) مطالع السعود - الورقة ١١٢ - ١١٤ .

غزا فرقة أموا الضلال فاذعنوا لدن ما صعthem أسد وفنا به<sup>(٥٥)</sup>

وزير به عاد الهدى سامي الذرى وأبيض سفاح العطاء وشامله  
رأى من (دليم) نفرة ففجز them  
ـ الى أن أجابوا عن صغارـ جحافله<sup>(٥٦)</sup>

وماذا بقى لطلاب الحق بعد هذا الضلال والباطل والصفار الذى وسم  
به النازرون العرب؟

وحيث أرخ حرب داود مع الدولة الايرانية سنة ١٢٣٧-١٢٣٨ هـ  
١٨٢١ وهي الحرب التي لم يعملا فيها جيش الدولة العثمانية شيئاً مثل ما  
عمل بعض عشائر العراق<sup>(٥٧)</sup> ، رأى عثمان أن يسجل مع التاريخ قصيدة  
يشير بها الى هذه الحرب فتجاوز الواقع حين نسب الانتصار الى داود ،  
وتناول الايرانيين من زاوية العقيدة لا من زاوية الخلاف السياسي القائم بين  
الدولتين ، فقال :

تاج العلا داود والصدر الذى بسعده صدر الوزارة أعظم  
من كتبه فى المارقين كاتب كل باع تهزم

قل للروافض كيف ذقتم طعنهم أمحاج نحل طعمه أم عقم<sup>(٥٨)</sup>  
ما أن زجرتم شاهكم عن بغيه بل صلتם لم تعرفوا من أنت  
وبحفتم بخيسكم كى تملکوا بغداد فانقلب البار عليكم

ولكنه رأى من غير المناسب ألا يذكر يد العشائر في دحر القوات  
الايرانية فقال موجها خطابه الى (صفوق بن فارس) رئيس شمر :  
يا شمير يا رأينا من مواهبه ما ليس يحصره طرس ولا قلم  
انى مدحت لسمعي عنك ما قصرت عن أن تجاريه في سمه الديم

(٥٥) ماصع بمعنى قاتل وجالد .

(٥٦) مطالع السعدود الورقتان ١١٦ و ١١٧ .

(٥٧) راجع ص ٥٤ .

(٥٨) مطالع السعدود الورقة : ١٣٦ - ١٣٤ .

وحتى في هذه الآيات لا ينسى داود ، ولا يرى لصفوق ما يمدح عليه  
غير نصرته لهذا الوالي :

لكتني رجل أهوى الكرام ومن كانوا لخير وزير في الورى خدموا  
اذ كت افرغت وسعا في نصيحته و كنت قاضيه لما بعنى العجم<sup>(٥٩)</sup>  
وفي الثورة القبلية التي بدأت في الحلة سنة ١٢٤٠هـ وانتقلت الى  
( عفك ) سنة ١٢٤٢هـ وانتهت بانصار داود<sup>(٦٠)</sup> يستبشر عثمان باندحار  
الثائرين ويمدح الوالي المنتصر فيقول :

بريد النصر باكرنا فهنا وزيرا هز للعلياء فما  
أبار من الروافض كل هام بأسيف يربن القتل سنا  
داعهم للهداة فاشمأزوا فادوا متلما بادت ثمود  
ولكن بالسيوف ضحكن سنا فأعلى وزير طال مجدًا  
وأعطته الليل ما تمنى تهناً بالذى أعطياك مولى حبك بنصره فعمت منا<sup>(٦١)</sup>  
وقد بالغ الشاعر هنا باللغة عاطفية ضيقة الشعور لأن هذه الثورة كان  
من زعيماتها قاسم الشاوي ومحمد الكتخدا نفسه وليس كل المحرضين أو  
الثائرين من الشيعة كما أوحىت إليه عطفته ، ولكن اندفاعه إلى هذا الحد  
ناشئ من أن الثورة كانت في مناطق شيعية مضافاً إلى ذلك كونه متعصباً تعصباً  
شديداً ينسنه في أكثر المواقف أن هؤلاء عرب وأنهم طلاب حق .

ولا أريد أن أطيل الوقوف مع الشيخ عثمان بن سند فإن شعره في  
داود أكثر مما ذكرته ، وإن الذي اخترته أهم ما فيه من الناحية الموضوعية .  
ومن أكثروا من مدح داود :

**الشاعر الشيخ صالح التميمي :**

فقد كان التميمي<sup>(٦٢)</sup> يعد الشاعر الخاص لداود وكان رئيس ديوان

(٥٩) المصدر السابق - الورقة ١٣٧ .

(٦٠) راجع ص ٦١ و ٦٢ .

(٦١) مطالع السعود - الورقة ١٥٧ .

(٦٢) ولد التميمي سنة ١١٩٠هـ وتوفي سنة ١٢٦١هـ ١٨٤٥ م  
وكانت دراسته الأولى في النجف .

الانشاء العربي في حكومة هذا الوالي ، وقد تصدى لتسجيل أعماله وحربه مع ايران + ومع القبائل والمدن العراقية ، وكان داود نفسه لا يعتمد على غير هذا الشاعر<sup>(٦٣)</sup> في المناسبات التي تحدث من قرمي مسجد أو بناء جامع فيطلب منه أن يؤرخ تلك الاعمال<sup>(٦٤)</sup> ولقد كان التميمي كغيره من الشعراء مبالغًا مسرفًا في مدح داود بل كان موقفه من التورات القبلية موقفًا لا يدل على شيء سوى النزولان في موقد الحكم ، وعلى ما في شعره من قوة وسلامة كان في طبيعة الشعراء الذين ساروا في ركب الولاية واندفعوا مع التيار فأكثر من مدح داود في حربه ومعاركه وأسرف في تمجيد موافقه من قمع الحركات والتورات الداخلية وندد بالقبائل التي كانت تتمرد وتثور على الوالي ونظر إليها كما ينظر الخصم إلى خصمه . ولقد كان شعره في حروب داود ووقائعه مع الفرس أو القبائل العراقية يصطبغ بالدماء ويتلون ببريق السيف ويزخر بالكلمات المجلجلة الصاخبة كأنها غارات وكثير<sup>(٦٥)</sup> . ومن ذلك قصيدة نظمها في الحوادث التي وقعت بين العراق وأيران في ستيني ١٢٣٧-١٢٣٨ هـ ١٨٢٣-٢٢ م وهي قصيدة عامرة الأسلوب وقد تناول فيها الفرس من زاوية الجنس وعابهم بالديانة المجوسية القديمة ووازن بينهم وبين الترك في الشجاعة والحروب ففضل الترك عليهم ، وفيها يقول :

بطلعتك الزوراء أشراق نورها  
فاعيادها أيامها وشهورها  
لعمرك ما زاغت عن الرشد أمة  
إذا كان عن داود تلى زبورها  
حمى جانبها وال伊拉克 بسطوة  
يمينا إلى طهران وافي نذيرها

(٦٣) كان داود يسميه ( سيد شعراء عصره ) . راجع : المسك الاذفر - محمود شكري الالوسي ص ١٤٩ .

(٦٤) في ( تاريخ مساجد بغداد وآثارها ) محمود شكري الالوسي - نماذج من هذا الشعر .

(٦٥) مدح التميمي داود قبل أن يكون واليا وذلك عندما ذهب إلى خزاعة وأخضعاها سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م . راجع : ( ديوان التميمي ) ص ٣١ .

سرت قبلها عقابها ونسورها  
سجودا ، كذا دين المجروس سعيرها  
الى النار فى يوم الجزاء مصيرها  
يقيها ولا حصن حصين يجيرها  
برد مواضيها ولا ازديادها  
وفي الحق أن الإيرانيين لم يردهم داود ولا كخداء المنهزم ، ولا  
ضباطه المالكين ولا جيش الترك ، وإنما ردهم العرب ، ولو أن الشاعر جرد  
هذه القصيدة من مدح داود والترك وكانت من خيرة الشعر القومي ولكنه  
جمع فيها هذا الخلط المتباين وأفرغها في قالب المدح وحده وقد استمر فيها  
مادحا داود وأعماله الحربية وبالغ وأسرف في المبالغة<sup>(٦٦)</sup> .

ونظم قصيدة أخرى مشيرا إلى الصلح الذي عقد بين الدولة وإيران  
في هذه الحوادث وكان قد توسطه رجال الدين سنة ١٢٣٧ هـ ١٨٢١ م قبل  
المعركة الثانية فقال يخاطب داود :

بحمل من الله المهيمن موثق  
متى وطنها الشمس بالتفع تفرق  
ملاحم ترى فيلق بعد فيلق  
لتسعى على أعقاب شمل مفرق  
فلم تبق فيهم غادة لم تطلق  
منت بصلاح صادر عن تفرق<sup>(٦٧)</sup>  
ملكت الورى مستمسكاً بعد همة  
سل الفرس مذ جرت اليك كتاباً  
ملاحم وافت من خراسان أثرها  
لقد جمعت من كل قطر وانها  
فاكترتهم في حيهم بكيبة  
ومذ جنحوا للسلم والصلح طاعة

ونرى التحرير واضحًا في شعر التعميمى إذ يطلب من داود أن يجعل  
سيفه بين يديه في معالجة الأمور وألا ينسى بذلك المال والثأر أيضًا :  
لا يبلغ الملك المتوج قصده الا اذا جعل الخزان معبرا  
أدراك من شرف به فقت الورى  
فامدغه بالغضب المهد واكسرها  
واذا رأيت البغي رافع رأسه

(٦٦) ديوان التعميمى - ص ٤٠ - ٤٢ .

(٦٧) ديوان التعميمى ص ٨٨ .

هذا العراق وأنت فيه مفرد فانظر امورك بالأنى تقدرا<sup>(٦٨)</sup>  
والى هذا الجد قد يهون الامر في تفسير مدائح التميمي في داود ولكن  
قصائده في التورات القبلية ليست ذات اتجاه مقبول شأنه في ذلك شأن  
معاصريه من الشعراء الذين لم يكن هدفهم غير التقرب والزلفي وأخذ  
الجوائز وان كانت سيرة ، ومن شعر التميمي في هذه الحوادث ما قاله في  
المعارك التي وقعت بين قبائل عنزة وشمر سنة ١٢٣٩هـ ١٨٢٣ م وكان داود  
في هذه المعارك بجانب شمر لأنهم آذروه في محاربة الفرس<sup>(٦٩)</sup> + وما  
كانت قبائل عنزة<sup>(٧٠)</sup> من يكر بن وائل فان الشاعر استهل قصيده  
بالاستخفاف والاستهانة ببكر بن وائل كلها فقال :

سلاوا حى بكر أين قوض وائله وفي أى أقطار تولت قبائله ؟  
تصابت الى ماء العراق وما درت وما كل مفتون بليلي ومفترم  
تجافت عن القيصوم شوفاً لباسق تؤمل من دار السلام سلامه  
فعارضها من أفق بغداد عارض نلانون شهراً قاتل الفرس لم تطش  
أبي الله الا أن تيد زلزله مراميه عن أكباد قوم تقاتله<sup>(٧١)</sup>

ان هذا الاسلوب الرائع الجميل يضيع في فكرة غير مقبولة ،  
اذ يرى الشاعر أن قبائل عنزة لا يجوز لها أن ترد مياه العراق ، بل تبقى  
في باديتها بين الشيغ والقيصوم ، وانها لا يحق لها أن تسكن في أى مكان  
من العراق الذي استباحته سيل من الترك والمماليك والفرس !!  
ولقد كان التميمي وفيا لداود حتى بعد أن انطوى حكمه من العراق

(٦٨) المصدر السابق ص ٤٢ و ٤٣ .

(٦٩) راجع ( مطالع السعود ) الورقتان : ١٤٠ و ١٥١ .

(٧٠) قبائل عنزة منتشرة في العراق من البصرة إلى الشمال على  
سقى الفرات الغربي وقد تفرعت إلى أخذاد كثيرة يقيم بعضها داخل  
العراق . ومنها أخذاد في نجد وسوريا .

(٧١) ديوان التميمي ص ١١٤ .

وسفر الى الاستانة ، ومثال ذلك جوابه على القصيدة « الخالية »<sup>(٧٢)</sup> ، التي أرسلها داود الى شعراء العراق ليباروها بباراها بعضهم وأبى التميمي أن ينسج على منوالها ولكنه أرسل الى داود قصيدة يعتذر فيها عن هذه المجازة ويتنمى عودة داود الى العراق ، وقد جاء فيها :

عهدناك تعفو عن مسىء تعذراً ألا فاعفنا عن رد شعر تصرنا  
نم يشرح أسباب اعتذاره بالأسلوب فنـى يدل على ذوق وملكة أصيلة<sup>(٧٣)</sup>  
ويقول بعد ذلك :

قدع ذا ولكن اسأل الله بالذى دنا فتدلى ثم بالوحى أخبرنا  
 بشيراً يوافى باللقاء ، وطالما يوافى رسول بعد يأس مبشر<sup>(٧٤)</sup>  
 وهذه الآيات تدل على ما لداود من أثر في نفس التميمي وعلى ما له  
 من صلة بالشعر والأدب حتى في منفاه .  
 ومن الشعراء الذين مدحوا داود :

#### الشاعر عبدالباقي العمري :

ولكن العمري لم يكن من شعراء داود لانه كان آنذاك في الموصل  
 ولم ينتقل الى بغداد مقينا فيها الا في ولاية على رضا الذي جاء لانهاء حكم  
 المالك ، لذلك كان شعر العمري في مدح داود لم يتجاوز قصيدة واحدة  
 وبضعة أبيات في بعض المناسبات ، ومن هذه الآيات قوله متشفعا لدى داود  
 ليساعد على تعين يحيى الجليلي واليا على الموصل :  
 يا ملـيك الـبلاد أمنـيـتـي حـا شـاكـ مـثـلـي يـعـودـ منـكـ كـسـيرـاـ

(٧٢) هذه القصيدة نظمها الشاعر اللبناني بطرس كرامه وقدمها الى داود في الاستانة ، وأولها :

أمن خـدـها الـورـديـ اـفـتـنـكـ الخـالـ فـسـحـ منـ الـاجـفـانـ مـدـمـعـكـ الخـالـ  
 وسمـيتـ الخـالـيةـ لـأـنـ كـلـ قـوـافـيـهـ جاءـتـ عـلـىـ كـلـمـةـ الخـالـ مـخـتـلـفـ الـمعـانـيـ .

(٧٣) ستائى هذه الآيات في الفصل الخامس .

(٧٤) راجع هذه القصيدة في ديوان روض الخل والخليل ديوان السيد عبدالجليل الطباطبائي ص ١٧٢ طبعة مصر و ٢٥٣ و ٢٥٤ طبعة الهند . وفي ديوان التميمي ص ٥٦ - ٥٧ .

أنت هارون وقته ورجائى أن أرى فى حماك يحيى وزيرا<sup>(٧٥)</sup>  
 ولا شئ فى هذين اليتين غير الرجال ، وتنبيه داود بهارون الرشيد ،  
 والتورىة بين يحيى الجليل ويحيى البرمكى .  
 وأما القصيدة فهى التى نظمها مجازيا بها القصيدة « الخالية » التى  
 مرت الاشارة إليها ، وقد جاء فى قصيدة العمرى قوله :  
 الى الروم أصبوا كلما أومض الحال فاسكب دمعا دون تسکابه الحال  
 وعن مدح داود وطيب ثنائه فلا القد يتثنى ولا الخد والحال  
 ويشير فى هذه القصيدة المتلکفة الى أيام داود فى العراق :  
 عفا الله عنه قد عفت بعد بعده من البلدة الزورا المعالم والحال  
 وهيات ما دار الرصافة بعده ولا الكرخ الا السبب القفر والحال  
 ولكن العمرى يحتاط ويستدرك لأن حكمه هذا مما يغضب الوالى  
 الموجود آنذاك وهو محمد نجيب فيقول :

ولكن بهذا العصر أمست كجنة بها تباهى ربوة الشام والحال  
 ورضوانها اليوم النجيب مشيرها يحافظها مولى عليها هو الحال<sup>(٧٦)</sup>  
 والقصيدة هذه تألف من ستة وعشرين بيتا<sup>(٧٧)</sup> .

ومن الشعراء الذين مدحوا داود :

#### الشاعر عبدالغفار الراخس :

وقد كان الراخس شابا صغيرا عند تولية داود الحكم ، وكان عمره  
 حوالي السابعة والعشرين حين انفصل داود عن الولاية ، ومثل هذه السن  
 لا تتيح للشاعر أن يشق طريقه بين شيوخ الشعراء لينال من هذا الوالى

(٧٥) ترجم مشاهير الشرق - ص ٢٥٠ ج ٢ - ط ٣٠ و (التریاق الفاروقی) ص ٤٤٩ .

(٧٦) الحال الاولى : البرق ، والثانية : السحاب . والثالثة : الشامة . والرابعة : الانر . والخامسة : المكان الوحش . والسادسة : مكان بالشام . والسابعة : القائم .

(٧٧) راجع - (التریاق الفاروقی) ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

الخطير مكانة تثير شاعرته لل مدح والاطراء غير أنه ركض مع الراكتين  
وصفق مع المصففين فسجل في ديوانه صورة من المدح (٧٨) بعث بها إلى  
هذا الوالي بعد أن سافر إلى الاستانة وقد جاءت هذه الصورة في قصيدة  
طويلة بدأها بمقيدة بدوية النسج والخيال وأولها :

بوادي الغضا للملكية أربع سقطها الحبا منا جفون وأدمع

وتستمر هذه المقدمة في أربعة وعشرين بيتاً تعقبها صورة ثالثة على  
الحياة والأقدار كثأنه في معظم قصائده ومنها :

أراني مقينا بالعراق على ظما ولا منهـل للظائمين ومرتع  
وكيف بورـد الماء والماء آجن بل به هذا الغـيل وينـع ؟  
ويصف نفسه متخلصاً إلى مدح داود :

كأنـى صـفـة زـادـهـاـ الـدـهـرـ قـسوـةـ منـ الصـمـ لاـ تـبـلـيـ ولاـ تـصـدـعـ  
فـسـالـتـ حـرـبـ التـاثـلـاتـ فـلـمـ تـرـزـلـ تـقـودـ زـامـيـ حـيـثـ شـاءـتـ فـاتـبعـ  
وـكـنـتـ اـذـ طـاشـتـ سـهـامـ قـسـيـهاـ وـقـتـيـ الرـدـيـ منـ صـنـعـ (داـودـ)ـ أـدـرـعـ

وقد تمنى الآخرين في هذه القصيدة عودة داود إلى العراق أو أنه  
نفسه يذهب إلى أرض الروم فيلم أقدامه !! :

أـبـاـ حـسـنـ هـلـ أـوـبـةـ بـعـدـ غـيـرـ فـلـلـدـرـ فـيـ الدـيـاـ مـغـبـ وـمـطـلـعـ  
وـانـىـ عـلـىـ خـصـبـ الزـمـانـ وـجـدـهـ إـلـىـ وـانـ شـطـ المـزارـ لـأـمـرـعـ  
وـلـوـ أـنـىـ وـقـتـ لـلـخـيـرـ أـصـبـحـ يـاقـيـ بـأـرـضـ الرـوـمـ تـحدـيـ وـتـسـرـعـ  
إـلـىـ مـالـكـ مـاـ عـنـ مـكـارـمـهـ غـنـىـ وـغـيـرـ نـدـىـ كـفـيـهـ لـاـ أـتـوقـعـ  
فـأـلـمـ أـقـدـامـ الـوـزـيـرـ الـتـىـ لـهـاـ (٧٩)

---

(٧٨) للاخرين أبيات طلب فيها من داود أن يتسبب في معالجة  
لسانه . ومنها :

هـذـاـ لـسـانـيـ يـعـوـقـ ثـقـلـ وـذـاكـ عنـدـيـ مـنـ أـعـظـمـ التـوـبـ  
فـلـوـ تـسـبـبـتـ فـيـ مـعـالـجـتـيـ لـنـلتـ أـجـراـ بـذـلـكـ السـبـبـ  
وـقـدـ أـرـسـلـهـ دـاـودـ إـلـىـ الـهـنـدـ وـلـكـنـ الطـبـيـبـ حـذـرـهـ مـنـ الـمـعـالـةـ لـأـنـهـ قدـ يـشـفـيـ  
وـقـدـ يـمـوـتـ ،ـ فـقـالـ :ـ لـاـ أـبـيـعـ كـلـيـ بـعـضـيـ .ـ رـاجـعـ (ـالـمـسـكـ الـأـذـفـرـ)ـ صـ ١١٧ـ .ـ  
(٧٩) رـاجـعـ هـذـهـ قـصـيـدـةـ فـيـ (ـالـطـرـازـ الـأـنـفـسـ)ـ صـ ٢٤٩ـ -ـ ٢٥١ـ .ـ

ولا أدرى فعل داود كان ملء النفوس في ذلك الوقت والا فكيف  
يتنزل شاعر ثائر علوى النسب الى ثم أقدام هذا الوالى الملعون؟ على انا  
لا تستبعد مثل هذا من شعراء ذلك العصر مهما كان فخرهم بأنفسهم .

### شعراء متفرقون :

وقد مدح داود شعراء كثيرون في بغداد والحلة والنجف ، ومنهم  
السيد حسين بن سليمان الحكيم الحلبي فقد استوحى نورة القبائل في (عفك)  
سنة ١٢٤٢هـ ونظم قصيدة فيها شماتة بالملوكيين وثناء على الوالي الغالب وقد  
جاء فيها قوله :

خليفة هذا الدهر داود من غدت شكيمة هذا الدهر في يده يعني<sup>(٨٠)</sup>  
ثم يقول له :

واضحكك سن الدهر من شيخ حمير وباهلة من بعد ما ملئوا حزنا<sup>(٨١)</sup>

ومن الواضح أن الشاعر أسبغ على داود لقب الخليفة دون أن يلتفت  
إلى أن الخليفة في الاستانة وهو سيد داود وأمثاله .

ومنهم الحاج مسعود الأزرى وقد جاء في قصيدة له :

تذل لداود الملوک جلاله وتلثم منه موطی النعل بالفم<sup>(٨٢)</sup>

ومنهم الشيخ ابراهيم قبطان النجفي ، وفي قصidته اشارة الى صلة  
داود بعلماء النجف<sup>(٨٣)</sup> .

(٨٠) راجع هذه القصيدة في (شعراء الحلة) ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ج ٢ .

(٨١) يربى بشيخ حمير (قاسم الشاوي) . وباهلة من عشائر  
عفك ، ومن الطريف ان عبدالنبي البغدادي جمع بعض زعماء التائرين في  
بيت ركين فقال :

نادي محمد ، رستم ، يا صالح يا قاسم الشاوي جميما نشد !!  
والملصود محمد الكتخدا ، ورستم آغا ، صالح اخو شوكة حاكم الحلة  
المؤقت . (ديوان مزيد السرور ومزيد الحزون) الورقة ١٠ من نسخة  
يعقوب سركيس .

(٨٢) مجموعة الشيخ محمد رضا الشيببي .

(٨٣) راجع (شعراء الغرب) ص ٥٥ ج ١ .

ومنهم السيد عبدالجليل الطباطبائى البصري وليس فى شعره ما يستحق الذكر (٨٤) .

### الوالى على رضا :

وهذا الوالى كان نصيحة من الشعر كثيرة ، وكان موقف الشعراه منه كموقفهم من داود فهم معه فى كل حادنة ونورة ، وهم الى جانبه فى كل عمل ، ان غرب نحو الاكراد هلوا له وكبروا ، وان شرق نحو القبائل العربية زمروا وطلعوا !! وهم فى كل ما نظموه كانوا حربا على بلادهم واخوانهم وبوقا صاحبا لهذا الوالى الذى كان يخدعهم بالسمة الساخرة ، ويقربهم بأساليبه المختلفة وان كانوا لا يحتاجون الى تهريب !! ومنهم :

### الشاعر الشیخ صالح التميمي :

الذى أكثر من مدائح على رضا ورافق أيامه وحوادنه كما رافق أيام داود ، ولم تقف به كهولته موقف التبصر والتزير في الحوادن القبلية والثورات التي اريقت فيها الدماء جزافا ، بل اندفع الى اطراء هذا الوالى والاشادة بحروبه الى حد بعيد ، ولعل أول قصيدة يمكن أن تجعل بداية الاتصال بين الشاعر وهذا الوالى قصيده التي استعرض فيها ظفره بدواود ، وقد دلت على وفاة التميمي لمدحه الاول وعلى ضخامة الاثر الذي تركه داود في نفوس الشعراه ، قال :

فوارع خطب لا يفك اصطلامها  
لو ظفرت فيه نزار ويعرف  
فيما هيأج ، والذمام ذمامها  
لما جله قبل الخطاب حمامها  
على أنه ما مد كف مسالم  
وترتكب الامر العظيم عظامها

(٨٤) راجع : روض الخل والخليل . ص ٥١ - ٥٣ و ١٦٨ - ١٧٩ طبع مصر .

واعلم حها اتنى ان ختمها <sup>(٨٥)</sup> بذكر على قيل مسك ختمها

وقد جمع الشاعر بين النهويل فى خطر داود على الدولة ، وخطر الوالى الجديد . فى سمو نفسه حين عفا وصفح عن داود .

وعندما هوجمت امارة راوندوز فى الشمال سنة ١٢٥٢هـ ١٨٣٦م <sup>(٨٦)</sup> واكتسح على رضا قلعة أربيل الواقعة في الشمال أيضاً رأى التميمي أن يسجل هذه الحادثة فنظم قصيدة يهنىء بها الوالى ويُمجِّد قوته ، وقد وصف قلعة أربيل وصفاً بارعاً وشهاً بعمورية التي فتحتها جيوش المعتصم العباسى فقال :

فتح أربيل ما أبقى لها أثرا  
بقطر أربيل عن ادراكها قصرا  
عيناك فالصدق مقرون بمن نفرا  
عليه سورة نصر الله فانتصرا

لا ترو عن فتح عمورية خبرا  
لو أن معتصماً تعدوه صارخة  
دع ما سمعت وحدث بالذى نظرت  
ما فوق فتحك الا فتح من نزلت

أما قلعة أربيل فهي :

قد كاد يبلغ حد الكفر أو كفرا  
ولامع البرق مع ارجانها استرا  
الا ويقبح من حفاتها شررا  
وليس في أرضها ما ينبع الشجرا  
لكن سيفك أجرى بالدماء نهراء  
سما « على » له بالكسر فانكسرها  
يوماً تجارتـه بل إنـها خسرـا  
فالصدر تلهـ بالكردي ما صدرـا <sup>(٨٧)</sup>

سماء سامية الاعلام غاصـها  
غمامة لا يدانـها الفعام عـلا  
ما صافـح الريح من أركـانها حـجر  
ما في جوانـها ماه لـدى ظـمـا  
مـذ كانت الـارضـ ما فيها جـرى نـهرـ  
كـانتـ هـى «ـ المـهلـ» الـاعـلـى وـكمـ صـنمـ  
وـانـ منـ خـالـفـ السـلـطـانـ ما رـبـحتـ  
لو طـارـ سـهمـكـ فيـ اـرـبـيلـ عنـ هـدـفـ

واذا تركـناـ المـبالغـ الـتـيـ حـشـدـهاـ التـيمـيـ فـانـ ماـ بـقـىـ

• (٨٥) ديوان التميمي - ص ١٢٩ .

• (٨٦) راجع ص ٦٣ .

• (٨٧) ديوان التميمي - ص ٥٢ و ٥٣ .

فيها صورة واقعية لقلعة أربيل في كونها قائمة على قمة جبل قليل الماء ، أما ان سكانها غاصبون لها وانهم قد بلغوا حد الكفر أو كفروا لتمردهم على الوالي فذلك من رأى الشاعر ومن يساكله !! وقد شبه هذه القلعة بهبل وهو الصنم المشهور في مكة ، واستعان بالتوربة بين الوالي على رضا الذي احتل هذه القلعة وبين الامام على الذي شارك النبي (ص) في تحطيم الاصنام .

وكانت حادثة (المحمرة) سنة ١٢٥٣هـ ١٨٣٧ م واحتلالها من قبل على رضا وجيشه وأتباعه من العشائر العراقية<sup>(٨٨)</sup> ذات أثر في شاعرية التميمي فقد أشاد بانتصار هذا الوالي على قبائل (كمب) في جنوبى البصرة وطرد زعميهم من مشيخة المحمرة نفسها ، وقد أثر عن التميمي البيت الآتى :

دع التفاصيل واسألي عن الجمل  
هذا على وهندي وقفه الجمل<sup>(٨٩)</sup>  
ويظهر من هذا البيت انه مطلع قصيدة لم تكمل او انها كملت ولكن ضاعت فيما صاغ لهذا الشاعر ، غير أنه أفرغ طاقته الشعرية فى قصيدة تناول فيها هذه الحادثة تناولا يرضى هذا الوالي ومن سار فى ركباه ، وقد جاء فيها قوله :

وكم قلعة بالمرهفات حصينة كما حضنا بالخدر عذراء كاعبا  
جلبت لها من شاسع الدار شاحط كاتب للهجاء ترجى كائبا  
ويشير الى جيش على رضا الذي جاء به من الشام واستعلن به على  
أخذ المحمرة فيقول معبرا عن كاته :  
تجافت عن (العاصى) وعن عذب مائه  
وشوقا بـ (كارون) استساغت مشاربا<sup>(٩٠)</sup>

(٨٨) راجع ص ٦٣ .

(٨٩) مجموعة الشيخ محمد رضا التبيّبى .

(٩٠) العاصى : نهر معروف فى سوريا : وكارون : نهر فى عربستان يصب فى شط العرب .

وصالت فما أبقيت عدوا محاربا  
ربعة يوم الفخر نافس حاجها  
بها نشرت بضم الخدد ذواها  
لها بالردى خطب يهول المغاربا  
منازلهم بعد الأئس سبابا<sup>(٩١)</sup>  
ويهنته باتصاره على قبيلة (خراوة) في الفرات الاوسط بأكثر من  
قصيدة واحدة ومن ذلك قوله :

أقمت باكناف الخورنق موسمًا  
قبائل لم تجتمع الى السلم عادة  
على انها ما زارها ذو وزارة  
بانشاء أهل البغى قد صار موسما  
فالحقتها طسما وعادا وجرهما  
لعمرك قبل اليوم الا توهما<sup>(٩٢)</sup>

وهذا اعتراف صريح من الشاعر بأن هذه القبائل كانت لا تخفي يأس  
الحكومة ولا ترعب الولاة ، وقد يكون التميي أراد تعظيم الوالي وتمجيد  
قوته التي استطاعت أن تخضد شوكة هذه القبائل القوية ، وهذا النوع من  
التصوير مألف في الشعر القديم ، وهو التهويل بالعدو وتضخيم قوته نم  
القضاء عليه ، لثلا يقال أن المدوح انتصر على خصم ضعيف ٠

وفي حادثة الاستيلاء على العمادية في الشمال وسجن حاكمها الكردي  
اسمعيل البهديناني في بغداد<sup>(٩٣)</sup> - وكانت هذه بعد الاستيلاء على امارة  
راوندوز واحتلال أربيل والمحمرة - وجد التميي مناسبة لمدح علي  
رضا فقال :

على لوازنك خط النصر والظفر جرى القضاء بما قد خط والقدر  
فاسعد بفتح قشت فيه السعوض له يوم أغر من الأيام مشهور

(٩١) ديوان التميي - ص ١٩ و ٢٠ ٠

(٩٢) المصدر السابق - ص ١٣٠ ٠

(٩٣) راجع ( خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ) ص ٢٤٨ من  
الترجمة العربية ٠

قد يقبل العذر لكن ما عملت بما  
والى العمادية المخدول يعتذر<sup>(٩٤)</sup>  
كم في (المحمرة) العبرى له عبر  
ان لم تفده ففى (اربيل) يعتبر

\* \* \*

لکنه (جابر) الثاني طفى ويفى      وغاية البغى كسر ليس ينجر<sup>(٩٥)</sup>  
وجابر هو أمير المحمرة المغلوب ، ولا شك أن ذكر المحمرة في هذه  
القصيدة يعين على معرفة تسلسل هذه الحوادث التي كادت أن تغمس  
في ثنيا التاريخ .

وقد كرر التميمى وصف هذه الحوادث التي انتصر بها على رضا فى  
هذه المناطق ومدحه بهذه المناسبات فى قصائد متعددة<sup>(٩٦)</sup> .  
وقد سجل فى قصيدة أخرى حركة قائل (عنزة) حول بغداد للرد  
على سياسة هذا الوالى وسوء تدبیره فقال :

فإن سمعت أذناك عن نسب العلا      لغير على فالعلا غير لائق  
ضررت على صحن العراق سرادقا      غدت جنة اكرم بها من سرادق  
رغمت بها آناف بكر بن وائل      فلم يبق منهم ذو شفاظ ومامقى<sup>(٩٧)</sup>  
وإذا كان الوالى قد شتت هذه القليلة وأبعدها عن بغداد فإن العراق  
لم يكن جنة في أيامه ولا في أيام غيره .

وبعد انتقال علي رضا من بغداد الى الشام سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٣-١٨٤٢ م  
بعث اليه التميمى بقصيدة فيها شوق له وذم من جاء بعده ، ومنها :  
أيام غيرك قد أكدى بها أملى      عسى بأيامك القدر تسمح لي  
لم يبق بعدك في الزوراء ذو كرم      يرجى ولا لبني الآداب من أمل<sup>(٩٨)</sup>  
ومن الذين مدحو علي رضا :

(٩٤) هكذا ورد البيت وفيه شيء من غموض التعبير .

(٩٥) ديوان التميمى - ص ٥١ .

(٩٦) راجع المصدر السابق - ص ٤٧ و ٤٨ و ٧١ و ٧٢ و ١١٠ و ١١١ .

(٩٧) المصدر السابق - ص ٩١ .

(٩٨) راجع المصدر السابق - ص ١٠١ و ١٠٢ .

الشاعر عبدالباقي العمرى :

فقد كان عبدالباقي ذا صلة وثيقة بالوالى على رضا وقد توطدت مكانته السياسية في أيامه ، وقد نافق كغيره من الشعراء وملاوياً السياسة في قصائد غير سيرة ، وكانت أهمها قصيدة التي نظمها عند الاستيلاء على ( المحمرا ) لانه رافق الوالى في هذه الحملة الصارمة وشاهد عن كثب تلك المعركة التي أسفرت عن انتصار الوالى وهزيمة قبيلة ( كعب ) وأتباعها . وقد حشر العمرى في هذه القصيدة بعض العوامل الدينية فنظر الى التأثيرين من زاوية التشيع ، ونسى أنهم عرب وأن نورتهم أو تمردهم انما كان بدافع قبلى كالذى حدث من غيرهم في العراق ، ونسى أيضاً ان الوالى الذى مدحه كان يتسبّع لعلي وأولاده ومن المشجعين على مذبحهم ورثائهم ، أما القصيدة فهى طويلة وقد جاء فيها :

فأضحت بتسيير الآله مدمرة  
لقد أخلصت صقلاء يد الله جوهره  
وليس لعظم قد كسرناه مجراه  
وخلق قطاطير الترات المقطورة  
نزلت بهم أقدامهم متغرة  
من الله شيئاً في القضايا المقدرة

فتحنا بحمد الله حصن المحمرا  
بسيف على ذى الفقار الذى لنا  
وجابر أورتاه كسراً بكعبه  
غداً هارباً يبغى النجاة بنفسه  
على ساقها قامت لكمب قيامة  
فلم تغن عنهم مانعات حصونهم

\* \* \*  
غدوا طعنة للسيف الا أفلهم      قد اتخذوا من شط (كارون) مقبره

\* \* \*  
سقى (الرفض) ساقى الحوض كأس منه  
غداة وردنا بالمسيرات كوتره  
وأمست (بنو النصار) والرفض دينها  
على ما دهاماً من على مفكره

وخير ما في هذه القصيدة أنها سجلت أسماء المحاربين من الجيوش  
والقبائل العربية التي آزرت الوالى ومنهم (الارتاؤد) الذين جاؤا معه ،

وقبائل زيد ، والشواوى ، وعقيل ، وطىء ، والمنتقى . ولقد كان هذا النصر  
بكرامة الشيخ عبدالقادر الكيلانى لا بالقوة والمدافع والقبائل !! :  
وطار بسر (الباز)<sup>(٩٩)</sup> صيت عقابنا  
لهم فعدت شيراز منهم مطيره

أما الوالى في الخاتم :

فلا زال منصور الجيوش مؤيدا وأحزابه فى كل حرب مظفره<sup>(١٠٠)</sup>  
ومن الشعرا الذين مدحوا هذا الوالى :

الشاعر الآخرس :

وتدل القلة الموجودة فى شعر الآخرس على أن صلته بالوالى على رضا  
لم تكن ذات شأن ولم ترده المستمر على البصرة وبعده عن بغداد فى  
معظم الاحيان قد يكون سببا فى قلة ما نظم فى مدح هذا الوالى .

وقد يكون له فيه مدائح ولكنها لم تدون اذا كان ديوانه المطبوع  
بعض ما نظم<sup>(١٠١)</sup> ، غير أن المطبوع لم يخل من مدح هذا الوالى عرضا  
وفى سياق مناسبات لا تخصه بالذات ، كالقصيدة التى نظمها الآخرس فى  
مدح أبي الثناء الآلوسى عندما ولى منصب الافتاء سنة ١٢٥٠هـ برغبة من  
علي رضا وقد جاء فيها قوله :

للله ما هذا الوزير انه (على) المولى جاك بالرضا<sup>(١٠٢)</sup>  
م عمر بغداد فى احسانه من بعدما ابادها رب الوباء<sup>(١٠٣)</sup>  
وراض أهل البغى بالقتل فلن تسمع فى ديارهم الا الوعى<sup>(١٠٤)</sup>  
وقد كرر هذا المعنى فى قصيدة اخرى موجهة الى الآلوسى  
أيضا ، ومنها :

(٩٩) يزيد به (الباز الاشهب) وهو من ألقاب الشيخ عبدالقادر .

(١٠٠) راجع (الترىاق الفاروقى) ص ٢٣٩ - ٢٤٢ .

(١٠١) المسک الاذقر - ص ١١٩ .

(١٠٢) مرت من هذه المقصودة أبيات فى الفصل الثاني .

(١٠٣) يشير الى الطاعون الذى دمر العراق سنة ١٢٤٧هـ ١٨٣١م .

(١٠٤) راجع (الطراز الانفس) ص ٢٦ - ٣٤ .

ملك فاما حلمه فموفـر ضافـ وأما بطـشه فشـديد<sup>(١٠٥)</sup>

غير أن قصيدة واحدة وجدت في غير الديوان وقد خص بها هذا  
الوالى وقد صدرها بمقطع ثـاـئـرـ علىـ الحـيـاـةـ وـعـلـىـ العـرـاقـ فـقـالـ :

اعـلـ نـفـسـىـ بـنـيـلـ المـنـىـ  
وـمـاـ لـىـ الـىـ نـيـلـ المـنـىـ مـقـتـحـمـ  
وـمـنـ لـىـ بـعـزـمـ الـجـرـىـ الـأـبـىـ  
فـمـاـ لـىـ أـقـمـتـ بـأـرـضـ الـعـرـاقـ  
وـلـوـ لـاـ خـمـولـ بـهـاـ لـمـ أـقـمـ  
وـكـنـتـ تـرـحـلـ عـنـ مـوـطـنـ اـضـ

ولـكـنـ الـىـ أـيـنـ يـرـيدـ الشـاعـرـ أـنـ يـتـجـهـ وـيـتـرـكـ الـعـرـاقـ ؟

إـلـىـ قـائـدـ عـسـكـرـ الـمـسـلـمـينـ  
وـمـقـدـامـهـ فـيـ الـحـرـوـبـ الـدـهـمـ  
عـلـىـ الرـضـاـ مـشـرـفـيـ القـضاـ  
أـذـلـ الـطـفـاةـ وـأـرـدـىـ الـكـمـةـ  
وـسـاقـ الصـنـادـيدـ سـوقـ الغـنـمـ !!  
حـسـامـ لـدـوـلـةـ عـدـالـمـجـيدـ<sup>(١٠٦)</sup>  
مـلـيـكـ الـلـوـكـ وـسـيفـ خـدـمـ<sup>(١٠٧)</sup>

وـقـدـ مدـحـ السـيـدـ عـبـدـالـجـيلـ الـبـصـرـيـ الطـبـاطـبـائـيـ بـقـصـيـدةـ رـكـيـكةـ  
الـسـيـجـ وـذـكـرـ أـعـمـالـهـ مـعـ الـمـحـرـمـ ،ـ وـقـيـلةـ خـرـاءـ ،ـ وـمـعـارـكـهـ مـعـ  
الـاـكـرـادـ<sup>(١٠٨)</sup> .ـ وـمـدـحـ أـيـضـاـ السـيـدـ صـالـحـ الـقـزوـينـيـ وـتـطـرقـ لـتـعـيـنـهـ مـنـ  
لـدـنـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ وـاقـرارـهـ مـنـ قـلـ عـدـالـمـجـيدـ فـقـالـ :

وـشـاهـدـ خـاقـانـ الـلـوـكـ سـدادـهـ  
فـقـلـدـهـ أـمـرـ الـمـرـاقـ وـوـلـاهـ  
وـلـاـ قـضـىـ النـحـمـودـ ذـكـرـاـ أـفـرـهـ  
عـلـيـهـ اـبـنـهـ عـدـالـمـجـيدـ وـأـيـقـاهـ<sup>(١٠٩)</sup>

• (١٠٥) المصدر السابق ص ٩٢ .

(١٠٦) راجع هذه القصيدة في مجلة المجمع العلمي العراقي . ج ١  
م ٣ سنة ١٩٥٤ م .

(١٠٧) راجع (روض البخل والخليل) ص ١٠٠ - ١٠٣ طبعة مصر ،  
و ١٤٧ - ١٥١ طبعة الهند .

(١٠٨) ديوان السيد صالح القزويني - الورقة ٩٨ .

الوالى محمد نجيب :

ان هذا والى الذى جاء بعد على رضا سنة ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م قد التف حوله الشعراء على الرغم من تعصبه التركى وغضره الشديدة ، ونظمت فى مدحه قصائد كانت فى مناسبات ذات أهمية ، وبعضاها كان فى أعمال ليست ذات شأن كبير ، وساكنتى معاقل في مناسباته بعض الصور التى جاءت للعمرى والآخرين ، وهى كفيلة برسم الجانب السياسى فى أيامه ومقدار تأثير ذلك الجانب فى نفوس الشعراء .

الشاعر العمرى :

ومن الحالات التى استغلها هذا الشاعر حادثة انتصار محمد نجيب على أحمد بابان حاكم الأكراد<sup>(١٠٩)</sup> فى السليمانية فنظم قصيدة جمعت بين هجاء الأكراد ومدح الوالى ، واستخدم فيها الشاعر كلمات فيها كثير من الشدة والاستهانة بالاكراد فقال :

رجفت لهية بأسك الأطواط  
وتفرق شعابها الأكراد  
كروا ففروا كالحمير بأسرهم  
اذ هممت بزئيرها الآساد  
الزور حل (بشهر زور) ولم يحد  
عنها ولا أهلها عنها حادوا  
كفروا بنعمة ربهم فقتالهم  
الله أكبر انه لجهاد !!

واذا كان أهل المحمرة رواضن - كما سبق - فبماذا يعتذر الشاعر حين كفر هؤلاء وعد قتالهم من قبل الوالى جهادا؟ ومهما يكن من شيء فإن هذا العمل :

فتح به قطر العراق قد امتلا فرحا وفيه استبشرت بغداد<sup>(١١٠)</sup>

ويؤرخ العمرى هذه الحادثة بأبيات جاء فيها على سيل التورية :

(١٠٩) راجع ص ٦٤ .

(١١٠) الطريق الفاروقى - ص ٢٤٤ و ٢٤٥ .

يأيها الملك الذي آثاره فوق الأثير محلها ومكانها

\* \* \*  
فتح ولاية شهر زور فأرجعوا بسديد رأيك فتحت (بابانها)<sup>(١١١)</sup>

ومن المعلوم ان هذه الحادثة كانت سنة ١٢٦١ هـ  
وكان هذا الوالي قد جاءه (المقرر الثاني) من السلطان باقائه واليا على  
العراق . وقد جاء هذا المقرر سنة ١٢٦٠ هـ فاستغل العمري هذه المناسبة  
لنظم قصيدة استعرض خلالها حادثة هذا الوالي في كربلاء سنة  
١٢٥٨ هـ<sup>(١١٢)</sup> فقال :

بك العراق أحرز الأمانـا لما تقررت عليه والـا  
وقد تجاوز فيها حدود الواقع وكذب على التاريخ فقال :  
للعدل في الزوراء رحت ناشـا مطارفا للجور فيها طاوـا  
ثم يشير الى قمع ثورة كربلاء :

مهند بالهنـدى يوم كربلا هندـية فـاندرست مـجاريـا<sup>(١١٣)</sup>  
وقد تركت الرفض فيها ضـفـعا جـفت سـوـاقـه فـمـات صـادـىـا  
ويتنـزل الشـاعـر مستـخدـما التـورـيـة :

والـسعـد دـام خـادـما مـلـازـما لـبابـك العـالـى و (عـدـا باـقـيا)<sup>(١١٤)</sup>  
ولـيـس هـنـا كـل ما قـالـه العـمـرى فـى هـنـا الوـالـى فـى دـيـوانـه صـورـاـخـرى  
مـن مدـحـه ، وـقـد نـظمـها فـى منـاسـبـات مـتـفـرقـة .  
وـمـن الشـعـرـاء الـذـين مدـحـوا هـنـا الوـالـى :

الـشـاعـر الـآخـرـس :

وـقـد اـسـتـهـلـ الـآخـرـس مدـحـ الـوـالـى مـحـمـد نـجـيبـ فـى أـوـلـ سـنـةـ مـنـ  
وـلـايـهـ فـنـظـمـ قـصـيـدةـ اـسـتوـحـاـهـاـ مـنـ حـادـثـةـ كـرـبـلـاءـ سـنـةـ ١٢٥٨ـ هـ وـذـمـ الثـائـرـينـ

(١١١) المصـدرـ السـابـقـ صـ ٢٤٥ .

(١١٢) رـاجـعـ صـ ٦٤ .

(١١٣) يـشـيرـ إـلـىـ المسـاعـدـةـ الـتـىـ بـذـلـهاـ أـهـلـ الـهـنـدـيـةـ عـلـىـ الفـرـاتـ لـسـكـانـ  
كـرـبـلـاءـ .

(١١٤) التـرـيـاقـ الـفـارـوـقـىـ - صـ ٢٤٦ وـ ٢٤٧ .

وهنا الوالى بانتصاره عليهم فقال مشيرا الى اليوم الذى وقعت فيه الحادثة  
وهو يوم عيد الاضحى :

وكان انتهاك الشر فى ذلك التحر  
ليستصغر الاخطار من نوب الدهر  
دجى الليل فى أضواعه مطلع الفجر  
مواقف للبلوى ووقفا على الفسر  
فدانت وما دانت لمن كان قبله

لقد خفت فى التحر ألوية النصر  
وفتح عظيم يعلم الله أنه  
محا البغي صاصام الوزير كما محا  
وكر البلا فى كربلاء فأصبحت  
رمتهم بشهب الموت منه مدافع

\* \* \*

لها شرر فى ظلمة الليل كالقصر  
ويؤرخ هذه الحادثة فى خاتم القصيدة فيقول :

ولا زال فى عيد جديد مؤرخا

فقد جاء يوم العيد بالفتح والنصر<sup>(١١٥)</sup>

وإذا كان هذا العمل فتحا عظيما فأى شيء أدخله الشاعر ليقوله فى  
المدح لو أنه فتح قطرأ كبيرا أو حارب دولة من الدول فاتصر عليها؟  
والوالى محمد نافق وثلاثة شعراء :

كان هذا الوالى مشيرا للغليق المرابط فى بغداد وقد حدث قبيل ولايته  
عليها أن ثار أهالى (المهدية) من سكان الفرات الاوسع سنة ١٢٦٧هـ  
١٨٥١م وكان الناثرون من عشائر (بني حسن) فسار اليهم هذا المشير  
بحشنه وحاصرهم فى مكان يسمى (العروبة)<sup>(١١٦)</sup> وأحتل قلاعهم ، وقد  
أثر هذا الانتصار بالشاعر محمد أمين العمري واهتز له فرحا فنظم قصيدة  
شديدة اللهجة أراد بها أن تكون ثورة على الثورة لا مدحًا للمشير فقط  
ولم يخف شماتته بالملوكيين الذين شردوا هم ونساؤهم وأطفالهم بعد أن  
قتل منهم من قتل ، وقد جاء فى القصيدة قوله :

(١١٥) الطراز الانفس ص ١٦٨ و ١٦٩ .

(١١٦) لعله ماء يسمى بهذا الاسم .

يأيها الملك المشير القسور  
 جاهدت أرباب الشقاق فأصيروا  
 دارت عليهم للنحوس دوائر  
 جحدوا وما شكروا لنعمة ربهم  
 فبطشت فيهم بطة كبرى بها  
 ظنوا القلاع تصونهم لكنهم  
 سخرتها فهرا يوم واحد  
 ففدا (بنو حسن) لسوء فعالهم  
 وافتهـم بمدافع كصواعق  
 مثل الرواعد بالقناابر تهدر<sup>(١١٧)</sup>

وإذا كانت محاربة عشيرة من العشائر جهاداً أكبر - كما يقول في  
 مطلع القصيدة - فما يجاهد بقى للدولة في حروبها مع الدول الكبرى ؟  
 ولعبدالباقي العمري قصيدة في مدح هذا الوالي قالها عند قدومه من  
 الشام إلى العراق وقد بالغ وأسرف في المدح<sup>(١١٨)</sup> .

وقد مدحه الآخرين بأكثر من قصيدة واحدة ومن هذه القصائد ما قاله  
 عند نقله إلى مشيرية المدفعية في الاستانة سنة ١٢٦٩هـ ١٨٥٣م وقد جاء في  
 أول القصيدة :

دعاك أمير المؤمنين وإنما دعا مسرعا فيما يروم مسابقا  
 ويختار هذه القافية ليأتني بكلمة (نامق) فيقول في غير تحفظ :  
 فحق بغداد البكاء وكيف لا وقد فارقت فخر الوزارة ناما  
 وهي طويلة لا شيء فيها غير الملق<sup>(١١٩)</sup> .

ومدحه بقصيدة أخرى في ولايته الثانية (١٢٧٨هـ ١٨٦٢م) وأنهى  
 على الدولة والسلطان عبد العزيز لانه :

أحوال العراق إلى نامق ليصلح ما شان من شأنها

(١١٧) راجع (نشوة الشمول) لابن الألوسي ص ٤٨ و ٤٩ .

(١١٨) راجع (الترىاق الفاروقى) ص ٢٨٣ و ٢٨٤ .

(١١٩) راجع (الطراز الانفس) - ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

أباد اللهجة وأفني العصاة ودمراها بعد عصيانها<sup>(١٢٠)</sup> !!  
وهناء في قصيدة بوسام ورد اليه من السلطان وأثنى على  
السلطان لأنه :

جعل العراق بنافق في جنة محفوفة بالروح والريحان<sup>(١٢١)</sup> !!

الوايي أحمد مدحه وثلاثة شعراً :

كان أحمد مدحه أفضل الولاة الذين حكموا في العراق ولكنه جاء  
حين كان التيمى وعبدالباقي العمرى في ذمة التاريخ ، وكان الآخرين  
يشرف على السبعين من عمره ولم يبق في بغداد من الشعراً من يملأ مكاناً  
أولئك ، أما شعراً الحلة والنجف فقد كانوا على الأكثربعد عن أعمال  
الولاية ومناسباتهم وقد صدمهم مدحه بحادته ( الدغارة ) التي شنق فيها  
الزعماء من الفراتين لذلك كان الشعر الذي قيل فيه لا يرقى إلى مرتبة  
الشعر الذي قيل في داود وعلى رضا ، على أن قصر المدة التي قضاهما في  
العراق كان من الأسباب في قلة ما مدح به ، ومع ذلك كان ذا نصيب  
غير قليل .

وقد مر في فصل ( الشعر والحوادث الوهابية ) بعض القصائد التي  
تعلق بأعماله بالاحسأء ، أما في غير هذه الأعمال فقد مدحه الشيخ أحمد  
قططان النجفي المتوفى سنة ١٢٩٣هـ بأبيات قالها عندما فتح باباً لسور النجف  
يؤدي إلى النهر الصغير الواقع غربي المدينة . وكان هذا العمل سنة ١٢٨٨هـ  
ومن هذه الأبيات قوله :

باب خير فتحوه رحمة لسقاء لقلوب ظالميات  
أحمد مدحه باشا من سرى فضله فيما مسيرة التيرات

وقد مدح في هذه الأبيات السلطان عبدالعزيز<sup>(١٢٢)</sup> .

ومدحه السيد حيدر الحلبي بقصيدة باردة العاطفة وقد جاء فيها :

(١٢٠) المصدر السابق - ص ٣٩٧ - ٣٩٩ .

(١٢١) المصدر السابق - ص ٣٩٩ - ٤٠١ .

(١٢٢) راجع ( شعراً الغربى ) ص ١٧٥ من الجزء الأول .

رواقت ذا لا بل ولية خادر  
 بل الليث يخطو دونه خطو فاجر  
 لك العسكر الجرار والهمة التي  
 مخافتها تكفيك جر العساكر<sup>(١٢٣)</sup>  
 ومدحه أيضا بقصيدة أخرى<sup>(١٢٤)</sup> وقد قال فيها :  
 أنت عليك بأسرها الدول وتشوقك الأعصر الاول  
 وأعدت لليام جدهما فال يوم عمر الدهر مقبل  
 ومنها :

يا ابن الوزارة أنت واحدها لا راعها بفارقك النكل<sup>(١٢٥)</sup>

وفي ديوان الآخرس قصيدةان أحيل فيما اسم المدوح ، ولم يحمل  
 اسم وال من الولاة الذين مدحهم الآخرس غير مدحة لأن الديوان طبع في  
 الاستانة أيام السلطان عبد الحميد وكان هذا لا يرضي بأن يذكر مدحة في  
 كل ما ينشر أو يطبع من صحف وكتب ، لذلك يغلب على الفلن أن القصيدين  
 في مدح هذا الوالي ولاسيما أن احدهما تشير إلى أن المدوح ذهب إلى  
 البصرة لاخماد ثورة هناك ، والمعروف أن مدحة سافر إلى البصرة في طريقه  
 إلى الاحساء ، يضاف إلى هذا أن الآخرس قال في مكان آخر مؤرخا قصرا  
 بناء نقيب البصرة لينزل فيه المشير ، وكان بيت التاريخ :

فقلت لسيد النقباء أرخ مبانها يشرفها المشير<sup>(١٢٦)</sup>

وهذا التاريخ يوافق سنة ١٢٨٦ هـ ، وفي هذا الوقت كان الوالي في  
 بغداد مدحة . أما القصيدة الأولى فقد جاء فيها :  
 شرف البصرة مولانا المشير<sup>(١٢٧)</sup> وتولى البشر منه والسرور

(١٢٣) راجع (الدر اليتيم) ص ٢١٠ - ٢١١ و (العقد المفصل) ص ١٥٥ ج ٢ .

(١٢٤) نظم هاتين القصيدين استجابة لرغبة صديقه التاجر البغدادي الحاج مصطفى كبه .

(١٢٥) راجع (الدر اليتيم) ص ٢٢٨ - ٢٣٠ و (العقد المفصل) ص ١٥٦ و ١٥٧ ج ٢ .

(١٢٦) الطراز الانفس - ص ٢٤١ .

(١٢٧) كان مدحة يلقب بلقب (المشير) لانه كان رئيسا للفيلق المرابط في بغداد .

وقال فيها :

أنت ظل مده الله على  
تمحق الباغين عن آخرهم  
أصلحت بيضك ما قد أفسدوا  
عدت منصورا بجند ظافر وجناب الحق مولانا النصير<sup>(١٢٨)</sup>  
وإذا صبح ما ذهبت إليه فان هذه العودة الغلافية كانت من الاحساء  
ولولا الشك الذي يحوم حول اسم المدوح لكان من حق هذه القصيدة  
أن تأخذ محلها في الحوادث الوهابية .  
أما الثانية فقد جاء فيها قوله :

جئت بالخير علينا مقبلا وتنقلت مع السعد انتقالا  
فرأينا منك مالئ نره قبل أن جئت كمالا وجمالا<sup>(١٢٩)</sup>

مصطفي عاصم وثلاثة شعراء :

وكان عاصم قد ولى بغداد سنة ١٤٣٠ هـ ١٨٨٧ م وقد مدحه جميل  
صدقى الزهاوى بأبيات - أو قصيدة - جاء فيها :  
بكى ولكن لا بكاء الفمائى ونحت ولكن لا نواح الحمام  
وهل ينفع الباكين شجعوا بكاؤهم اذا لم يصادف فى الهوى قلب راحم  
ثم يتخلص الى المدوح على الطريقة التقليدية فيقول :  
وكيف أخاف الدهر أو أرهب الردى  
وقد لذت من صرف الزمان بعاصم<sup>(١٣٠)</sup>

ولا يخفى ما فى البيت من توربة .  
ومدحه السيد جعفر الحل والشيخ طاهر الدجىلى وقد مرت الاشارة  
إلى ذلك فى مدائح السلطان عبدالحميد<sup>(١٣١)</sup> .

(١٢٨) راجع ( الطراز الانفس ) ص ١٧١ - ١٧٣ .

(١٢٩) راجع المصدر السابق ص ٤٥٢ و ٤٥٣ .

(١٣٠) الكلم المنظوم - ص ١ .

(١٣١) راجع مدح المسلمين فى هذا الفصل .

## سرى الكريدى وطائفة من الشعرا :

جاء سرى الكريدى واليا سنة ١٣٠٧هـ ١٨٩٠م وكانت التورات  
القبيلية قد حفت الى حد ما ، فانصرف هذا الوالى الى بعض الاعمال العمرانية  
ومنها انشاء متنزه في ساحة الميدان ببغداد (١٣٢) ، وقد نظم أحمد الشاوي  
قصيدة بهذه المناسبة ، وقال فيها :  
ألم تر كيف الارض شقى وتسعد  
وتصلح طورا بالولاة وتفسد  
ومنها :

وبحسبك فى ميدان بغداد عبرة  
وشاهد عدل بالذى قلت يشهد  
فيتنه فى حال سؤك حاله اذا هو من بين الميادين يحسد

ولكن المناسبة التى انشأ موسما للشعر هي التي تم فيها بناء سد على  
فم نهر الهندية (١٣٣) ليجري الماء فى نهر الحلة وكانت هذه المدينة معرضة  
للهوش الذى اشتد سنة ١٣٠٢هـ بسبب انقطاع المجرى ، وفي سنة ١٣٠٨هـ ١٨٩١  
تم انشاء السد على نهر الهندية ليأخذ نهر الحلة حصه من الماء ،  
وحيث تم العمل احتفالاً الاهلون احتفالاً مشهوداً حضره الوالى (سرى)  
ووجهه بغداد والحلة وسفراء الدول وألقى الخطب والقصائد (١٣٤) ،  
ومن الشعرا الذين نوهوا بهذه المناسبة أحمد الشاوي فقد جاء في قصيده  
سالفه الذكر أبيات يمدح بها (سرى) ويتنى على جهده المبذول في اقامته  
السد ومنها قوله :

(١٣٢) يقع هذا الميدان أمام باب القلعة القديمة وهي من مداخل  
وزارة الدفاع الآن .

(١٣٣) انشأ هذا النهر المهراجا آصف الدولة الهندى سنة ١٢٠٨هـ ٩٣  
- ١٧٩٤م لمنفعة التجف فأضطر بالحللة . وقد انهارت السدود التي اقيمت  
على مدخله ولم يبق ثابتا الا السد الذي تم بناؤه سنة ١٩١٣م .

(١٣٤) اخبار بغداد وماجاورها من البلاد - محمود شكري الالوسي .  
الورقة ٦١ ج ١ من نسخة يعقوب سركيس . و (الروض الازهر) ص ٢٠٣  
ويشير هذا الكتاب الى ان الاحتفال كان في ١١ ربيع الاول سنة ١٣٠٨هـ  
الموافق ٢٤ تشرين الاول سنة ١٨٩١م .

وفي الحلة الفيحاء أبلغ حجة متى هي قامت منكر الحق يقعد  
تصدى لها والى الولاية باذلا لجاشته ، والنافر الجائش يرعد  
وناء الى سد الفرات بنية حيدية التوفيق للرشد ترشد<sup>(١٣٥)</sup> .  
ولا يخفى ما في هذا البيت من مدح للسلطان عبدالحميد .  
وللسيد محمود شكري الالوسي أبيات بهذه المناسبة ، ومنها - يخاطب  
الوالى سرى - :

بسيد الرأى قد أحكمت سدا وبه أنجزت للأعمال وعدا  
وفرات الماء قد عاد كما كان في السابق يجرى مستبدا  
وللشيخ محسن العذارى الحل مشاركة في هذه المناسبة فقد مدح  
السلطان والوالى لأن الماء عاد إلى الحلة بعد اقطاعه ، أما هذا السد فقد  
فاق كل عمل :

فلا السويس ولا حفر الخليج ولا سكور كسرى ، ولا الزباء في القدم  
وللشيخ عباس العذارى أيضاً مشاركة شعرية ومنها :

سد به سر العراق وأهلها فغدا لهم مذ تم عيدها أعظماً  
وللشيخ علي بن حمزة الحل قصيدة ومنها في مدح سرى :

لولاك ما ارتوت العطاش ولا جرى وسط الفرات - وراحتيك - الماء  
ومثل هؤلاء الشيخ حسن العذارى فإنه يصف عطش أهل الحلة

والرزايا التي حلت بهم حتى شاب لها الولد :

إلى الملك المنصور ذى العدل والرفد  
إلى شكوا بالتلغرافات ضيمهم فسير للزورا وزيراً ووالياً به الطالع المنحوس آل إلى السعد

وللشيخ محمد سعيد بن محمود النجفى قصيدة بهذه المناسبة وأولها :  
شكرت مسامي خير والى قصور من يصنع المعروف فيما يشكر

وكذلك الشيخ عبد الوهاب نائب قضاء بغداد ، والسيد محمد باقر  
الطباطبائى<sup>(١٣٦)</sup> .

(١٣٥) أخبار بغداد وما جاورها من البلاد - الورقة ١٦ ج ١ .

(١٣٦) راجع المصدر السابق الاوراق : ١١٣ - ١٢٠ .

وللسيد ابراهيم الطباطبائى قصيدة بهذه المناسبة<sup>(١٣٧)</sup> .  
ولكن هذا العمل ليس وحده من بواعث الشعر الذى قيل فى هذا  
الوالى فقد مدحه أحمد الشاوى بقصيدة اخرى غير تلك التى أسلفنا ذكرها  
وتطرق فيها الى مدح السلطان عبدالحميد أيضا ومنها قوله :  
سلمت أمير المؤمنين ولم تزل لك الراية العلياء تحفظ بالنصر

\* \* \*

فأضحكك من قد كان بالأمس باكيا      بغداد لا ينفعك مدمعه يجري  
فلو طار انسان من الناس قبلهم  
لطاروا سرورا يعلم الله من (سرى)<sup>(١٣٨)</sup>

ومدحه السيد ابراهيم الطباطبائى ومما قاله فيه :  
قد حل فيك من العراق وناق      ولديك منه الأسر والاطلاق<sup>(١٣٩)</sup>  
وحياه السيد جعفر الحلى بقصيدة عندما زار النجف وأولها :  
مرنا فامرک فى العراق مطاع      أنت الزعيم وكلنا أتباع<sup>(١٤٠)</sup>  
ولكن هذه المدائح ليست دليلا على انتشار العدل فى أيام هذا الوالى  
لان بقاءه فى العراق لم يدم أكثر من سنة وستة أشهر وأيام ، وقد كانت  
المناصب فى أيامه تباع بيع المนาع حتى كثر شاكوه الى السلطان وشغبوا عليه  
بعد أن أغدقوا عليه التحف والهدايا<sup>(١٤١)</sup> غير أن أعماله تلك وما كان  
يدعوه من العلم والتأليف<sup>(١٤٢)</sup> كل ذلك قد دفع الشعراه الى مدحه .

#### ولاة آخرون :

ليس للولاة الذين جاؤا بعد سرى شأن مرموق فى دنيا الشعر فقد  
خلفه الحاج حسن رفيق سنة ١٨٩٢م وعطاء الله الكواكبى السورى العلوى

(١٣٧) راجع - ديوان الطباطبائى - ص ٢٧٦ .

(١٣٨) ارسل الى هذه القصيدة الاستاذ محمد بهجة الاثرى .

(١٣٩) ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى ص ١٨٩ .

(١٤٠) سحر بابل - ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

(١٤١) هذا تعليق الاثرى على قصيدة أحمد الشاوى .

(١٤٢) له كتاب (احسن القصص) فى تفسير سورة يوسف .

سنة ١٨٩٦م وقد ورد بعض المدح لهذين الوالدين في ديوان السيد جعفر  
الحلى وما قاله في الحاج حسن رفيق :  
بشرى العراق ففيك أشرق نورها      هي جنة الدنيا وأنت وزيرها<sup>(١٤٣)</sup>  
أما الكواكبى فقد جاء ذكره عرضا في قصيدة مدح بها السلطان  
عبدالحميد ومنها :  
هو سيد وكواكبى نسبة      وعلومه للعالمين تفيد<sup>(١٤٤)</sup>  
وانتهى القرن التاسع عشر بولايـة نامق الصغير<sup>(١٤٥)</sup> الذى  
خلف الكواكبى .

### ولاية الموصل :

لقد مر بنا في الفصل السياسي أن ولاية الموصل استقبلت القرن التاسع  
عشر وولاتها من الأسرة الجليلية ، ومر كذلك في بحث الحالة العلمية  
والادبية شيء من أثر هذه الأسرة في تشجيع الادباء وطلاب العلم وكان لابد  
لهذه الرعاية أن تجد صدى في نفوس الشعراء ، ولكن ما قيل في آل الجليلي  
لا يضيف شيئاً جديداً إلى ما قيل في ولاية بغداد سوى الأسماء والمناسبات  
أما التعبير والأسلوب والمعانى فهو من لون ما كان في بغداد أن لم تكن أقل  
وأدنى ، وكان من أبرز شعراء الجليليين آل العمرى والغلامى .  
ومن المناسبات هذا الشعر استناد الوزارة إلى أحمد بن سليمان الجليلي  
سنة ١٢٢٩هـ ١٨١٤م تم متحه وظيفة فراش الحضرة النبوية برسوم سلطانى سنة  
١٢٣٠هـ ١٨١٥م فقد كان لهذه المناسبة تأثير في نفوس شعراء الموصل ومنهم  
عبدالله العمرى ومن شعره قوله :

بشير المعالى بالوزارة حياكا      بشراك يا رب المكارم بشراكا  
 أهنيك فى ملك وسعد مؤبد      مدى الدهر للأحكام مولاك ولاكا

(١٤٣) سحر بابل ص ٢٤٢ - ٢٤٥

(١٤٤) المصدر السابق - ص ١٥٨ .

(١٤٥) لقب الصغير تمييزاً له عن الوالى الاسبق محمد نامق .

ويستخدم الناظم في هذه القصيدة أسماء العلوم ومصطلحاتها في المدح ، من الجزم بحفظ الجار الى رفع لواء العدل ، وان المدوح أصبح طويل المدح فيه فاًصرا لانه بحر لا تحصى سجاياه ، ويختتم القصيدة بيت تاريخ :

أقول بختم القول فيك مؤرخا فما أَحْمَدْ تاج الامارة وافاكا<sup>(١٤٦)</sup>

وقد مدحه قاسم حمدي بن يحيى حين جدد سور الموصل

سنة ١٢٣٦هـ ١٤٧هـ

أما محمد الغلامي مفتى الشافعية بالموصل فإنه نظم ديوانا في هذا الوزير وضمنه تسعين قصيدة كل قصيدة تحتوى على تسعه وعشرين بيتا مرتبة على حروف الهجاء وقد تكلف في هذه القصائد فجعل أول البيت كآخره ، وسمى هذه المجموعة (الجمان المنضد في مدح الوزير أحمد) ومن أمثلة هذا الشعر قوله :

الخليفة هذا العصر للعدل أَحْمَدْ حيد السجايا أرفع المجد أشمخ خير بتذليل الطغاة فلم تزل صوارمه للممارقين تدوخ<sup>(١٤٨)</sup>

وكان الوالي يحيى بن نعمان الحلبي متابة للشعراء فقد ولى الموصل سنة ١٢٣٨هـ ١٨٢٢ وتركت هذه الولاية سنة ١٢٤٩هـ ١٨٣٣م<sup>(١٤٩)</sup> ، وفي هاتين الولايتين برزت شخصيته ومنح رتبة كبير الوزراء ومدح بشعر غير قليل جمعه عبدالباقي العمري وسمى المجموعة : (نزهة الدنيا فيما ورد من المدايم على الوزير يحيى)<sup>(١٥٠)</sup> وقد ألف هذه المجموعة سنة ١٢٤٠هـ وانتهى منها سنة ١٢٤١هـ أما الشعر الذي جمع فيها فإنه كان متشابها في

(١٤٦) الجمان المنضد ص ٨ و ٩ طبع الموصل سنة ١٩٤٠م .

(١٤٧) المصدر السابق ص ١١ و ١٢ .

(١٤٨) المصدر السابق ص ١٣٠ .

(١٤٩) توفي يحيى في القدسية سنة ١٢٨٤هـ ١٨٦٧م .

(١٥٠) توجد من هذه المجموعة نسخة خطية في مكتبة الآثار ببغداد وقد أخذت عن نسخة بخط يونس الوهبي الموصلى ، والمرجع هنا نسخة الآثار .

الموضوع والأسلوب بل كان كأى شعر نظم في المدح ، وكان ابتهاج الشعراء في انتصار هذا الوالي على خصومه في التورات التي يقمعها من مميزات هذا الشعر ، وان كان الانتصار بقتل النساء والأطفال والشيوخ ، وحرق البيوت ونهب القرى ، ومن أمثلة ذلك ما قاله محمد أسعد شقيق الوزير يحيى يعني أخيه باتصاره على اليزيديين في احدى ثوراتهم في (الشيخان) وكان هذا العمل قبل أن يكون واليا :

عسى ولعل أن يطفى لهبي وأبلغ ما أوصل من مراد كما قد تال يحيى العز لما أطاعه الجمال من الوهاد

\* \* \*

وأهرق من نجيع بنى يزيد دماء سال منها كل واد<sup>(١٥١)</sup>  
وتكررت مدائحه لأخيه في مختلف المناسبات<sup>(١٥٢)</sup> .

وحين استدعت الوزارة ليحيى سنة ١٢٣٨هـ هنأ الشعراً بها واستعرضوا  
وقائمه مع اليزيديين في (الشيخان) و (سنمار) من مقاطعات الشمال .  
ومن هؤلاء الشعراً قاسم حمدي ، وقد قال فيه :

تهن وخذ يحيى الكتاب بقوه لك الامر فافعل ما تروم وتقصد<sup>(١٥٣)</sup>  
وال الحاج محمد سعيد الجودي ومن شعره في ولاية يحيى :

وأنت الى يحيى أبي الفضل الذي أحيت مكارمه بنى العباس<sup>(١٥٤)</sup>  
وله فيه وقد أشار الى وقائمه مع اليزيديين فقال :

وقد أخذت ثار الحسين جوشه بسنمار حتى أن أطاع خصيمها<sup>(١٥٥)</sup>  
ومدحه عبدالله العمري بهذه الوزارة<sup>(١٥٦)</sup> .

أما محمد الغلامي فإنه سجل النزاع الذي حدث بين الأسرة الجليلية  
على الحكم في قصيدة يمدح بها هذا الوالي :

(١٥١) نزهة الدنيا - الورقة ٩

(١٥٢) راجع المصدر السابق الورقتان ١٦ و ١٨

(١٥٣) المصدر السابق الورقة ٢٢

(١٥٤) المصدر نفسه الورقتان ٣٠ و ٣١

(١٥٥) المصدر السابق الورقتان ٤٦ و ٤٧

(١٥٦) المصدر السابق - الاوراق : ٧٠ و ٧١ و ٧٣ و ٨٠ و ٨١

آل عبدالجليل لما تلاهوا  
لفساد الامور فيها الصلاح  
قارب الأمر أن سل الصفاح  
وحيث رأى يحيى أن الأمر اشتد :  
سل من عزمه الشديد حساما  
خضع الكل عنده واستراحوا<sup>(١٥٧)</sup>

ومدحه بقصيدة أخرى استعرض فيها انتصاره على اليزيديين فقال :  
قد اعتصمت في الجزيرة كلها وفي بعضها وافاه حكم ومنصب  
ونسبت جار أولاه سطوة فأولاده وأمال تسبي وتنهب<sup>(١٥٨)</sup>

وقد سار الناشر في البيت الأخير على طريقة اللف والنشر ولكنه  
سجلحقيقة من حقائق التاريخ في أعمال يحيى مع اليزيديين .  
ومدحه محمد الفهمي وذكر وقائعه مع اليزيديين أيضا<sup>(١٥٩)</sup> .  
ومدحه محمد أمين العمري بقصائد بالغ فيها<sup>(١٦٠)</sup> .

أما عبدالباقي العمري فقد خلا ديوانه المطبوع من القصائد التي مدح  
بها يحيى ولكنه أتبها في (نزهة الدنيا) وقد سجل لنا في أحدى هذه  
القصائد تعين يحيى من قبل داود والي بغداد واسناد الوزارة اليه سنة  
١٢٣٨هـ واقرار السلطان لهذا التعين ، وفي هذه القصيدة دليل على أن  
والى الموصل لا يعين الا بمموافقة والي بغداد في عصر المماليك ، وقد جاء في  
هذه القصيدة قوله :

ملك كانت الوزارة ترعاها  
يوم جاء البشير بالحكم فورا  
قلت شعرا يضوع أرخ بعود  
أن يحيى بجده وأبيه  

---

(١٥٧) المصدر السابق الورقة ٩٣ .

(١٥٨) المصدر السابق الورقة ١٠٠ .

(١٥٩) المصدر السابق الورقتان ١١٢ و ١١٣ .

(١٦٠) راجع المصدر السابق الورقتان ١٢٦ و ١٢٧ . و (المسك  
الاذفر) ص ١٥٨ و ١٥٩ .

(١٦١) نزهة الدنيا - الورقتان ١٣٢ و ١٣٣ .

## ولاة البصرة وحكامها :

لقد حكم البصرة عدد غير قليل من الولاة والمتصوفين وكان شأنها في ذلك شأن بغداد والموصل ، وقد قيل فيمن حكمها شعر غير قليل ولكن تناول هذا الشعر بجميع صوره لا يأتي بشيء جديد في هذه الدراسة ، لذلك أرى من الأفضل أن أقتصر على بعض صوره ، وأن أتناول هذه الصور بمثل ما فعلت في ولاية الموصل ، وأن أترك الكثير من هذا الشعر لتاريخ الأدب وحده ، وأكثر من ذلك أنه سأتناول شاعراً واحداً لعله خير مرآة تعكس السياسة في البصرة ، وهذا الشاعر هو عبد الغفار الآخرين ، ولعل من المستغرب أن هذا الشاعر الذي ولد في الموصل ونشأ في بغداد كان كثير التردد على البصرة فلا يكاد يفارقها إلا يعود إليها .

وقد كان له فيها أصدقاء من ذوى اليسار والثروة ، وقد أتاح له تردداته إلى البصرة أن يتصل بالحكام والموظفين وأن يسمعهم قصائده ، ومن الحكماء الذين مدحهم حسام الدين القدسي الحلبي وقد كان هذا بمنصب قائم مقام في البصرة سنة ١٢٧٦هـ (١٦٦٢م) ، ومن مدائنه الآخرين فيه قصيدة أولها غزل وتشبيب ، أما المدح ف منه :

قد بلونا الناس في أحوالها وعرفناهم كراما ولئاما  
فمحال أن ترى عين امرىء كحسام الدين للدين حساما  
ويظهر من القصيدة أن المدوح شريف النسب لانه :  
من كرام سادة لم يخلقا بين أشراف الورى الا كراما

\* \* \*

حاكم بالعدل على التما عن (على) قام بالحكم مقاماً (١٦٦٣)  
ومدحه بقصيدة أخرى ليس فيها شيء سوى أن المدوح كان يعطف  
على الشاعر :

قارعت أيامى لعمرك جاهدا حتى انتصيت لها حسام الدين  
أعلى مقامى فى على مقامه فرأيت منزلة الكواكب دونى

(١٦٦٢) سالنامة البصرة - الدفعة الثانية سنة ١٣٠٩هـ .

(١٦٦٣) راجع (الطراز الانفس) ص ٣٩٢ - ٣٩٤ .

فتكاثرت نعم على بفضله من فضله وأقلها يكتفى<sup>(١٦٤)</sup>  
وفي سنة ١٢٧٧هـ ١٨٦١م كان حاكم البصرة القائم مقام محمد  
منيب<sup>(١٦٥)</sup> ، وللآخرس فيه قصيدة لا تدور حول المدح حسب بل تجاوزته  
إلى تصوير حادثة من الحوادث التي كانت تقع بكثرة . ويظهر من هذه  
القصيدة أن هذا القائم مقام أخمد ثورة قبلية ولكن الشاعر لم يعين المكان  
ولم يذكر اسم القبيلة النائمة غير أن سياق الشعر يدل على أن التمرد كان  
من قبيلة تابعة لـ إيران ، وأول القصيدة :

هنيت هنيت بالاقدام والظرف فاسلم ودم سالما بالعز وافتخر  
أنت المنيب الى الله العزيز به والمتقى منه في أمن وفي خطر  
ويبدو أن هذا الحاكم استعان بعض القبائل التجديبة لمحاربة النائرين :  
لبك أبناء نجد اذ دعوتهم فأقبلت زمرا تأوى الى زمر  
ثم يصف الحرب وإنها كانت تقوم على المدافع :  
وللمدافع ارعاد وزمرة ترمي جهنهم الطاغين بالشر  
أما النائرون فإنهم :

في كل عام لهم حرب ومعترك موعد للمنايا غير متطل  
ورأس الخيط لمعرفة النائرين أو المتمردين قوله :  
ورب أحمق معروف لشهرته وأفاك من قومه الأعجم في نفر<sup>(١٦٦)</sup>  
وله فيه قصيدة أخرى يبدو منها أن المدوح علوى النسب :  
فرع سادات المعالي والعلا علوى الاصل علوى المقام  
من أناس خلقوا مذ خلقوا سادة الدنيا وأشراف الأيام  
ويعلن وقت مجئه إلى البصرة :  
قررت البصرة عيناً بالذى حل في البصرة بالشهر الحرام<sup>(١٦٧)</sup>

(١٦٤) المصدر السابق - ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(١٦٥) سالنامة البصرة - الدفعة الثانية سنة ١٣٠٩هـ .

(١٦٦) راجع - الطراز الانفس - ص ١٧٤ - ١٧٦ .

(١٦٧) مجموعة للآخرس لم تنشر - الورقة السادسة من نسخة  
يعقوب سركيس . والسابعة من نسختي .

أما ناصر السعدون فان لا اخرين فيه مداهنة كثيرة ولكنه مدحه وما يدرك أيام ولايته على البصرة لانه عين واليا سنة ١٢٩١هـ وهي السنة التي توفي فيها الاخرس ، ووصل بغداد متوجها الى مقر ولايته في الثالث عشر من رمضان سنة ١٢٩٢هـ (١٦٨) الموافق للخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٨٧٥م

غير أن ناصراً كان من سيف الدولة ومن المشاركون لها في أعمالها قبل أن يكون والياً وحين كان متصرفاً للواء المتفق (١٦٩) . وقد مر في بحث الحالة السياسية شيء من أعماله في محاربة السعوديين بجانب الوالي مدحه . ولهذا أرى ما قيل في ناصر السعدون لا يختلف عن موضوع الشعر الذي قيل في الولاة الآخرين ، غير أن شعر الاخرس في هذا الوالي الرعيم كان يجمع بين الصبغة الحكومية والصبغة العربية المستوحة من شخصية المدحود وأسرته وتقاليده . ومن هذا الشعر قصيدة كانت مناسبتها حدوث ثورة دموية في البصرة وقد قضى ناصر على هذه الثورة ، ومما جاء في هذه القصيدة قوله :

محوت بسيف سطوتك الفسادا  
بحكم قد أرحت به العبادا  
دخلت البصرة الفيحاء صباحا  
ونار الشر تقد اقادا  
وقد عثت يد الاشرار فيها  
وطال فسادهم فيها وزادا  
لقد حكمت بها جهال قوم  
يرون الغي يومئذ رشادا

\* \* \*

وما سامت الاحوال فيهم ولا نفع الحفاظ ولا أفادا

(١٦٨) الزوراء - العدد ٥٧٣ من السنة السابعة - ١٦ رمضان سنة ١٢٩٢هـ (١٦٨)

(١٦٩) حاز ناصر السعدون رتبة أمير الامراء سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٧م) وحين عين والياً للبصرة كان في الاستانة ، ثم عاد بعد ذلك اليها وعين عضواً في مجلس شورى الدولة وبقي في الاستانة حتى توفي سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م) ولقد كان ناصر أول عراقي يعين والياً للبصرة . وكانت له يد في رد هجوم الفرس على هذه المدينة . راجع ( ذكرى السعدون ) للشيخ على الشرقي ص ٤٥ . و ( مباحث عراقية ) ص ٥ ج ١ و ص ٢٥٧ ج ٢ .

وبات الناس في وجل عظيم يرع السمع منه والفواد  
دعيت لكشف هذا الفر عنها ولا يدعى سواك ولا ينادي<sup>(١٧٠)</sup>  
وله فيه قصيدة أخرى جاء فيها :

ولو علم السلطان أقدام ناصر لما استنصر السلطان الا بناصر  
همام أباد المفسدين ودمرت صوارمه من كل باغ وفاجر<sup>(١٧١)</sup>  
وقصيدة ثالثة منها :

ومنزلة بين الفرات ودجلة اذا لم يكن فيها المشير فناصر

رحى الحرب ان دارت رحاها فانه هو القطب ما دارت عليه الدوائر<sup>(١٧٢)</sup>  
وله فيه قصيدة أخرى ، منها :

أبا فالح سدت الأمور بحكمة وأنت خير بالسياسة غال

بطشت بعن يبغى عليك بكيده وأنت رؤوف بالرعاية راحم  
وأبقيت دار المفسدين بلا فما خلا عالم منها وأقوت معاً<sup>(١٧٣)</sup>

وعند هذا الحد يتنهى البحث في الشعر الذي سار في ركب الدولة  
وولاتها ممثلا في معظم الشعرا من بغداد والموصل والنجف والحلة ، وقد  
توخيت فيه ابراز الخطوط العامة الموضحة لسلك الشعرا حيال السياسة  
ومواقفهم من أعمال الدولة والولاية ، وراعيت فيه أهم التواحي ، وأهم  
الولاية وأشهر الشعرا ، وتركت ما كان مدواحا خالصا ليس فيه تسجيل  
لحادنة أو مناسبة هامة في تاريخ الدولة والعراق ٠

وعند هذا الحد أيضا يتنهى بحث الشعر السياسي في كافة نواحيه من  
إيجابي يرضي شعور الدولة والولاية ، وسلبي يمثل شعور الساخطين على  
الدولة والحكم ، والناقمين على أعمال الولاية والموظفين ٠

(١٧٠) الطراز الانفس - ص ١٢٧ - ١٢٨ ٠

(١٧١) المصدر السابق - ص ١٧٨ - ١٨٠ ٠

(١٧٢) المصدر السابق - ص ١٧٦ - ١٧٨ ٠

(١٧٣) راجع - المصدر السابق - ص ٣٧٠ - ٣٧٢ ٠

## الفصل الخامس

# القيم الفنية وأسلوب حيّة

نظرة عامة في شعر القرن التاسع عشر :

أربعة فصول مرت هي خلاصة الشعر السياسي في العراق ابن القرن التاسع عشر وهي أظهر ما في هذا القرن من شعر يصور السياسة في أساليبها ومرافقها ويرسم أحدياتها الكبرى والصغرى في العراق وما حوله بل هي أبرز ما في الشعر السياسي من صور تمثل سخط الشعراء ورضاهم ، واندفعهم في ركاب الدولة ونورتهم عليها ، وانطلاقهم في رحابها والمهم منها ، وهي أبرز الصور أيضاً لتأثير السياسة في هؤلاء الشعراء سلباً وإيجاباً ومقدار تصويرهم للحياة والأحداث من زاوية الدولة أو من زاوية الأمة المحكومة ، وهي أبرز الصور للموضوعية التي تناولها الشعراء في ظل السياسة ، والفنية التي استجابت لتلك الموضوعية وطاوتها وعبرت عنها واندفعت بها من عالم التجربة والشعور إلى مجال الرسم والتسجيل ، غير أنه لابد من دراسة الموضوعية والفنية لهذا الشعر ولابد من الكشف عن أهم القيم فيه وعن مدى الاداء اللفظي الذي استجاب له وقبل أن أدرس هذه الناحية لابد أن أشير إلى أن دراسة الشعر في عصر ما أو دراسة شاعر واحد في أي عصر من العصور لا تتم إلا بدراسة ذلك العصر الذي ولد فيه الشعر أو ظهر فيه الشاعر وهذه الدراسة قد مرت في الباب الأول بما تضمنته من فصول ثلاثة في السياسة والمجتمع والثقافة وقد أوضحت في تلك الفصول

الثلاثة جوانب السياسة في أهم خطوطها واتجاهاتها والمجتمع العراقي في حياته ومعيشته وفي عناصره وتقاليده وعاداته وفي دياناته ومذاهبه ، والثقافة العامة في أهم لوانها وأشكالها ولاسيما الثقافة العربية التي كانت تشق طريقها بين المواصف والأمواج وتصارع العجمة الخانقة من الترك والفرس . وعلى ضوء هذه الدراسة العامة يمكن أن ترسم صورة معبرة كافية لحياة الشعراء وثقافتهم وسلوكياتهم وتناولهم الموضوعات العامة والخاصة ومنها موضوعات الشعر السياسي .

وإذا كانت الفصول الثلاثة - وقبلها التمهيد - قد وضعت لتكون مدخل البحث وخط السير الموصى الى موضوع الشعر السياسي فان ربطها بهذا الموضوع وغيره من الموضوعات الأخرى وتأثيرها في اتجاه الشعراء أمر لا يقل عما سواه في الدراسة والتبع ، ولا شك في أن ما استعرضته من الشعر في الفصول الاربعة الخاصة به كفيل بتوضيح هذه الجوانب كلها والكشف عن أثر السياسة والمجتمع والثقافة في الشعراه ففي هذا الشعر ما يكشف عن سلوكهم السياسي العام والخاص وفي هذا الشعر ما يوضح علاقتهم بالمجتمع وفي هذا الشعر ما يصور مدى قابليةهم الفكرية واللغوية وإذا كنت قد أشرت في بحث الحالة العلمية الى الموضوعات التي تناولها الشعراء مما يتصل بالحياة العامة فإن ذلك التلميح كاف في معرفة الاتر الذي أحدثته ظواهر المجتمع في أولئك الشعراء فقد نظموها في معظم الأغراض المعاودية من مدح ورثاء وهجاء ووصف وغزل وخمريات وأكثروا في الموضوعات الدينية فنظموها في مدح النبي وآل البيت ورثائهم ولاسيما الامام الحسين<sup>(١)</sup> ونظموها في التصوف مدحاً وذمـاً<sup>(٢)</sup> ووصف بعضهم الفقر الذي كان يعيشه الشعراء وهم جزء من المجتمع<sup>(٣)</sup> وتناولوا مجالس اللهو

(١) ان معظم الدواوين والمجموعات مليء بهذه اللون ولاسيما ما كان منها في الخلة والنجف .

(٢) راجع ديوان عبدالباقي العمري (التریاق الفاروقی ) في كثير من صفحاته . و ( الطراز الانفس ) ص ٣٧ وما بعدها وص ٢٤٢ .

(٣) مرت أمثلة من ذلك في بحث الحالة العلمية .

والآخر<sup>(٤)</sup> وصور بعضهم ما كان يحدث من فتن داخلية لا شأن لها بالسياسة<sup>(٥)</sup> ، ولما كتبت في غنى عن الاطالة في بحث هذا الاتر في الشعر فان التوضيح في دراسة الاتر الثقافى شئ لا بد منه في معرفة القيم الموضوعية والفنية في الشعر السياسي والوقوف على مدى التفكير والقابلية عند الشعراء وما رافق ذلك من أداء وتعبير لذلك أرى لزاماً أن استعرض أثر الثقافة بصورة موجزة لاتنهى منه الى تقدير ما ذكرته في الفصول الاربعة من شعر يتصل بالموضوعات السياسية ووضعه في المكان الذي يستحقه بين الدراسات ٠

### الشعراء في مستواهم الثقافي :

ان شعراء العراق في القرن التاسع عشر يمكن أن يقسموا من حيث مستوى الثقافة الى طبقات فطقة منهم كانت موفورة الحظ من الاطلاع على اللغة والادب الى جانب الدراسة الدينية وما يتبعها من العلوم اللسانية ٠ وطبقات اخرى كانت على شئ لا يأس به من الاطلاع والدراسة والحفظ ولكنها دون سابقتها في سعة الافق ، ومنهم طبقة لم تكن معروفة بالدراسة المألهة فيما عدا البسيط من النحو وغيره والاطلاع القليل على مصادر الادب القديم ولكنها كانت تمارس الشعر بدافع من الذكاء وبما اتيح لها من مخالطة واستماع ٠ غير أن هذا التقسيم لا يعني أن الطبقة الاولى كانت أشعر من الثانية وأن الثانية كانت أشعر من الثالثة فقد يكون في الاولى شعراء وقد يكون فيهم نظمون ليس لهم حظ من الشعر الا جمع المفردات اللغوية وقد يكون في الطبقة الثالثة شعراء لهم من صدق الحس والاداء ما يجعلهم في الطليعة اذ ليست الميزة بالرصف وتغيير الكلمات الدالة على كثرة الحفظ وإنما الميزة أن يكون الشاعر قادرًا على رسم التجربة بما يلائمها من الالفاظ الدالة الموجبة ، واذا كانت كثرة الحفظ قد تفيض في تغيير الكلمة المناسبة

(٤) الطراز الانفاس ٠ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٧٢ و ٢٧٣ ، وفي ديوان الحبوبي أمثلة كثيرة لذلك ٠

(٥) راجع ديوان السيد ابراهيم الطباطبائي ص ٥٣ ٠

والل蜚ظ الملائم فانها قد توقع الشاعر في حيرة واضطراب فبرد التجربة ويضعف الخيال الناشر مع تلك التجربة أثناء البحث عن الكلمة المتخيرة والل蜚ظ المناسب وقد يدفعه ذلك الى الاغراب في التعبير فيكون لفظيا أكثر منه شاعرا اذا حس وانفعال وصدق ، وقد يدفعه ذلك الى التقليد والمحاكاة والخروج عن البيئة التي يعيش فيها الى بيئه ثانية بعيدة فيستعيض منها الاسماء والاماكن والصور . ولا شك ان الاتراء من اللغة ليس وحده طريق الشعر فقد يكون هذا الاتراء باعتماد على الفموض والإبهام ولقد قال النقاد في (شير) الشاعر الالماني : ان الانفاظ التي استعملها في قصائده وروياته الشعرية كانت قليلة ولكنه بهذه القليل استطاع أن يؤدى معاناته أحسن أداء وأجمله ، بينما كان (غوتيه) معاصره وزميله متريا من اللغة ولكن كثيرا من شعره لا يخلو من الفموض المتعب<sup>(٦)</sup> .

وأنا - حين أضرب مثلا للفموض والوضوح - لا أريد أن أعتقد موازنة بين شاعرين غربين لهما حظ من الثقافة المتقدورة والتفكير النامي وبين شعرا عاشوا في عصر التقليد والمحاكاة وانما أردت أن أقر ما استهدفه النقاد من تقويم الشعر ووزنه بالميزان السليم ووضع كل شاعر حيث يجب أن يوضع ، ولكن ضرب المثل بهذه الشاعرين لا يعني عدم الاستعانة به في بعض الصور التي سجلها شعرا القرن التاسع عشر في العراق فقد يكون من هؤلاء من استحوذت عليه اللغة بمفرداتها الغريبة وكلماتها الخشنة فذابت شاعريته خلال تلك المفردات والكلمات ، وقد يكون منهم من آثر جانب الشاعرية المحضة على تلمس الغريب من المفردات فجري على سجنته غير متلكف ولا متوعر ، غير أنه كان الى جانب هذين الفريقين ثالث لا يمكن أن يوضع الا في عدد النقادين المتلكفين ولكنه تكلف من لا رصيد له من اللغة وسلامة الاداء ، ولعل من نوع (غوتيه) في الاتراء اللغوي وذوبان الشاعرية في وهج المفردات الغامضة عثمان بن سند البصري - اذا صحت المقارنة - فان هذا الشاعر قد أغرق في استعمال

---

(٦) من تقرير لابراهيم عبدالقادر المازنى فى مجلة ( مجمع اللغة العربية ) بالقاهرة الجزء السابع ص ١٩٠ .

الغريب ، مع سعة اطلاعه على اللغة ، حتى فقد - أو كاد يفقد - عنصر الاصاله بما استعمل من مفردات متوعرة لا تسجم مع موسيقى الشعر وأساليبه الصحيحة ، ولا تتفق مع الذوق الذى يريد من الشعر الواضح والبساطة ، ومن أمثلة ذلك قوله فى قصيدة نظمها على لسان السلطان محمود :

اذا ما بـدا نـاب التـواب خـلتـنى

أـنا الرـجل الضـرب الـهـصور الصـلـقـح<sup>(٦)</sup>

وقوله في الوالى داود :

سل الاكراد عنه غادة كروا فلاقوا منه مغوارا وقنب<sup>(٧)</sup>

وقوله فيه أيضا من قصيدة :

عجبت للقوم اذ راعوا مصاعك ما صبحتهم باسود لقنا جحنوا

ومنها :

مذ بلخ الملك محمود همتك الـ سـعـلـيا وـأـنـكـ منـ بـغـدـادـكـ الشـفـنـ

رـنـتـكـ مـنـهـ عـيـونـ العـدـلـ مـنـ أـمـمـ فـخـولـتـكـ بـمـلـكـ مـاـ لـهـ حـجـنـ<sup>(٨)</sup>

فـانـ فـيـ (ـالـصـلـقـحـ)ـ وـ (ـقـنـبـ)ـ وـ (ـجـحـنـواـ)ـ وـ (ـشـفـنـ)ـ وـ (ـحـجـنـ)

اغـراـبـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ شـرـحـ لـغـوـىـ ،ـ وـنـبـواـ عـنـ طـبـيـعـةـ الشـعـرـ .

أما الخروج عن البيئة العراقية إلى غيرها بدافع التقليد والمحاكاة فقد

ابتلى به كثير من كبار الشعراء آنذاك ومنهم السيد ابراهيم الطباطبائى فقد

كان هذا الشاعر كثير التبدي في شعره بينما كان يعيش في النجف ويتردد

على بغداد ، ومن صوره البدوية قوله :

هـدـيـتـ سـرـةـ الـحـىـ مـسـقطـنـاـ الضـالـ أـمـيلـواـ رـقـابـ العـيـسـ فالـركـبـ ضـلـالـ

أـمـيلـواـ بـهـاـعـنـ عـالـيـجـ نـحـوـ لـعـعـ فـلـىـ فـيـ مـحـانـىـ سـفـحـ لـعـمـ آـمـالـ<sup>(٩)</sup>

ولـكـهـ يـقـولـ فـيـ مـكـانـ آخرـ :

بعـسـىـ صـرـتـ قـيـسـاـ وـعـفـتـ الصـمـرـ العـيـسـاـ

(٧) مطالع السعود - الورقة ٩٥ .

(٨) المصدر السابق - الورقة ١٠٦ .

(٩) المصدر نفسه - الورقة ١١٣ .

(١٠) ديوان السيد ابراهيم الطباطبائى - ص ١٩٨ .

ويخاطب صاحبه قائلاً :  
 تركا لك ماكولا ومشروبها وملبوسا  
 ولو تصلح باريس (١١) لقلذناك باريس

فأين باريس من لعلم والضال ؟

وفي شعر السيد محمد سعيد الجبوبي صور بدوية كثيرة مع أنه كان كالطباطبائى يعيش فى النجف ويردد على بغداد وينزع الى التجديد وقد جاہت هذه الصور البدوية حتى في الرثاء (١٢) ولعل للسيد الجبوبي العذر في ذلك فان بعض أسفاره الى نجد والمحاجز قد ترك في خياله آثاراً للbladeية وقد انعكس هذا الاتر في شعره غير أن ذلك كله لا يمنع من الحكم بوجوده فيه ورشاقة اسلوبه ، وقد ذكرت هؤلاء الشعراء - ولاسيما عنمان بن سند والجبوبي - لأضع مثلاً للشعراء الذين عرفوا بالدراسة والاطلاع غير أن الجبوبي كان يتتجنب الوعورة والتلف في شعره وان لم يسلم من المحاكاة والتقليد .

أما بعض الشعراء - أو كثير منهم - من شملتهم هذه الدراسة فقد كان عرضة للوقوع في الاخطاء اللغوية وال نحوية وغيرها وذلك لعدم توفر الدراسة والثقافة ولقلة النقاد الموجهين ، وبسبب هذا كان التفاوت بين بعضهم وبعض كبيراً في الاداء اللفظي وفي سلامة الاسلوب من تلك الاخطاء ، وسلامة الوزن من الخلل والاضطراب ، وهذا يعني أن العصر الذي ندرسه لم يكن شعراً فيه جميعاً قد توفرت لديهم أسباب الشعر وقواعده فان كثيراً منهم - وفي هذا الكثير شعراء بارزون - قد وقع فيما يجب ألا يقع فيه شاعر يحرص على الفن وقواعده ومن هؤلاء عبدالغفار الاخرس فان لهذا الشاعر

(١١) المصدر السابق - ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(١٢) راجع قصيده في رثاء السيد حيدر الحلى في ديوانه وفي مقدمة ديوان السيد حيدر نفسه ، ومنها قوله :  
 الى النزوان العيس تلوى أعننة وهيهات ليست تملك النزوانا  
 وليس تشيم البرق من أبرق الحمى بل قد تشم الشيع والع سبحان

الرقيق أكثر من سقطة في اللغة والنحو وفي الوزن والقافية والأسلوب ومن ذلك قوله في مدح بعض الوجهاء :

ان أيامك أغبر ناد المنى حيث كانت للإماني موسمًا  
نظم الشعر لكم داعيكم فقبل فيك ما قد نظما<sup>(١٣)</sup>

ولعل من الواضح أن أسلوب الستين أقرب ما يكون إلى العامية منه إلى الشعر الفصيح وليس فيه شيء من الدقة والمتانة ، فالتعليل بحيث - كما في البيت الأول - لم يرد في المأثور عن العرب ، وكلمة (داعيكم) في البيت الثاني تعبير عامي ، ثم مخاطبة المفرد بضمير الجماعة ليست من التعبير الشائع إلا في ركيك الشعر ، وفي مكان آخر يخاطب الوالى داود فيقول : فديتك لا ( ترجو ) لنطقى تكلما <sup>(١٤)</sup> فإن يراعى عن لسانى يترجم

فقد أبقى فعل ( ترجو ) على حالته وهو مسبوق بحرف جازم وإذا صححته للشاعر هذا الخطأ وحذفنا حرف العلة فإن ( مفاعيل ) المكتوفة لم ترد في وسط الشطر من عروض الطويل إلا في النادر الضيف ، أما استعمال نطق بمعنى لسان فهو من ضعف اللغة . وفي مكان آخر خرج الآخرين على موسيقى الوزن فقال :

أعد اللهو فإن العود أحمد وأدرها في لجين الكأس عسجد  
واسقنيها قهوة عادية أخبرت عما مضى في ذلك العهد  
أن هذه القصيدة من الرمل ومن العروضة الأولى والضرب الصحيح  
أما القافية فهي مقيدة ساكنة ولكن الشاعر خرج في البيت الثاني عن الضرب  
وسبغ التفعيلة بزيادة حرف وكسر هذه الزيادة في قوله :

في رياض لعبت فيها الصبا وأذاعت سر نشر الشبح والرنيد  
وأردف ذلك في تسعه أبيات أخرى من هذه القصيدة<sup>(١٥)</sup> فأفسد  
موسيقى الشعر . وفي شعر عبدالباقي العمري ما يدل على عدم الغربلة

(١٣) الطراز الانفس - ص ٣٧٤ .

(١٤) المصدر السابق - ص ٣٩١ .

(١٥) المصدر السابق - ص ١٠٢ - ١٠٤ .

والتمحیص ومن ذلك قوله في مدح الشیخ عبدالقادر الکیلانی :  
أنت من العلم في مثل الذى أتیا موسى وعیسی بتوراة وانجیل  
وقوله في القصيدة نفسها :  
و قبل الترب من اعتاب سُدَّته وايد الحضوع بدمع منك مسبول<sup>(١٦)</sup>  
فقد جمع الشاعر في الیت الاول بين الظاهر والضمر في جملة  
(أتیا) ، ووصل في الیت الثاني همزة القطع في فعل الامر (أبد) وجاء  
بكلمة (مسبول) مكان مسبل . وقال في قصيدة اخری يمدح بها أبا حنيفة :  
قد كلفوه للقضاء فأبى ولم (يرضی) وطال بسجنه استمراره<sup>(١٧)</sup>  
وفي هذا الیت أبقى الفعل (يرضی) على حالته وهو مسبوق بحرف  
جازم . ومن تساهله في ضبط العروض ما جاء له في قصيدة يمدح بها  
الامام عليا وأولها :

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا بطن مكة وسط الیت اذ وضعا  
فقد قال فيها :

وأنت أنت الذي الله ما فعلا وأنت أنت الذي الله ما صنعا  
وأنت أنت الذي الله ما وصلا وأنت أنت الذي الله ما قطعوا<sup>(١٨)</sup>

فقد صرخ الشاعر في هذين الیتين بغير حرف الروي الذي يجوز  
التصريح فيه في خلال القصيدة ، ولكن العمرى قد اعتذر عن أخطائه  
واعترف بضعف لغته في بیت من قصيدة أرسلها الى الوالى يحيى الجليل  
عندما كان هذا في الاستانة اذ قال :

فإن لسانى لا كما تعهدونه فقد أعجزته بالتكلم رومه<sup>(١٩)</sup>  
وقد وقع السيد جعفر الحلی في أخطاء مماثلة ومنها قوله :  
حشاشتان التقى كل ترى أن ليس في الآخر كالذى بها<sup>(٢٠)</sup>

(١٦) التریاق الفاروقی ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(١٧) المصدر السابق - ص ٢١٣ .

(١٨) المصدر السابق ص ٩٧ - ١٠٠ .

(١٩) نزهة الدنيا الورقة ١٤٦ .

(٢٠) سحر بابل ص ٧١ .

فجاء بكلمة ( الآخر ) بدل الاخرى . و قوله :

هذاكم ربكم يا رب نجد وأرشدكم الى الطرق النهاج<sup>(٢١)</sup>

ولم يرد في كتب اللغة جمع نهج على نهاج . و قوله :

يهدى لما دبة لها سعة السما ركنت بها عدد التجوم قداح<sup>(٢٢)</sup>

يريد القداح جمع قدح - بفتح الدال - أما الجمع الذي استعمله

فهو لقداح بكسر القاف وسكون الدال وهو هنا غير مناسب ولا معنى

له . و قوله :

هل يصلح الناس لعليه بلي فصالح للمسكرمات صالح<sup>(٢٣)</sup>

والمعروف في التحو أن ( بلي ) حرف جواب يأتي بعد الكلام

المبني فيه .

وهذه الأمثلة التي ذكرتها ليست كل شيء مما وقع في الشعراء من أخطاء وإنما هي من أبرز ما وقع في المشاهير منهم وقد سقتها للاستدلال على قلة التمحص والغرابة والنقد . ولكن هذا كله لا يعني أن الذوق الأدبي كان غير موجود وإن التمييز بين الفث والسمين وبين القوى والضعف كان مفقودا فقد وجدنا بعض الشعراء يضع نفسه ميزانا للشعر ويحكم بين الأساليب ويفضل شاعرا على آخر تفضيلا فيه سلامنة الذوق وحسن التأثير ومن ذلك قول السيد ابراهيم الطباطبائي :

فقل قول من يرضى الرضى فيتعل

وقد قول من يصفى الصفي فيسفل<sup>(٢٤)</sup>

فإن الشاعر هنا يعترف للشريف الرضي بالقوة والاصالة ويبحث على

اتباع أسلوبه بينما لا يرى في شعر صفي الدين الحلى غير التسفل . ويعتقد

عثمان بن سند أبيانا للشيخ صالح التميمي من قصيدة قالها في مدح الوالى

داود عندما ختن ولده يوسف سنة ١٢٣٥ هـ ومما نقله قوله :

(٢١) المصدر السابق ص ١١٠ .

(٢٢) المصدر السابق ص ١٢٠ .

(٢٣) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

(٢٤) ديوان الطباطبائي ص ٢٠٢ .

تسربل حلما فوقه تاج قدرة      تسربل منه الجهل قيس وأحنف  
 وقد عد عنمان هذا اليت ذما لان تاج القدرة قد ألبس قيسا والاحنف  
 جهلا فهو اذن تاج جاهل      وقوله في وصف سطوة المدوح :  
 اذا وعدت حبا يكاد وعيدها      اذا ما قضى أمرا له العفو يخلف  
 وقد نقه بقوله : ان خبر ( يكاد ) جملة ( يخلف ) وهذا الفعل لم  
 يرفع ضمير اسم ( يكاد ) بل رفع ضمير العفو      وقوله :  
 رأت طهره والطهر للرجس داحض      بدار وبعض القوم بالطهر سوفوا  
 والطهر لم يأت في اللغة بمعنى الختان<sup>(٢٥)</sup> ، وأضيف الى هذا القدر  
 بأن كلمة ( الطهر ) شاعت في عامية العراق بمعنى الختان . ومن هذا يستدل  
 على أن لعنمان بن سند تقافة تؤهله لأن يكون حكما في دراسة الشعر مع أن  
 التميمي كان أشعر منه بكثير . ومع أن للتميمي رأيا في الشعر ساقه في  
 قصيدة أرسلها إلى الوالي داود بعد أن نفي إلى الاستانة ، وكانت هذه القصيدة  
 ردًا على ( خالية ) بطرس كرامة<sup>(٢٦)</sup> وقد جاء فيها للتميمي قوله :

اما وعلوم ضمها صدرك الذي      براء الله العرش للمسلم اذ برأ  
 لحم غير صير ( الحال ) قبله      مكان القوافي بالقوافي مكررا  
 لعمرك ما كعب ولا الشيخ قبله      زهير بتكرار الروى تصدرا  
 ولست أرى المصنوع الا مؤمرا      ولست أرى المطبوع الا مؤمرا  
 وما الشعر الا ما أبانت صدوره      قوافيه لا ما السمع فيه تغيرا  
 وغنى به الساقى على الكأس آخذنا      عليك وان لم تشرب الكأس أسكرا<sup>(٢٧)</sup>  
 فالشيخ صالح التميمي يميز هنا بين الأصالة والتقليد وبين الطبع

(٢٥) راجع القصيدة والتعليق عليها في ( مطالع السعود ) الورقتان : ١٢٣ و ١٢٤ .

(٢٦) بطرس كرامة شاعر لبناني وقد ارسل إلى داود قصيدة قافية لها  
 كلمة ( الحال ) مكررة في كل الأبيات فطلب داود من الشعراء مباراتها .  
 راجع ( روض الخل والخليل - ديوان السيد عبدالجليل ) ص ١٦٧ - ١٧٢  
 طبع مصر .

(٢٧) راجع ديوان التميمي المخطوط ص ٣٩ - ٢٨ والمطبوع ص  
 ٥٧ - وروض الخل والخليل ص ١٦٧ - ١٧٢ طبع مصر .

والصنعة ويدرك الى حد كبير ميزة الشعر وأثره في النفوس وأنه ليس  
نظمًا مكرر الروى ، ولم يكفي التميي ب لهذا بل أراد أن يكون قوى الحجة  
حين ذكر كعبا وأباء زهيرا للتدليل على اصالة الشعر ، ولكن هذا كله لم يمنع  
التميي من الوقوع في الاخطاء التي لم يسلم منها شعره ولا سيما تلك التي  
تصل باللغة وال نحو .

#### صدق الشعور والإداء :

الاثر الشعري - أو أثر أدبي - تجربة تجول في خاطر الشاعر  
تم يدفعها الى الاطار الخارجي بكلمات معبرة موحبة ولابد لهذه التجربة من  
عاطفة وخيال وموسيقى ولا بد أن تساوى هذه في العمل الادبي لتحول  
التجربة الى قصيدة أو مقطوعة أو بيت وليس كل الشعر قد تتوفر فيه هذه  
الخصائص فقد تكون القصيدة ذات عاطفة وانفعال وخيال محلق ولكن  
موسيقاه اللغظية لا تتساوق مع العاطفة والخيال وقد تكون الموسيقى ذات  
رين وايقاع ولكنها لا تعبر عن عاطفة صادقة أو خيال مشرق وقد تلتقي  
العاطفة والموسيقى في تجربة لا يسهم الخيال في عملها ، ولا شك أن الاثر  
الادبي هو الذي تتوفر فيه هذه الخصائص الثلاث غير أنه لا يكون كاملا  
ما لم تسنده حرية النفس في التناول والإداء ولكن هذه الحرية قلما تناح  
للشاعر في كل موضوع يتناوله فقد يكون مبدعا في الغزل والرثاء في حين  
يكون مخفقا في تناول القضايا السياسية أو في وصف ناحية من نواحي  
المجتمع ، وسر الابداع هناك صفاء الحسن وتتوفر الحرية النفسية في تناول  
التجربة ، وسبب الاخفاق هنا ضعف الحرية النفسية في نقل التجربة الى  
اطارها الخارجي ، فلابد حينئذ لكل عمل أدبي كامل من حرية تامة تتساوق  
مع مستوى التجربة وهذه الحرية هي التي تدفع العاطفة الى الصدق ،  
والخيال الى الابداع ، والموسيقى الى الرين والمطلاوعة . أما الشعر العراقي  
فقد كان نصيه من الاثر الادبي الكامل يختلف باختلاف الموضوعات  
وباختلاف البيئات والازمان وباختلاف الشعراء ونفسياتهم وثقافاتهم أيضا ،  
هذا اذا تسامحنا في الحكم والتقدير أما في الواقع فإن الاثر الادبي الكامل

قد يبدو مهزوز الكيان في شعر القرن التاسع عشر ذلك لأن الثقافة لم تكن على مستوى عال يتبع للشاعر أن يتصرف في الألفاظ والتعابير كما يشاء فلائم بين عناصر التجربة كما يجب ، ولكننا على كل حال لا نعدم في شعر القرن التاسع عشر صوراً تبدو فيها خلل الابداع الى حد كبير كما في بعض مراثي السيد حيدر الحلبي للامام الحسين أو في كثير منها ، وإذا استثنينا هذه المراثي فاننا قد لا نشعر بالصورة الكاملة فيما ترک لنا شعراء العراق في القرن التاسع عشر ما دمنا قد قيدنا الآخر الادبي بهذه الشخصيات اذ ليس من الممكن أن تلتقط هذه الشخصيات في أدب عصر غير واسع الثقافة ولا موقر الحرية وإذا كانت الحرية والموسيقى قد التقينا في بعض الموضوعات كخمريات الجنوبي أو غراميات الشيخ عباس النجفي<sup>(٢٨)</sup> فإن صدق العاطفة عند الاول يبدو ضعيفاً كضعف الخيال عند الثاني ، أما انفعالات الآخرين ووبئات احساسه وعاطفته في الكثير من ذاتياته فانها تفتقر الى عنصر الحرية في تناول الاشياء التي سببت له المتاعب والآلام وان كان حر النفس فيما نظم من وصف ملاهيء ومحافل سروره<sup>(٢٩)</sup> ومن ثم بقية الشعراء الذين تناولوا الموضوعات السياسية في غير جانب الدولة أما ما كان منها في جانب الدولة فإنه يحتاج في معظمها الى صدق العاطفة والانفعال وفي كثير منه الى التعبير المناسب والاداء المطابع وهذه كلها غير متوفرة لدى الشعراء \*

#### القديم والجديد :

الشعر تجارب لا تجول الا في حدود نفس الشاعر ومداركه ولا تتطلق الا في آفاق اليثة التي يحيا فيها وينتقل بين مناظرها ومشاهدتها فلا يرسم الا ما تقع عليه عينه ولا يحس الا بما يدفعه اليه ادراكه وتفكيره ، وهما – أى الادراك والتفكير – ليسا على وقمة واحدة عند الشاعر فقد

(٢٨) هو الشاعر العاشق صاحب القصيدة التي يقول فيها :

عديني وامطل وعدي عديني ودينى بالصباية فهى دينى

رابع قصته وقصيده في ( نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر )  
ص ٢١٠ - ٢١٨

(٢٩) راجع الطراز الانفس ص ٢٤٢ - ٢٤٣

يختلفان قوة وضعفاً باختلاف الثقافة والاطلاع والانتقال من سن الى سن وفي أدبنا العربي أمثلة كثيرة لهذا التعريف فشعر المتibi في صباه أقل عمقاً وتفكيراً من شعره بعد أن تجاوز الثلاثين ٠ وشعر المعري في اللزوميات غير شعره في سقط الزند فالاول حافل بالمعانى والافكار الفلسفية والاجتماعية والثانى تقليدى ترسى فيه خطأ من قبله من شعراء العموديين ، ومثل هؤلاء من شعراء العصر الحديث البارودى واسماعيل صبرى فى مصر فان الاول منهما بدأ شعره مقلداً متاراً بمن سبقه من القدماء ثم استطاع أن يجدد وأن يضيف الى الصور المكتسبة صور طبيعية من نفسه أما الثانى فقد بدأ النظم بأسلوب تقليدى يبدو عليه الضعف ثم استطاع أن يرتفع الى القمة فى مرحلته الثانية ، وكثيراً ما ينطبق هذا التعريف على شاعرين بينما تقارب فى الزمن فابن الرومى - مثلاً - غير البحترى فى عمق المعانى ودقة الصور ومتنهما فى القرن التاسع عشر الشيخ ناصيف اليازجى وابنه الشيخ ابراهيم فى تفاوت الاسلوب والموضوع فان الاول كان مقلداً ظاهر التكلف قد ملأه شعره الكلمات القديمة من الرقمن والاراك وحاجز<sup>(٣٠)</sup> بينما كان يعيش فى لبنان ، أما ابنه الشيخ ابراهيم فهو صاحب القصيدة التورية المعروفة التي يقول فيها :

تبهوا واستفيفوا أيها العرب  
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب<sup>(٣١)</sup>

وفي ظل هذا التعريف للقديم والجديد نستطيع أن نحدد مسارب الشعر العراقي فى القرن التاسع عشر ونحن فيما فرأناه من هذا الشعر يمكننا القول بأن شعراء العراق فى هذا القرن ليسوا على شيء كبير من الادراك فى اختيار المادة فقد كانت الثقافة الموجهة ثقافة ضيقة ليس فيها شيء من التيارات الحديثة التي لمستها مصر ولبنان وسوريا ولذلك بقيت الموضوعات

(٣٠) راجع ( ثالث القمرین ) ص ٢٤ و ٨١ طبع بيروت سنة ١٨٨٣ م ٠

(٣١) راجع ( العقد ) ديوان ابراهيم اليازجى ص ٥٦ - ٥٩ طبع البرازيل ٠

القديمة قدوة الشعراء العراقيين وأمثالهم المفضلة ، والاساليب القديمة قوالبهم المختارة أما التجديد والابتكار فلا شيء منها غير النادر القليل ، وهذا القليل لم تظهر فيه الدقة الفنية التي تناسب المادة المتاخرة للعمل الادبي فقد وصفوا بعض المخترعات الحديثة<sup>(٣٢)</sup> التي شاهدوها في العراق ولكن وصفهم كان مقصورا على المفهوم العام وليس فيه نفاذ الى الجذور والدقائق وكثيرا ما يستعينون على هذا الوصف والتسيهات القديمة المعروفة ، ومن ثم يمكن القول بأن البيئة وحدها ليست من مقومات الشاعر بل هي مستودع يتزود منه مادة العمل ولكن تحويل تلك المادة الى صور تستوقف بالوانها وخطوطها واطارها وبما فيها من جمال وتعبير اما يتوقف على حس الشاعر وادراكه وعلى فكره الوعي المنلجم ولا بد لهذا كله من دراسة واطلاع ولا بد من ثقافة حديثة متغيرة تتمى الادراك وتفند الخيال والشعور وتقوى ملكة الاستقلال في العمل والتجدد في وضع الخطوط والالوان والقوالب ، غير أن شعراء العراق اذا فاتهم التطور والتجدد في الموضوعات والمعانى<sup>(٣٣)</sup> فان لهم من الاساليب والتعابير ما يجعلهم في القمة بين شعراء مصر والشام ولبنان ، ولعل مجموع الشعر في العراق افضل في هذه الناحية من مجموع الشعر في الاقطاع العربية الاخرى اذا استثنينا البارودي<sup>(٣٤)</sup> .

(٣٢) أشرنا الى المراجع في الموسوعي : ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ من الفصل الثالث - الباب الاول .

(٣٣) من مظاهر التجديد الذي ظهر في مصر أناشيد الشيخ رفاعة الطهطاوى وان لم تكن قوية الاداء . ( في الادب الحديث ص ٢٩ ج ١ ط ٢ ) ومن مظاهر التجديد في الشعر السياسي قصائد الشيخ ابراهيم اليازجي ( العقد ص ٥٦ - ٦٣ ) وقصيدة الياس صالح اللبناني المتوفى سنة ١٨٩٥ ( ترجم مشاهير الشرق ص ٢٨٧ ج ٢ ط ٣ ) .

(٣٤) ظهر في اواخر القرن التاسع عشر في العراق ثلاثة شعراء ولكن تجديدهم لم يظهر الا في القرن العشرين وهم الشيخ محمد جواد الشبيبي والشيخ عبد المحسن الكاظمي وجميل صدقى الزهاوى ، وكان تجديد الاول والثانى فى الموضوعات على الافکار اما الثالث فقد جدد فى المعانى والافکار ايضا وان كان اسلوبه وأداؤه دون سابقيه على ان ظهور التجديد عنده فى القرن العشرين لم يمنع من بعض المحاولات التى ظهرت له فى اواخر القرن التاسع عشر .

## القيم الموضوعية والفنية في الشعر السياسي :

لعل في تلك الدراسة العامة التي قدمتها عن الشعر والشعراء ما يساعد على البحث في الشعر السياسي لأنـه كال موضوعات الأخرى من حيث القوة والضعف في مسارب الشعور والعاطفة ، وفي ظلال الصدق والانفعال ، وهو منها في جمال الفن والأسلوب وفي ضعف هذين أيضاً .

ولما كان الشعر السياسي قد قسم إلى أربعة فصول فإن الحكم على الناحية الموضوعية فيه ليس بحكم واحد بل هو متعدد بتنوع الاتجاهات والملابسات والواقع ، وأود في هذه الدراسة أن أتناول كل فصل على حدة .

## الشعر والحوادث الوهابية :

إن الشعر الذي قيل في الحوادث الوهابية قد تنوّع أهدافه وتعددت جوانبه ولم يتّساو فيه الشعراء من حيث الدوافع والبواعث ، فقد كان بعضهم مندفعاً بتأثير العقيدة كالكعبى والازرى ، وبعضهم كان مندفعاً بتأثير التقرب للدولة والولاة ، والطمع بشيء من العطف والقبول كالأخرين والعمريين وكل من نظم في حملة الوالى مدحه وهؤلاء لم يخرجوا عن حدود المدح إلا في القليل . وبعضهم جمع بين الدين والسياسة كعثمان بن سند فقد نظر هذا إلى الوهابيين من زاوية الدين فشنع بهم ورميـهم بالزيف والضلـال ، ونظر إلى أعمال الدولة من زاوية التقرب والتـعصب للسلطيـن والولاـة فمدحـهم وأثنى على أعمالـهم المناهضة للحركات الوهابية ، وهو في الشـق الأول يلتـقى مع الكعبـى والازرى ، وفي الشـق الثـانـى يلتـقى مع بقـية الشـعـراء المـدـاحـين .

وـشـاعـر واحد سـارـ في رـكـابـ الدـعـوـةـ الوـهـابـيـةـ وهو السـيدـ عـبدـالـجـيلـ البـصـرىـ . وـقـدـ مرـ فيـ الفـصـلـ ذـاـتهـ اـيـضـاـ تـارـيـخـيـ لـماـ رـاقـ شـعـرـ عـبدـالـجـيلـ وـفـيـ ذـلـكـ الـايـضـاـ ماـ يـكـشـفـ عـنـ دـوـافـعـهـ التـىـ لـمـ تـكـنـ عـنـ شـعـورـ صـادـقـ .

وـمـجـمـلـ ماـ يـقـالـ عـنـ هـذـاـ شـعـرـ سـوـاـ أـكـانـ ضـدـ الـوهـابـيـنـ أـمـ كـانـ بـجـابـهـ لـيـسـ فـيـ مـعـانـىـ مـاـ يـتـنـاسـبـ مـعـ ذـلـكـ الـانـدـفـاعـ وـتـلـكـ الـكـثـرـةـ الـمـتـوـعـةـ

الصور ، وهو لا يستطيع أن سجل موضوعا هاما في الشعر السياسي إلا يكونه جديدا في تاريخ الأدب لانه ظهر بظهور الدعوة الوهابية ، وبكونه يستطيع أن يؤلف مادة من مواد التاريخ الأدبي الحديث ويساعد على دراسة الحوادث الوهابية من حيث أثرها في العراق وصداها في نفوس الشعراء ٠

ولا اريد أن استعيد شيئا منه في الدراسة الموضوعية فانه قد أخذ نصيه منها في أثناء العرض العام هناك ٠ ولكنني أود أن أقف منه بعض الملاحظات في الدراسة الفنية لأرى ما له من نصيب ازاء الموضوعات الأخرى ، وما لكل شاعر من حظ في الاداء والتعبير ٠

لقد كان هذا الشعر من الوجهة الفنية يتفاوت بين الوسط والضعف وليس فيه من الاداء الفظوي ما يسمى به الى مستوى الكثير من شعر الفصول الاخرى لأن الذين تناولوه لم يكونوا كلهم من طبقة المشاهير الذين ترددت اسماؤهم في بقية الفصول ، فقد كان هؤلاء أربعة عشر شاعرا اثنان منهم تلاقيا في الفكر وتقاربا في الاسلوب وهما هاشم الكعبى ومحمد رضا الازرى ، ولكن هذين ليسا من مشاهير الشعراء ، وأربعة ترددت اسماؤهم في الدراسات العامة وكان لهم شأن في البحث وهم عثمان بن سند البصري الوائلى وصالح التميمي والاخرين وابراهيم الطباطبائى وتلاته يعدون فى الطبقة الوسطى وهم حسين الحكيم الحلى وأحمد عزة ومحمد أمين العمريان ، وتلاته لم يكونوا سوى نظامين وهم أبو الحسن كونر وأحمد رشدى والشيخ فليح ، وواحد مجھول الاسم ولكنه فى عداد الطبقة الوسطى ، والآخر هو السيد عبدالجليل البصري الطباطبائى الذى سار وحده في ركب الدعوة الوهابية ٠

أما الكعبى فقد جاءت له قصيدة واحدة في حادثة كربلا بدأها بمعطع

تقليدي النسج وهو :

أنت الملوم فمن يكون الأموما فلك الفلاما هيما ممسوٰ اللئى واستمر بعد ذلك يسرد الحادثة ويحشد لها الالفاظ الحزينة الباكية وكان فى سرده يصدع مرة ويهدى أخرى ولكنه كان متماساً بين الصعود

والهبوط وهذا التماسك ساعده على تضيق الفجوات الصوتية في سلم  
الاداء • هبط في المقدمة :

يا سعد قف بي في المنازل ساعة نبكي فربت عبرة تروى ظما  
وتصعد في الوسط حين تحدث عن كربلاء :  
فإذا الرزايا لا تزال بربعها فذا تطرق بالخطوب وتواما  
وتماسك في التحرير على الدفاع :  
ان كان همك ليس الا بالبكاء ف تكون نائحة وتسمع مغرما  
ثم صعد مباشرة :

فلم ادخلت من السيف مصمما لكربيه ومن الرماح مقوما<sup>(٣٥)</sup>

واحسب ان هذا الصعود الصوتى انما جاء من التضييف فى بعض  
الكلمات ، والتضييف يكسب البناء م坦ة وقوة أما أن تعابيره كانت تمثل  
جانب التقليد فذلك شئ واضح • وأما الاذرى فقد جاءت له ثلاث قصائد  
لا يختلف اسلوبها التقليدى عن اسلوب الكعبى ، فقد كان الشاعر يتماسك  
حيانا وبهبط حينا آخر وقد يصعد في بعض الاحيان • تماسك في قوله :  
فيما قائد الجيش العرم رسم سجه تراهر عن ليل من النقع أليلا  
ثم هبط بعد هذا البيت مباشرة :

الام وها خاق الزمان بوافد يضج ولا ساح يجير ولا ولا<sup>(٣٦)</sup>  
أما الصعود فقد جاء في قصيدة الثالثة وذلك في قوله وهو يهدى  
خصوصه :

وسرعان نزجها اليكم كثبا صواعقها يضن الغلبى والعواasil  
عليها من الفتیان كل موحد أشئ طوبل الساعدين حلحل

\* \* \*

واسه صباح المندرین اذا هوت صواعقها في ارضكم والزلزال<sup>(٣٧)</sup>  
والسيد حسين الحكيم جاءت له قصيدة واحدة يدل مطلعها على ذخيرة

(٣٥) راجع ص ١٢٣ و ١٢٤ .

(٣٦) راجع ص ١٢٦ .

(٣٧) راجع ص ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ .

لغالية وجودة في الاختيار . وهو قوله يخاطب الكت الخدا :

أقفت اعوجاج الملك بالسيف والعزم      وشيدت ركيه على مفرق التجم<sup>(٣٨)</sup>  
وأما عثمان بن سند فقد أكثر من النظم في هذه الحوادث ولكن ما  
نظمه لا يدل على اصالة فية ولا على شاعرية سمححة الاسلوب ، فان ذخيرته  
اللغوية التي عرف بها كانت تسند في صحة التعبير وسلامتها من العيوب  
ولكها لم تسعفه في التسقق والاسجام . ومن ذلك قوله في حادثة الخيانة  
التي وقعت في جيش الكت الخدا :

أسلتمهم للنائبات رجال      عن هدى الله للمطامع مالوا  
واستحلوا مال الوزير وقالوا      ان مال الوزير الله مال  
أبطلوا الغش للوزير وراموا      كل ما فيه للوزير اختلال<sup>(٣٩)</sup>  
فإن الجناس بين (مالوا) و (مال) في قافية متاليتين ، وتكرار كلمة  
(الوزير) أربع مرات في بين متاليين أيضا ليس الا من طبيعة النظالمين  
المتكلفين لا الشعراء المجيدين .  
وقوله في حادثة كربلاء :

سفك الدماء وظن أن صنيعه ينجيه  
ولقد تجاوز حده في كل ما يجنه<sup>(٤٠)</sup>  
وهذا البستان لم يخلوا من الجناس الذي جاء ناقصا في قافية  
متابعين .

ولكن ابن سند لم يفته الاداء الحسن في بعض ما نظمه كقوله في  
 مدح السلطان محمود :

أمطرت «عارضهم» بعارض بندق      فجرى به واديهم فتدمرا

\* \* \*

فتافس الحرمان منك بعادل      أمضى من الليث المصور وأغيرا<sup>(٤١)</sup>

(٣٨) راجع ص ١٢٨ .

(٣٩) راجع ص ١٣٠ و ١٣١ .

(٤٠) راجع ص ١٢١ .

(٤١) راجع ص ١٣٤ .

ولم يكن للتميي غير بيتين أشرت الى قيمتها الفنية في مكانهما  
هناك<sup>(٤٢)</sup> .

اما الاخرين فقد كان غير قليل النظم في هذه الحوادث غير أن شعره  
هذا لم يستطع أن يشب به الى السلم الذي وقف عنده في موضوعات الحماسة  
والشکوى والثورة النفسية . ولعله في ذلك لم يكن متاثرا بالجو أو منفعلا  
مع الحوادث ، قوله في مدح الوالى مدحه :

سعدت نجد اذا وافت نجدا بقدوم منك اقبالا وسعدنا  
أقبل الخير عليهما كلها منجزا فيك بلطف الله وعدنا  
وأراد الله أن يعصمهما من شرار كادت الاشرار كيدا  
من الشعر الوسط الذى لم يخل من ركة فى بعض الالفاظ التي لا  
مكان لها في سياق الاسلوب فقد وضع الشاعر (في) الظرفية مكان (باء)  
السببية في البيت الثاني وجاء بكلمة (كيد) قافية في البيت الثالث واستعمال  
الثلاثي معتل الوسط بالواو أو بالياء لم يرد في قوافي الشعر الاصليل .  
وقد أعجزه التمحص في قوله :

اذ تصدت لأمر لم نجد قبل عليك له من يتصدى<sup>(٤٣)</sup>

فإن استعمال المستقبل في المعانى الماضية دليل على اضطراب الازمنة  
في ذهن الشاعر وعدم تحديدها عنده وان كان من الممكن توجيه المعنى  
توجيها مقبولا ، أما كلمة (علياك) فقد اقحمت في البيت اقحاما ، ولكن  
الاخرين لم يفقد شاعريته السمححة في قصيده التي مدح بها نقيب  
البصرة اذ قال :

لقد كفى العسكر المنصور نائبة      تجنوا لها نوب الدنيا على الركب  
وقومت كل معوج صوارمه      وسكت منذ وافي كل مضطرب<sup>(٤٤)</sup>  
وقد دل الاخرين على ذكاء وفطنة في البيت الاول اذ احترس بكلمة

٤٢) راجع ص ١٣٤ .

٤٣) راجع ص ١٣٥ .

٤٤) راجع ص ١٣٧ .

(المنصور) لثلا يفسر كلامه تفسيرا يناسب فيه الضعف الى الجيش الذي ذهب الى الاحساد •

أما الشعراء الآخرون فلا حاجة للوقوف عندهم لأنهم دون مستوى هؤلاء الذين استعرضت لهم بعض ما قالوا ولأن ما جاء لهم من الشعر لم يكن في كمه الا مثل كيفه فقد كان طابع الاسفاف والانحدار الى المعانى العامية المبتذلة يغلب على شعرهم ولعل من أمثلة ذلك قول محمد أمين العمري وهو يخاطب الوالي ( مدحه ) :

فاتعم ظل الله سيفا مجوهرا عليك به أنف الشقاوة تجدع<sup>(٤٥)</sup>

فإن نصب السيف هنا غير مستساغ واستعمال كلمة ( الشقاوة ) إنما جاء من التأثير التركى فانها قد أطلقت فى هذا العصر على المجرمين واللصوص فى حين أنها ليست كذلك فى اللغة اذ هي تقىض السعادة •

ولكن واحدا من بقوا لا يجوز استثناؤه من المتقدمين ولا يجوز حشره مع المتخلفين وهو السيد ابراهيم الطاطبائى فان هذا فى مقطوعته التى نظمها فى مدح السلطان عبدالعزيز لم يكن شاعرا كما كان فى كثير من قصائده القوية ، بل كان فى هذه المقطوعة ناظما متتكلفا صعب القافية ، ولعل البيت الاول يكفى للدلالة على هذا الحكم ، وهو قوله :

أعز ملوكتنا عبدالعزيز أذل عداء بالاسل العزيز<sup>(٤٦)</sup>

ويخيل الى ان الذى ساق الشاعر الى هذه القافية الثقيلة اسم ( عبدالعزيز ) • أما الجناس فهو دليل آخر على الكلف والصناعة •

واما السيد عبدالجليل البصري شاعر الدعوة الوهابية من بين شعراء العراق فان دراسة شعره هنا لا تعنى أكثر من اعادة الرأى مرة ثانية فقد أخذ فى الفصل نفسه حظه من هذه الدراسة • وكل ما يقال فيه هنا : انه

(٤٥) راجع ص ١٤٠ •

(٤٦) راجع ص ١٤١ •

من طبقة النظامين الضعفاء ، ويكتفى أن نستدل على ذلك بقوله :

تبارك يا مولى الملوك الأعظم

و (عزيرت) يا مبدى الجميل و راحمي<sup>(٤٧)</sup>

وقد ذكرت في مكان البيت هناك ان الشاعر قلب (الزاي) ياءا في الفعل (عزر) لأن الشاعر لم يسلم من تأثير العامية •

وقوله في قصيدة أخرى موجهة إلى فيصل بن تركي :

وأنهى إيلك الحال مذ غبت غالنا بغيتك الدهر العبوس على عمد<sup>(٤٨)</sup>

### الشعر بين الحس العربي والشكوى :

في هذا الشعر من الخصائص الموضوعية ما يسمى به إلى حد بعيد غير أن هذه الخصائص لم تتوفر لكل شاعر من شعراء هذا الموضوع لأنهم سلكوا فيه مسالك مختلفة وإن كانت كلها تلتقي عند نقطة التذمر من الحياة والتشكي من الضيم والذل ، وقد رافق هؤلاء الشعراء جميعاً قلق نفسى واضح ظهر فى كثير من الصور الشاكية المتألمة ، وليس لهذا القلق النفسي من سبب غير اضطراب السياسة وتفكك المجتمع وعدم الاستقرار والاطمئنان ، وضيق مسالك العيش الكريم ، وقد كان هذا كله من بواعث الانفاسات الحادة التي تجاوب في معظمها أسلوب التعبير مع ثورة النفس • وقد أوضحت في مقدمة الفصل نفسه جانبًا كبيرًا من طريقة العرض التي سلكها الشعراء في تصوير الظلم والذل ، وأضيف إلى ذلك أن كثيراً من هذا الشعر كان يفقد عنصر الحرية التامة ويقف عند حدود الذات ، ذات الشاعر وشخصيته دون أن يتجاوزها إلى المفهور العام أو يلمس الحقائق في صورها وأسبابها • وعنصر الحرية النفسية عامل هام في معالجة المفاسد السياسية والاجتماعية ونقد الأساليب الموجعة ، وقد من أن شعراء العراق كانوا مأخذتين بياد الحكم ومندفعين في ركاب الدولة الإسلامية ، وكانوا بعدين

(٤٧) راجع ص ١٤٣ •

(٤٨) راجع ص ١٤٧ •

عن آفاق التطور التي أتيح لغيرهم أن يدرك مداها القريب والبعيد ، وبتأثير ذلك كله اضطرب شعراً العراق بين الخوف من الحرية وبين الجمود العقلي فلم تتطور عندهم حرية النفس الى الصراحة والجرأة ، بل وقفوا عند حدود الشكوى والالم وتردد كلمات الذل والفضيحة والتهديد بحمل السلاح وخوض المعركة ولكنهم لم يشاروا الى مصدر الذل والفضيحة الا القليل منهم من بلغ به التذمر درجة لا يستطيع معها كبت الانفجار ، وهذا القليل لا يصور الا جزءاً يسيراً من مقاصد الحكم الذي طغى واستشرى ، وأود أن أشير في مقدمة هذه الدراسة الى أبرز الصور التي يمكن أن تعد من الشعر السياسي الواضح في نورته على الفلم والمساوي لأدلة على أهم ما في هذا الشعر من موضوعية أخذت خطها من حرية الانتلاق وان كانت في خطرات قليلة .

لقد كان الآخرين من أكثر الشعراء ألمًا وشكوى ، وأقدرهم تصويراً لذلك الألم وتلك الشكوى حتى ليكاد ينفعل معه ويستجيب له كل من يقف على تاريخ القرن التاسع عشر في العراق ، ولكنه كان يطل من نافذة ضيقة فلا يعرف من السخط غير ذم الحياة وبغداد وال伊拉克 والسكان ، وغير التعبير عن ألمه الثاني من تجهم الحياة في وجهه والتواه طرق المعيشة أمامه ، ونقل لسانه الذي قد يكون عاملاً نفسياً آخر ، غير أن لهذا الشاعر بعض الوثبات العامة التي لم تتفق عند حدود الذات ، ومن ذلك قوله :

بلد كبار ملوكه بقر صاروا ولاة النهى والأمر<sup>(٤٩)</sup>  
فإن هذا البيت صورة صادقة للحكم في بغداد آنذاك ، وليس فيه إلا الواقع الذي لا ينكر ، ومن ذا ينكر أن الكثرين من الولاة والحكام والموظفين كانوا جهله حمقى وإذا لم يكن كل ذلك فيهم فهم - على الأقل - ليسوا من جنس المحكومين .

ولقد وقف الآخرين وقفات أخرى ليس فيها صراحة هذا البيت

(٤٩) راجع ص ١٥٨ .

ولكنها تنطوي على فكرة قوية وتجربة حادة توحى بما كان يحس به الشاعر من خلُم وذل ، كقوله :

ألم يحزن الآبى نفوس تطامت  
وأعظم بها دهاء وهى عظيمة اذا اكتفى الصراغ بالذل غابه  
منى ينجلى هذا الفلام الذى أرى ويكشف عن وجه الصباح نقابه<sup>(٥٠)</sup> ؟  
لعل أى واقعى من الشعراء لا يأتى بأكتر من هذا التصوير للذل الذى  
خضع له حتى رؤوس القوم • ولعل أى واقعى يتساءل عن نهاية الفلام  
لا يتجاوز حدود استفهام الآخرين ، ولكن الشاعر - كما قلت - لم يكن  
فيلسوفاً مفكراً يتناول الأشياء بمنظارها العامة ويعمق في جذورها وعناصرها  
ويشرح أسبابها وبراعتها لأن ذلك يحتاج إلى حرية تامة ، تدفع إلى التحليل  
والعلاج من كل النواحي •

ومثل الآخرين في ضيق النافذة غيره من الشعراء ، وهم مثله أيضاً في  
قلة الخطرات الجريئة ، فالسيد صالح القزويني كان صريحاً في بيت واحد ،  
وكان في هذا البيت أكثر صراحة من الآخرين ولكنه لم يكن قوى الانفعال  
مثله ، أما البيت فهو :

### وكم للمرأة الترك هتك لحرمة

لأهل النهى ، والغدر من شيم الترك<sup>(٥١)</sup>  
والفرق بين الشاعرين ان الآخرين كان يعنيه ما يجري في العراق أو  
في بغداد على الأقل ولا يهمه شأن الترك في أى مكان آخر أما القزويني  
فأنه لم يجعل للقضية سورة - على حد تعبير المناطقة - بل جعلها مطلقة  
تشمل جميع الترك في هذا الحكم الذي رأه وهو انهم هاتكون غادرون ،  
ولكن القزويني لا يفقد العذر أو الدليل على حكمه لأنه ابن بيته التي عاش  
فيها وشهد مراحل الحكم عشرات السنين ، فلم ير من الترك في العراق  
غير ما عبر عنه في هذا البيت •

(٥٠) راجع ص ١٥٨ •

(٥١) راجع ص ١٧٧

وأحمد الشاوي كان جريئاً صريحاً إلا أنه كان مقتضاها فلم تكن نورته الواقعية إلا في لحظة خاطفة ولكنها من أخطر اللحظات في حركة الشعور، وكانت الصورة التي رسمها أشبه شيء بالمسافة المتوجحة بين المعادن الأخرى ولكن تسلم لهذا التشبيه قوته أعيد تلك الصورة وهي :

امحترمي رب المنون ولم اكن  
لادرك للإسلام ثاراً من الشرك  
وابرد من صهب العشرين غلتى  
واشفى واستشفى بسيفى من الترك<sup>(٥٢)</sup>

ولكن الشاوي لم يوضح الأسباب التي دعته إلى هذه الثورة على الترك ورميهم بالشرك - وهم مسلمون - ولم يبين لنا لماذا يتمنى أن يبرد غلته منهم بالسيف ، فقد يكون مسوقاً بثورة نفسية في حدود ذاته وشخصه ، والواقع إننا لا نطالب الشاعر بأكثر من هذا ما دمنا قد عرفنا تاريخ الحكم العثماني في العراق ، وما دمنا قد ألمتنا بمكانة أسرة الشاوي في بغداد وطموح هذه الأسرة إلى أكثر من الوظائف الصغيرة المذلة .

أما عبدالغني الجميل فقد كان أكثر الشعراء تصويراً للحالة السياسية العامة في العراق والخاصة في بغداد ، وكان جريئاً في نورته على الظلم صريحاً في قوميته . ولم تكن الصور التي رسمها من الصور القليلة العابرة ، ولا العدسة التي كان يلتقط بها مهزوزة أو مضطربة غير أن تركيزه لتلك العدسة لم يشمل كل الزوايا والابعاد فقد كان متذمراً من الحياة ساخطاً على أهل بغداد لأنهم ساكتون خانعون ، وكان مليئاً بالاحساس العربي في نحوطه واستبهاضه ، وكان غير قليل الحظ من تصوير الظلم والماسى إلا أنه لم يجرؤ على مخاطبة الآتراك وجهاً لوجه أو يشرح أسباب نورته شرعاً واضحاً وأحسب أن قوله :

فخيرهم للاجنبي وفتحهم على بعضهم بعضاً بدونه حسناً

(٥٢) راجع ص ١٧٨ .

هو الـيت الوحـيد الذى أشار الى تباين العناصر فى العراق واحتـلاف  
الاجناس ومنها العنصر الحاكم الذى لا يمت الى العراق بصلة . اما أنه كان  
معبرا في أكثر من نطاق الذاتية فذلك شئ واضح في شعره . واما أنه من  
الركائز الرصينة في بناء الشعر القومى فذلك أيضا لا يحتاج الى دليل اذا  
رجعنا الى قصائده ، وليس أشد حسا بالقومية ابان القرن التاسع عشر  
من قوله :

لـيـوم عـبـوس شـرـه يـوقـط الوـسـنـى  
اـذـاـقـدـواـفـيـالـحـرـبـمـنـيـنـطـحـالـقـرـنـاـ  
وـاقـيـالـعـرـبـكـيـفـصـبـرـهـعـنـاـ<sup>(٥٣)</sup>

اـلاـغـيـرـةـتـدـعـوـالـصـرـيـخـاـذـاـدـعـاـ  
اـلاـرـافـعـعـنـقـوـمـهـبـغـيـظـالـمـ  
اـلاـمـبـلـغـعـنـيـسـرـاـبـنـيـوـغـىـ

من قوله :

وـقـومـىـكـسـالـىـوـدـائـىـالـهـرـمـ  
وـمـنـلـعـظـامـالـاعـادـىـهـشـمـ  
وـهـلـيـسـمـقـولـمـنـفـيـصـمـ  
وـنـرـعـىـلـهـحـرـمـةـكـالـحـرـمـ  
وـلـاـفـيـرـصـافـةـمـأـوـىـالـعـجـمـ<sup>(٥٤)</sup>

اـهـمـوـمـالـىـمـنـمـسـعـدـ  
فـاـيـنـسـرـاـةـبـنـىـهـاشـمـ  
اـنـادـىـوـمـالـىـمـنـسـامـعـ  
اـلـىـكـمـنـرـاعـىـالـخـيـسـالـدـنـىـ  
فـمـاـلـىـفـيـالـكـرـخـمـنـمـسـكـنـ

وقوله :

مـنـالـنـاسـاـلـفـدـمـهـاـوـرـذـيـلـهـاـ  
سـيـوـفـبـأـعـنـاقـالـمـطـىـصـلـيـلـهـاـ  
مـصـالـيـتـلـلـحـرـبـالـعـوـانـقـيـلـهـاـ<sup>(٥٥)</sup>

وـمـاـسـادـفـيـأـرـضـالـعـرـاقـيـنـمـاجـدـ  
مـتـىـيـلـتـمـالـلـبـاتـرـمـحـىـوـتـرـتـوـىـ  
وـحـولـرـجـالـمـعـدـوـيـعـربـ

اما قصيـتهـالـتـىـيـقـوـلـفـيـأـوـلـاهـاـ:

لـهـفـىـعـلـىـبـفـدـادـمـنـبـلـدـةـ  
قـدـعـشـعـشـالـعـزـبـهـاـثـمـطـارـ<sup>(٥٦)</sup>

(٥٣) راجع ص ١٧٠ .

(٥٤) راجع ص ١٧١ .

(٥٥) راجع ص ١٧٣ .

(٥٦) راجع ص ١٧٤ و ١٧٥ .

من أخلد الصور في وصف بغداد الخاضعة الذليلة .  
ولعل من الحسن أن أقف عند قصيدة العمري التي يقول في أولها :  
قد استحال العراق مفسدة ليس سوى ضرب السيف يصلحها  
وأهلها كالاغنام عاث بها أذوبة والكلاب تتجهها<sup>(٥٧)</sup>  
فإن هذه القصيدة - على ما فيها من قلة الصراحة والجرأة - ذات  
مغزى بعيد في تصوير السياسة الخرقاء .

غير أن الزهاوي كان أوسع الشعراء افقاً وأعمق نظرة ، وقصيدته  
بداية التجديد في الشعر السياسي ، ولكن اقحام الزهاوي بين شعراء القرن  
الحادي عشر لم يأت إلا لأن القصيدة قد ولدت في أواخر ذلك القرن .  
هذه هي أهم الخطرات الدالة على حس سياسي وشعور قومي وطني ،  
وادراك واع لنقل الوطأة التركية في العراق ، أما بقية الشعر فانها تعبر عن  
آلام ذاتية ، ولكنها في كل صورها تشير إلى الذل والضياع وتندعو لحمل  
السلاح وخوض المعارك ، وهي في كل ألوانها لا تفقد المغزى السليم الذي  
ترمي إليه ، لأن احساس الشاعر جزء من احساس مجتمعه ولا سيما اذا كان  
أله ناشطاً من ضيق الحياة وفساد الاحوال العامة .

وانني لاحسب - بعد هذه الدراسة - أن الشعر الذي جاء في هذا  
الفصل أقرب ما يكون إلى الواقع منه إلى أي شيء آخر ، وأصدق انفعالاً  
وعاطفة من الفصلين الأول والرابع ، ولكنه أعم من الفصل الثالث الذي  
يكاد يكون جزء منه في تصوير الظلم وقسوة الولاة والموظفين .

أما الفنية في هذا الشعر فانها هي الأخرى كانت تختلف باختلاف  
القبيليات والملكات اللغوية ، فهي في شعر الآخرين فنية مطاوعة منسجمة  
مع الاداء الحسي في كثير من الصور ، وهي أمنية الى حد كبير في نقل  
التجربة الشعورية الى الاطار الخارجي ، ولكن هذه الفنية لم تخرج عن  
حدود الاسلوب القديم المصنوع من بقايا الميراث وان كان الصنع جميلاً ملوناً  
بعض الالوان الزاهية .

(٥٧) راجع ص ١٧٦ .

غير أن الذى يلاحظ فى شعر الآخرين ما فى الصور من تشابه وتكرار لأن هذا الشاعر قد يعيش فى ظلال التجربة الواحدة زماناً غير قليل وقد يقف عددها أكثر من موقف واحد فلا يكفى منها برسم صورة واحدة بل كانت عاطفته التى تنبت وترجع إلى ما كانت عليه تدفعه إلى رسم الصور المتعددة لتلك التجربة ، وهذا التعدد جعله يكرر الألفاظ والتعابير أكثر من مرة ومن ذلك قوله :

وبنات أفكار لنا عربية لا يرتضىن سوى الكرام بعوا<sup>(٥٨)</sup>

فقد تكررت هذه الصورة فى قوله :

وبنات أفكار لنا عربية رخصت لدى الاعجم وهى غوالى<sup>(٥٩)</sup>

وقوله أيضاً :

ولم أرد مورد عذب شابه ضيم رأى تكديره لما صفا<sup>(٦٠)</sup>

فقد كرر هذه الصورة بقوله :

ولو كنت من يشرب الماء بالقذى رويت وفي روى الذليل غليل<sup>(٦١)</sup>

وقوله أيضاً :

ولست مقيناً ما أقمت بمنزل وعيسي أنكاد تسوء وأنكال<sup>(٦٢)</sup>

ومثل هذا قوله :

تأبى المرؤة أن أراني واقفاً في موقف يدع العزيز ذليلاً<sup>(٦٣)</sup>

ومثله أيضاً :

عجب لمنى أن يقيم بموطنه مشابه الأشرف بالأندا<sup>(٦٤)</sup>

(٥٨) راجع ص ١٥٦ .

(٥٩) راجع ص ١٥٩ .

(٦٠) راجع ( الطراز الانفس ) ص ٢٨ .

(٦١) راجع ص ١٥٧ .

(٦٢) راجع ص ١٥٢ و ١٥٣ .

(٦٣) راجع ص ١٥٦ .

(٦٤) راجع ص ١٥٩ .

على أن هذه الخاطرة التي كررها الآخرون وترددت بكثرة في شعر الآخرين لا تعمد فكرة الشريف الرضي حين قال :

وما العيش عندي الا الآباء وبعدى عن المنزل المستباح<sup>(٦٥)</sup>  
وقد يستغير الآخرون معانبه وألفاظه من شاعر آخر ولكنها استعارة ضعيفة مسلولة الحركة إلى جانب المستعار منه ، كقوله :

وادفع الشر ان علمت بشر ربما يدفع السقام السقام  
ونقلد بالرأي قبل المرضى ليس يجدى بغیر رأى حسام<sup>(٦٦)</sup>  
فقد أخذ هذين البيتين من المتبنى ، أما الأول فمن قوله :  
لعل عتبك محمود عوقيبه فربما صحت الألسن بالعمل  
وأما الثاني فمن قوله :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي محل الثاني<sup>(٦٧)</sup>  
وأقف عند شاعر آخر من شعراء القومية وهو عبدالغنى الجميل ، فان  
هذا الشاعر على الرغم من وثباته الشعورية كان في أدائه الملفظي قد يسيء  
بعض الأحيان ، وقد يتهاون باللغة وقواعدها ولكن بقلة نادرة ، ومن أمثلة  
ذلك قوله :

وقد بدلو الغالي الذى تعرفونه بصفقة غبن لا تقيس بها غنا  
فإن النفي في قوله : (لا تقيس) ضعيف جدا ، والمناسب النهي لأنه  
أقرب إلى ادراك الأدب .  
وقوله :

الا نخوة منهم فصحوا الى التي أيدى سبا قد غادرت ذلك المغني  
والمشهور أيدى سبا ، لأن (أيدى) جمع يد التي هي بمعنى النعمة .  
وقوله :

الا مبلغ عنى سراة بنى الوعى وأقفال عرب كيف صبرهم عنا

(٦٥) راجع ديوان الشريف الرضي ص ١٩٢ طبعة بيروت .

(٦٦) ص ١٥٣ .

(٦٧) راجع ديوان المتبنى .

فان تذكر عرب قد أضعف البيت .  
وقوله :

طوبينا عن الزوراء لادررها بساطاً متى ينشر يعدونه طعنا (٦٨)  
فقد رفع جواب الشرط على القاعدة الضعيفة .

وقوله :

وأين السكمة الحماة الدعاة اذا شب نار الوعي وااضطرم (٦٩)  
فانه حذف تاء التأنيث من فعل (اضطرم) في حين أن الفاعل ضمير  
يعود الى مؤنث .

### ثورة الشعر في ظل العقيدة :

العقيدة جزء هام في حياة المرأة لأنها هي التي توجه المواقف والرغبات  
وتؤثر في العمل والسلوك ولا سيما بين الطبقات المتدنية .

وشعراء هذا الفصل ممن كان للعقيدة شأن عندهم لأنها غرسوا في  
قلوبهم منذ الصغر ثم نمت وترعرعت في أحضان البيئة ورسخت عن طريق  
الدراسة الدينية ، ولهذا كان شعرهم في ظل هذه العقيدة شعراً يمثل  
صدق العاطفة والشعور .

وليست قيمة هذا الشعر فيما يتصل بالعقيدة حسب - وإن كان ذلك  
في مناهج التاريخ الأدبي وفي دراسة العقاد شيئاً هاماً - وإنما قيمة هذا  
الشعر أيضاً فيما يتصل بالسياسة التي أثرت فيه فآخر جهه من النواحي الدينية  
الخالصة إلى الثورة على الظلم . ولكن أكثر الذين تاروا عن طريق العقيدة  
كانت آفاقهم ضيقة في تناول السياسة ، وهم في ذلك لا يعدون ما نظمه  
بعضهم في النواحي القومية العامة أو ما قاله الكثيرون من شعراء القومية فلا  
انطلاق ولا حرية في التعبير ولا أسماء ولا أشخاص سوى الضمائر المبهمة

---

(٦٨) ص ١٧٠ .  
(٦٩) ص ١٧١ .

التي كثُر تردادها في مختلف الصور !! ولعل ذلك ناشئ من الخوف وما يتصوره الشاعر أو يخشأه من بطش وتنكيل .  
ومهما يكن من شيء في هذا الشعر فإنه لا يمكن أن يغفل شأنه في خطر الموضوع وبعد الاتجاه لأن أخيلة الشعراء وأعمالهم في قيام دولة عادلة ليست شيئاً هيناً في الموضوعات السياسية المعاونة . أما استهانه المهدى فلم يكن الا إطاراً للصورة التأثرة وطاقة يستمد منها الشاعر قوة الاندفاع والاستمرار .

ولعل من أوضح الأمثلة على انتشار الدولة العادلة وزوال دولة الفساد قول السيد صالح القزويني وهو تخيل نداء جبرائيل واعلانه البشري بأن قد :

أُقْبِلَتْ دُولَةُ الرِّشادِ وَزَالَتْ عَنْكُمْ دُولَةُ الْفَسَادِ زَوْالاً<sup>(٧٠)</sup>  
فَإِنْ هَذَا بَيْتٌ فِي تَفْسِيرِهِ الصَّحِيفَ مُصْدَرٌ مِّنْ مَصَادِرِ التَّارِيخِ فِي  
وَصْفِ الدُّولَةِ العُثْمَانِيَّةِ ، وَقَدْ مَرَ لِهَا الشَّاعِرُ قَوْلَهُ :  
وَكَمْ مَلْوَكَ التُّرْكَ هَنَكَ لِحَرْمَةِ لِأَهْلِ النَّهْيِ وَالْغَدَرِ مِنْ شَيْمِ التُّرْكِ  
وَإِذَا كَانَ هَذَا الشَّاعِرُ قَدْ نَسَبَ الْغَدَرَ وَهَنَكَ الْحَرْمَ إِلَى التُّرْكِ فَإِنْ مَنْ  
غَيْرُ الْمُسْبَعِدِ عَلَيْهِ أَنْ يُسَمِّيَ الدُّولَةِ العُثْمَانِيَّةَ دُولَةَ الْفَسَادِ .

أَمَا أَنَّهُ كَانَ شَاعِرًا بِوَطَأَةِ الظُّلْمِ فَذَلِكَ وَاضْعَفَ مِنْ قَوْلِهِ :

نَمَارِسْ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ شَدَائِدًا لَهَا بَيْنَ أَحْنَاءِ الْضَّلَوعِ مَقَابِسَ<sup>(٧١)</sup>  
وَمُثْلِ القزويني في النظرة إلى الخلافة العثمانية الشيخ صالح الكواز  
فإن لم يعترف بها لهؤلاء ، وذلك في قوله مخاطباً المهدى :

فَقَمْ طَالِبًا حَقَّ الْخِلَافَةِ مَعْلِمًا فَهَا هِيَ فِي أَيْدِيِ الْعَدَى تَتَقَفَ

\* \* \* \* \*

وَهَذَا لَوَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِرَعْمِهِمْ عَلَى رَأْسِ أَشْقَى الْعَالَمِينَ يَرْفَرِفُ  
وَهَذَا الْبَيْتَانَ صَرِيحَانَ فِي تَسْجِيلِ اتِّجَاهِ بَعْضِ الشَّعْرَاءِ وَنَظَرَتِهِمْ إِلَى

(٧٠) ص ١٨٧ .

(٧١) ص ١٨٩ .

الدولة العثمانية نظرة لا ترضى اعتقداها بأنها وارنة الخلافة الاسلامية في  
حين أنها في رأي الكواز لم تكن إلا غاصبة •  
وقد فسر الكواز جانبا من نورته وعلل أسبابها بانتشار الظلم وضياع  
حقوق المظلومين :

دعوك للملووم ضاعت حقوقه وليس له من عصبة الجور منصف  
وهذا البيت صريح في وصف الظلم والجور ولكن الشاعر كان يضغط  
على حرية النفسية ضغطا شديدا فلم يجرؤ على ذكر اسم من أسماء رجال  
الدولة والولاة الحاكمين بل أكفى بالضمائر كما فعل الفرويني •  
وفي شعر الكواز لمسة قومية لا ترى في العثمانيين من يصلح لحكم  
العراق لأنه بلد معظم سكانه من العرب :  
أيمك أمر العرب من لا أبا له ولم ينمه منهم نزار وخدف<sup>(٧٢)</sup>  
غير أن الكواز كان يستمد هذا الشعور من عقيدته التي كانت لا ترى  
الخلافة إلا في بني هاشم •

ومن لاذ بالضمائر ولم يصرح الشيخ حسن فطمان ، ولكنه استطاع  
أن يرسم بعض خطوط الظلم ويساعد على صدق التاريخ فيما وصف به  
الاتراك ، وذلك بقوله :

أعزاء فيما نرتضيه ، تلك قسمة اجبار !!  
دعوا حربنا رقا لهم فمتى نرى  
 عليهم سمات الذل رقا لأحرار ؟  
 سجا ليلا جورا ولم يعرض به  
 من العدل فجر مستبد باسفار<sup>(٧٣)</sup>

والسيد حيدر الحلبي كان ثائراً عنيفاً الثورة منفعة أشد الانفعال وكان  
شعوره بقداحة الظلم مندفعاً أشد الاندفاع ولكنه لم يجرؤ على مواجهة  
الحاكمين والتصرّح باسمائهم بل أكفى بالضمائر وأسماء الاشارة كما  
في قوله :

(٧٢) ص ١٨٦ •

(٧٣) ص ١٩٠ •

أصبرا وهذى تيوس الصلا  
ل قد أمنت شفرة الجائز ؟  
نرى سيف أولهم متضى  
على هامنا يد الآخر  
فيه يسوموننا خطة  
بها ليس يرضى سوى الكافر  
فنشكو اليهم ولا يعطفون  
كشکو العقيرة للعاقر<sup>(٧٤)</sup>

ومثله السيد محمد القزويني اذ قال :

قطيق ظلمه ————— الخافقين      وعم على سهلها والحزن  
ولكن في هذا الشعر يتنا واحدا له أهميته في التاريخ السياسي لانه  
سجل ظاهرة عامة من ظواهر الحكم التركي وهي ظاهرة الرشوة ، أما البيت  
فللسيد ابراهيم الطباطبائی وهو قوله :

بلد به يرشى علانية      والمرتشى هو حاكم البلد<sup>(٧٥)</sup>  
وإذا عرفنا أن البلد هو مدينة البصر المقدسة التي كانت تعيش على  
الخيرات والهبوات ، وإن هذه المدينة لم تسلم من الحكم المرتدين أدر كنا  
خطر الرشوة في العراق وشيوعها بين الموظفين ، وأظن هذا البيت من  
الأشعة القليلة التي تتلمس على ضوئها خطوط الحكم العثماني في العراق  
ونظرة الحاكمين الى السكان .

أما الاساليب التي تناولت هذا الموضوع فانها لم تختلف بأية حال عن  
اساليب الشعر القديم ولكنها كانت اساليب مطابعة منسجمة وليس فيها تكلف  
أو ضعف يقصر عن التساوق مع الفكرة . وسبب هذا أن الشعراه الذين  
مارسوا هذه التجارب كانت ملكة التعبير عندهم على جانب غير قليل من  
القوة ، ولكنهم لم يكونوا جميعاً متساوين في هذه القوة اذ كان بعضهم  
أقدر من بعض على رسم التجربة ولعل الكواز والسيد حيدر الحلبي والسيد  
محمد القزويني في الطليعة من هؤلاء .

— ١٩٤ — (٧٤) ص

— ٢٠١ — (٧٥) ص

## الشعر في ركب الدولة :

أما هذا الفصل - على ما فيه من تنوع كثير تبعاً للحوادث والمناسبات والوقائع - فإنه من الوجهة الموضوعية ليس فيه ما يثير الانتباه سوى تسجيله تلك الحروب والحوادث والوقائع ، وسوى أنه مادة من مواد التاريخ تصلح للاستعارة على تفسير بعض الجوانب السياسية في العراق ، ولذلك يمكن أن يقال عنه : أنه من الأدلة الحاسمة على صدق الثورة عند الشعراء في الفصلين الثاني والثالث بما سجل من حروب ونورات داخلية كانت نتيجة لفساد الحكم ، وطغيان الجور ، وإن لم يكن هذا التسجيل مما كان يقصده الشعراء أو يهدفون إليه لأنهم في الواقع لم يحاولوا غير المدح ولم يفكروا بغير الزلفي والتقرب وارضاً الحاكمين ، شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من الشعراء .

ولقد كان من المبين لو أنهم وقفوا عند حدود المدح ولكنهم أسرفوا في تشجيع القوى المناهضين لكل حركة ونورة ، ونشطوا مع الحكم نشاطاً كبيراً ، ولم يكونوا في ذلك كله إلا مراة لأنفسهم وللدولة التي ساروا في ركبها والزعماء ورجال الدين الذين كانوا معاذلين للحكم والولاة .

أما في غير الحوادث والحروب فلم يكن شعرهم إلا مدحاً كاذباً لا عاطفة فيه ولا صدق ولا حسن ولا انفعال ، وكيف يأتي الصدق في هذا الشعر الذي كان يعد لاستقبال وال وتوديع آخر ؟

وإذا جردنا هذا الشعر من ناحيته التاريخية وكونه نافذة من النوافذ التي يطل منها المؤرخ على الحياة العامة في العراق فإنه من أسوأ الموضوعات التي تناولها الشعراء ، وبخاصة تلك القصائد التي اندفع بها الشعراء أيام داود وعلى رضا ومحمد نجيب ومحمد نامق .

هذا هو الشعر المماليء للحكم في موضوعه وفكته ، أما في أسلوبه وفيته فقد كان الكثير منه تقليداً تزخرفه الصنعة بلا مهارة ويلونه البديع

بلا دقة ، وتكثر فيه المبالغات ويقصد به التهويل الى حد يجعل من المدوح  
عما يحرا .

ومن المبالغات الكاذبة في هذا الشعر قول عثمان بن سند في  
السلطان محمود :

سل عنـه دمعـا سافـحا والـليل مـسـدول الـكلـل  
وقـول الـآخـرـس فـي السـلـطـان عـبدـالـعـزـيز :

يـقـضـى النـهـار بـأـحـكـام يـدـبـرـها رـأـيا وـيـتـلـو بـجـنـجـ اللـيل قـرـآنـا

وقـول السـيـد جـعـفـر الـحـلـي فـي السـلـطـان عـبدـالـجـمـيد :  
دوـلـ الـمـالـك طـأـطـاـتـ لـكـ هـامـها قـدـها فـقـدـ أـلـقـتـ إـلـيـكـ زـاماـها  
غـيرـ أـنـ مـنـ الـمـالـغـاتـ مـاـ يـكـونـ جـمـيلـ الـصـيـاغـةـ عـذـبـ الـأـلـفـاظـ كـتـوـلـ  
الـآخـرـسـ فـي مدـحـ الـوـالـيـ دـاـوـدـ بـعـدـ أـنـ نـفـىـ إـلـىـ الـاستـانـةـ :

وـكـنـتـ اـذـ طـاشـتـ سـهـامـ قـسـيـها وـقـتـيـ الرـدـيـ منـ صـنـعـ دـاـوـدـ أـدـرـعـ  
وـقـولـ الشـيـخـ صـالـحـ التـمـيـمـيـ فـي مدـحـ عـلـيـ رـضـاـعـنـدـماـ اـسـتـولـ  
عـلـىـ أـرـبـيلـ :

لـاـ تـرـوـ عـنـ فـتـحـ عـمـورـيـةـ خـبـراـ فـتـحـ أـرـبـيلـ مـاـ أـبـقـىـ لـهـ اـنـرـاـ  
وـقـولـ الزـهـاوـيـ فـي مدـحـ الـوـالـيـ عـاصـمـ :  
وـكـيفـ أـخـافـ الـدـهـرـ أـوـ أـرـهـبـ الرـدـيـ  
وـقـدـ لـذـتـ مـنـ صـرـفـ الزـمـانـ بـعـاصـمـ

وـلـقـدـ كـانـ هـذـاـ شـعـرـ لـاـ يـخـلـوـ مـنـ صـورـ فـنـةـ جـمـيـلةـ فـيـ مـعـاـيـهـ وـأـخـلـيـتهاـ  
وـمـوـسـيـقاـهـاـ ،ـ وـمـنـ ذـلـكـ قـولـ التـمـيـمـيـ فـي مدـحـ عـلـيـ رـضـاـعـنـدـماـ صـدـ قـيـلـةـ عـزـةـ  
عـنـ مـحـاـصـرـةـ بـغـدـادـ :

سـلـواـ حـىـ بـكـرـ أـيـنـ قـوـضـ وـائـلـهـ  
وـفـيـ أـيـ أـفـطـارـ تـولـتـ قـائـلـهـ (٧٦)  
تـجـاـفـتـ عـنـ الـقـيـصـومـ شـوـقـ لـبـاسـقـ

ففي البيت الثاني حركة ولون وطعم ، حركة القبائل وهي تردد بين الbadia والfrat ، ولون القيسوم والتخل والتخل ، وطعم العسل والتمر . أما الخيال فقد امتد إلى مسافات بعيدة في رسم هذه الصورة إذ استطاع بيت واحد أن ينقلنا إلى الbadia حيث منابت القيسوم ثم يعود بنا إلى شواطئ الفرات حيث مشابك التخل ، ويحملنا بعد ذلك إلى الشمال حيث تكثر خلايا التخل . ولو لا الجنس الناقص بين التخل والتخل ، ووضع كلمة (طعم) مكان (أرى) ، ولو لا قرب العاء والعاء المكررة في الشطر الثاني وهي من الأصوات التي لا تائف في حركة إيقاعية واحدة لكان البيت في القمة من الشعر العربي الصافي .

### تكرار الصور :

إذا كان من غير المستغرب أن يتسلل شاعر من غيره معنى أو تعيراً فإن بعض الشعراء كان يكرر ما ينظمه هو في أمكنة مختلفة ومن ذلك قول الآخرين في الوالي محمد نجيب عندما قمع ثورة كربلاء :

محا البغي صمصم الوزير كما محا دجي الليل في أضوائه مطلع الفجر<sup>(٧٧)</sup>  
فقد كرر هذه الصورة في مدح المشير المجهول<sup>(٧٨)</sup> إذ قال :  
تحقق الباغين عن آخرهم مثلاً يمحو الدجي الصبح المنير<sup>(٧٩)</sup>

ومن ذلك قول السيد جعفر الحلبي في السلطان عبدالحميد :  
دول الممالك طاولات لك هامها قدماً فقد ألقى إليك زمامها<sup>(٨٠)</sup>  
فقد كرر هذه الصورة في مدح هذا السلطان أيضاً فقال :  
لك طاولات دول الفسال رقبتها قدماً فسيفك قد أذل صغارها

• ٢٤٣ ص (٧٧)

(٧٨) لقد مر في الفصل نفسه ترجيح الوالي مدحه على غيره ، وبيان أسباب الترجيح .

• ٢٤٧ ص (٧٩)

• ٢١٤ ص (٨٠)

أما الآخذ من الشعراء القدمين فقد كان بابه مفتوحاً لهؤلاء الشعراء  
ومن أمثلة ذلك قول الآخرين في السلطان عبدالعزيز :  
خليفة الله في الأقطار محترم ان العزيز عزيز حينما كانا<sup>(٨١)</sup>  
أخذه من قول المتني :  
وهكذا كنت في أهل وفى وطني ان النقيس غريب حينما كانا<sup>(٨٢)</sup>

### الرکة :

لم يخل هذا الشعر من بعض الآيات المسرفة في الركرة والضعف  
ومن ذلك قول محمد الغامدي في يحيى الجليلي :

خير بتذليل الطغاة فلم تزل صوارمه للمارقين تدوخ<sup>(٨٣)</sup>  
وقول عبدالجليل البصري في السلطان محمود :  
جد لي وأطلق أسر نخل من أذى الـ ٠٠٠ سيرى معافى لم يزل كمؤبد  
وقد قلت عن هذا الشاعر انه من أضعف الشعراء أداءاً ، وبيته هذا  
لا يخلو من الكلمات العامية فكلمة (ميرى) بمعنى الضربي الأميرية ، وكلمة  
(معافى) عامية محرفة عن (معفو) .

ومن ذلك قول الآخرين في المشير المجهول :  
عدت منصوراً بجند ظافر وجناب الحق مولانا النصير<sup>(٨٤)</sup>  
وكلمة (جناب) جاءت في البيت على غرار تعابير الدولة ورجال  
الدين ، ولم يرد في الشعر العربي أن يعبر عن لفظ الجلالة بجناب الحق .  
وهذه الآيات التي عرضتها ليست كل ما وجد من ضعف في هذا  
الشعر ولكنها أمثلة لضعف .

(٨١) ص ٢١١ .

(٨٢) راجع ديوان المتني .

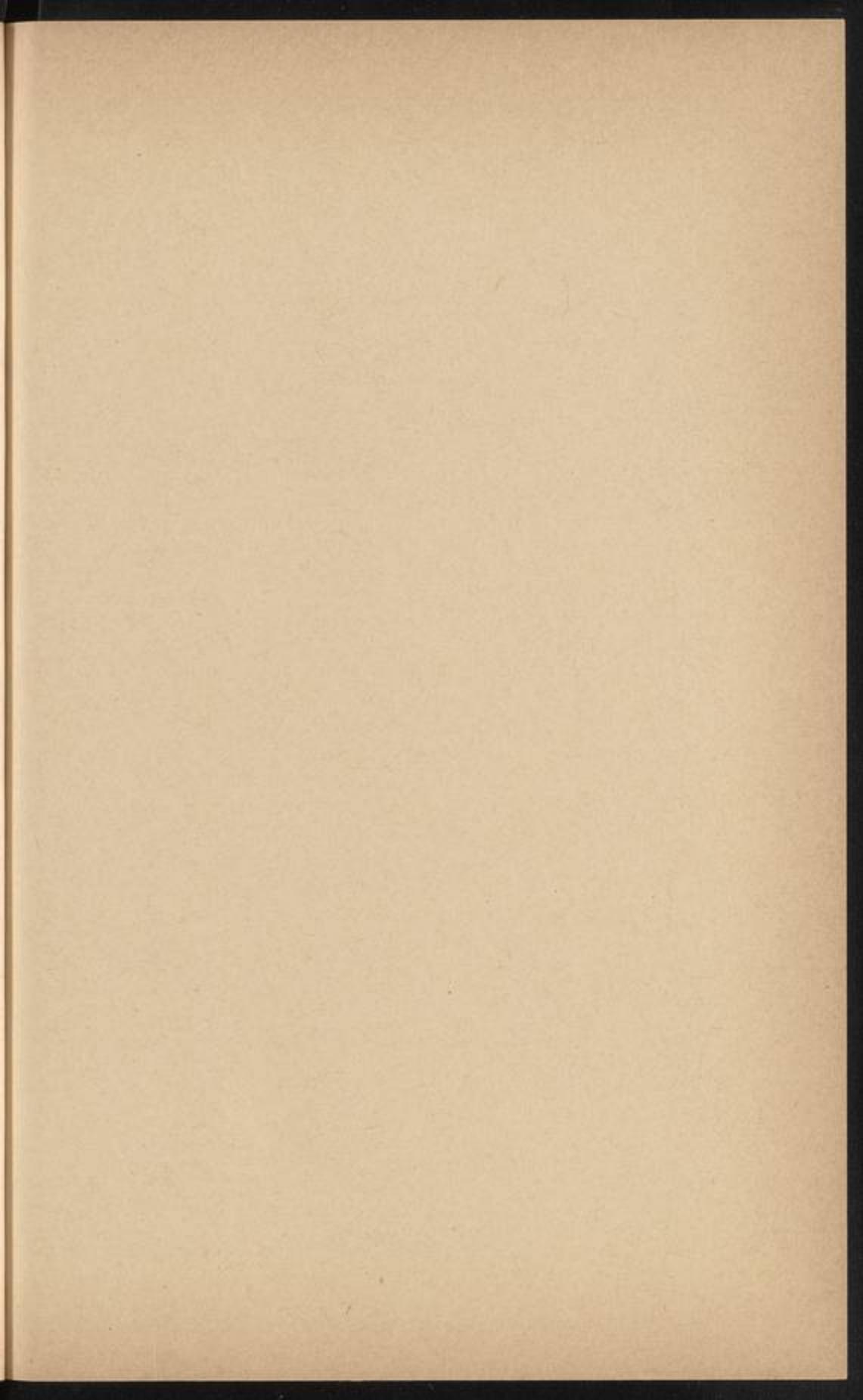
(٨٣) ص ٢٥٢ .

(٨٤) ص ٢٤٧ .

أما الكلمات الجديدة التي عثرت بها في هذا الشعر فهي كلمة  
("مدفع") و ("تلغراف") .

### نظرة موجزة :

ان هذه الفصول الاربعة من الشعر يمكن أن تكون قسمين من حيث  
القارب في الموضوعات ، فالفصلان الاول والرابع مشابهان في الاهداف  
التي كانت تتجه إلى ما يرضي الحاكمين ، والفصلان الثاني والثالث مشابهان  
أيضاً في الاهداف التي كانت تتجه إلى تصوير الظلم ، هناك مدح واسترضاء ،  
وهنا ثورة وألم وسخط .



## خاتمة

انتهى بي المطاف عند بداية القرن العشرين بعد أن امتد طيلة القرن التاسع عشر وقد تناولت في هذا التلوفاف شعر العراق حسب ووقفت من هذا الشعر عند موضوع واحد وهو الموضوع السياسي فقط فدرسته في أهم نواحيه وأغراضه وربطته بكثير من موحياته ودواجهه ونظرت اليه في أسلوبه وتعابيره كما نظرت اليه في موضوعه وأعطيت الناخبين ما أستطيع من الحق في الدراسة والتحليل والنقد .

وإذا كان لابد من عرض موجز لقيمة الدراسة في هذا الموضوع ومقدار أهمية الفصول التي سجلت من تاريخ للسياسة أو وصف للمجتمع أو تصوير للحالة العلمية أو دراسة للشعر السياسي موضوع البحث فان تناول هذا الجانب لا يعييني من الاعتراف بما لي وما على واعترافي بما على لا يتجاوز الفصل السياسي فاني لم أعمل فيه أكثر من الاستقصاء والتبع والاطلاع على المراجع الموثوق بها والالامام بما يهم البحث من عناصر ومواد ثم جمع هذه العناصر والمواد ووضع كل منها في مكانه وقد راعت في ذلك كله تتابع الزمن وتسلسل التاريخ والحوادث .

ولكن هذا لا يعييني أيضا من أن أدل على مواطن الجهد المتبعة في استقصاء المراجع من أجنبى وعربى ومن مطبوع ومحظوظ . ولعل أهمية هذا الفصل تجلى في ربطه بالشعر السياسي لانه مفتاح الدراسة لهذا الشعر فى ايجابيته وسلبيته .

أما الفصول الباقية فانها تختلف أهميتها باختلاف الجدة والطراوة

وباختلاف القيمة الموضوعية فما كان جديداً في وضعه وتبويه وتنوعه هو البحث في الحالة الاجتماعية ، وأهميته تبدو في ربطه بالشعر ولو من بعض الجهات ، وأقربها إلى الذهن تلك المدائح التي أسرف فيها الشعراء نتيجة للتفكك وال الحاجة وضعف النفوس وتلك المفارقات التي لمسناها أزاء بعض الحوادث الداخلية ولاسيما حادثة كربلاء أيام الوالي محمد نجيب فقد وقف فيها بعض الشعراء بجانب الحكم بينما وقف بعضهم بجانب المحكومين ولعل سبب ذلك راجع إلى تضارب العواطف الدينية ، ومثل هذا ما يقال من موقف عبد الباقى العمرى في بعض حوادث الاكراد فإنه تناول هذه الناحية من زاوية العنصر ، ولا ننسى الشعر المستفرق في ظل العقيدة الشيعية فإن صلته بالعاطفة الدينية صلة قوية .

أما الفصل الخاص بالحالة العلمية فإنه أيسر ما يقال في هذا الشأن غير أن أهميته تظهر في تقسيمه بين عمل الدولة وعمل السكان وفي عرضه بعض التواحي التي نسيها الناس وأخفاها التاريخ في المهجور من سجلاته ، ولعل ربطه بالشعر يدو في أثر الدراسة والثقافة بالقيم التعبيرية عند الشعراء ومقدار ما يملكون من لغة واسلوب .

وأما الشعر والحوادث الوهابية فإنه أول بحث جمع فيه هذا الشعر المتاثر ونسق وفق الحوادث التي تناولها وروى في ترتيبها الزمني وقد أشرت في بداية الفصل الخاص به إلى مقدار أهميته في تاريخ السياسة والأدب .

ولعل من أهم فصول الشعر ما تناول الجانب القومى والوطنى فإنه أول بحث وضع لدراسة مفهوم القومية فى العراق ابان القرن التاسع عشر ومدى صلة الشعراء بها وما قيل فيها من الشعر ، وهو أيضاً مفتاح لدراسة التطور فى الشعر العراقي منذ أوائل القرن العشرين ولاسيما السياسي منه .

أما الفصل الخاص بالشعر الذى أملته العقيدة فإنه أول دراسة كشفت عن جانب السياسة فى هذا الشعر الذى كان معروفاً بأنه شعر ديني مذهبى وانه من خطرات الشيعة فى صوامع الابتهاج والمناجاة .

وأهمية الشعر الذي سار في ركب الدولة والولاة تظهر في تسجيله للحوادث والثورات وبعض الاعمال التي استحدثها السلاطين والولاة وهو من جانب آخر يصور نفسيات الشعرا وسلوكهم العام بالإضافة إلى كونه أول بحث جمع أكثر هذا الشعر وربطه بحوادثه ومناسباته ، وكونه مثل غيره من فصول الشعر في الكشف عن أثر السياسة في العراق وفي مسلك الشعراء خاصة .

أما الفصل الأخير فقد جاء غربلة للشعر العراقي في القرن التاسع عشر عامة وللموضوع السياسي منه خاصة . وليس لي أن أقدر جانب الأهمية فيما عرض من القيم الموضوعية والفنية للشعر وفيما نص عليه من صور وأمثلة لقوتها والضعف في الموضوع والأسلوب . أقول : ليس لي ذلك بل أترك تقدير الجهد لمن تهمهم دراسة الأدب الحديث في العراق وفي غير العراق .

#### استنتاج :

ولابد لي أن أسجل في هذه الخاتمة ما انتهت إليه هذه الدراسة من النتائج ، وأهمها كما يلى :

- ١ - إن الشعر السياسي في العراق لم يجدد في موضوع السياسة<sup>(١)</sup> كما حدث في مصر والشام بل سلك الطريقة القديمة التي اتبعتها الشعرا .
- ٢ - إن هذا الشعر في أسلوبه وأدائه كان محافظاً على عمود الشعر ولم يجدد في عرض الصور وطريقة التعبير عن المعانى ولكنه من حيث القوة يستطيع أن يسير في مقدمة القافلة من الشعر العربي في القرن التاسع عشر .
- ٣ - إن هذا الشعر في مذاقه قد سجل لنا كثيراً من الحوادث في

(١) مما تجب ملاحظته ان موضوعات الشعر السياسي قد تغيرت وتطورت في أوائل القرن العشرين ، فان الشعر في الحوادث الوهابية قد انقطع بانقطاع الحوادث الا القليل النادر . وشعر المدح قد استمر ولكنه تطور باختلاف المدحدين . والشعر المتبع عن العقيدة واستنهاض المهدى قد قل ، ولم يتسع الا الشعر القومي والوطني .

العراق وغير العراق من أجزاء الدولة العثمانية وساعد على توضيح شيء غير قليل من التاريخ السياسي في العراق وفيما حول العراق .

٤ - ان الشعر التأثر منه قد صور بعض نواحي الفلم غير أن عنصر الصراحة كان ضعيفا في معظم المواقف ، وبكفى أن نعرف ذلك من كلمة (الترك) التي لم ترد في الشعر المناوى ، الا بضم مرات ، ومن كلمة (الاجنبى) المستبد بخيتان العراق التي لم ترد - فيما ظفرت به - الا مرة واحدة في شعر عبدالغنى الجميل .

والرسوة الشى كانت منتشرة في العراق بين طبقات الموظفين لم أعن على ذكرها فيما قرأته الا في بيت واحد للسيد ابراهيم الطباطبائى<sup>(٢)</sup> وأخر للشيخ صالح التميمي<sup>(٣)</sup> .

٥ - ان الشعر التأثر قد جنح كثير من أصحابه الى ذم بغداد من كفر الحكم والى السخط على سكانها لانهم - كما يرى الشعراء - كانوا خاضعين وكان كثير من وجهائهم متزلفين للولاة .

٦ - ان الشعر الشيعي التأثر كان أشد مناؤة للخلافة العثمانية لانها لا تصلح لحماية الدين والعدل ، وللولاة والحكام لانهم كانوا قساة ظلمة .

هذا هو الجديد الذى استطعت أن أصل اليه عن طريق الاستنتاج . أما الجديد الذى يمكن أن يضاف الى البحوث الادبية من هذه الدراسة فهو أن هذا البحث أول محاولة تناولت الشعر السياسي في العراق خلال القرن التاسع عشر وكشفت عن مناسبات بعض القصائد التى استقرت في الدواوين والمجموعات بدون اشارة الى بواعتها وموحياتها ومنها قصائد الآخرين في الوالى ( مدحه ) وقصيدة السيد صالح القزويني في حادثة سجن ( مطلق بن كريدى ) زعيم خزانة . وبعض قصائد عبدالغنى الجميل أيام الوالى محمد

---

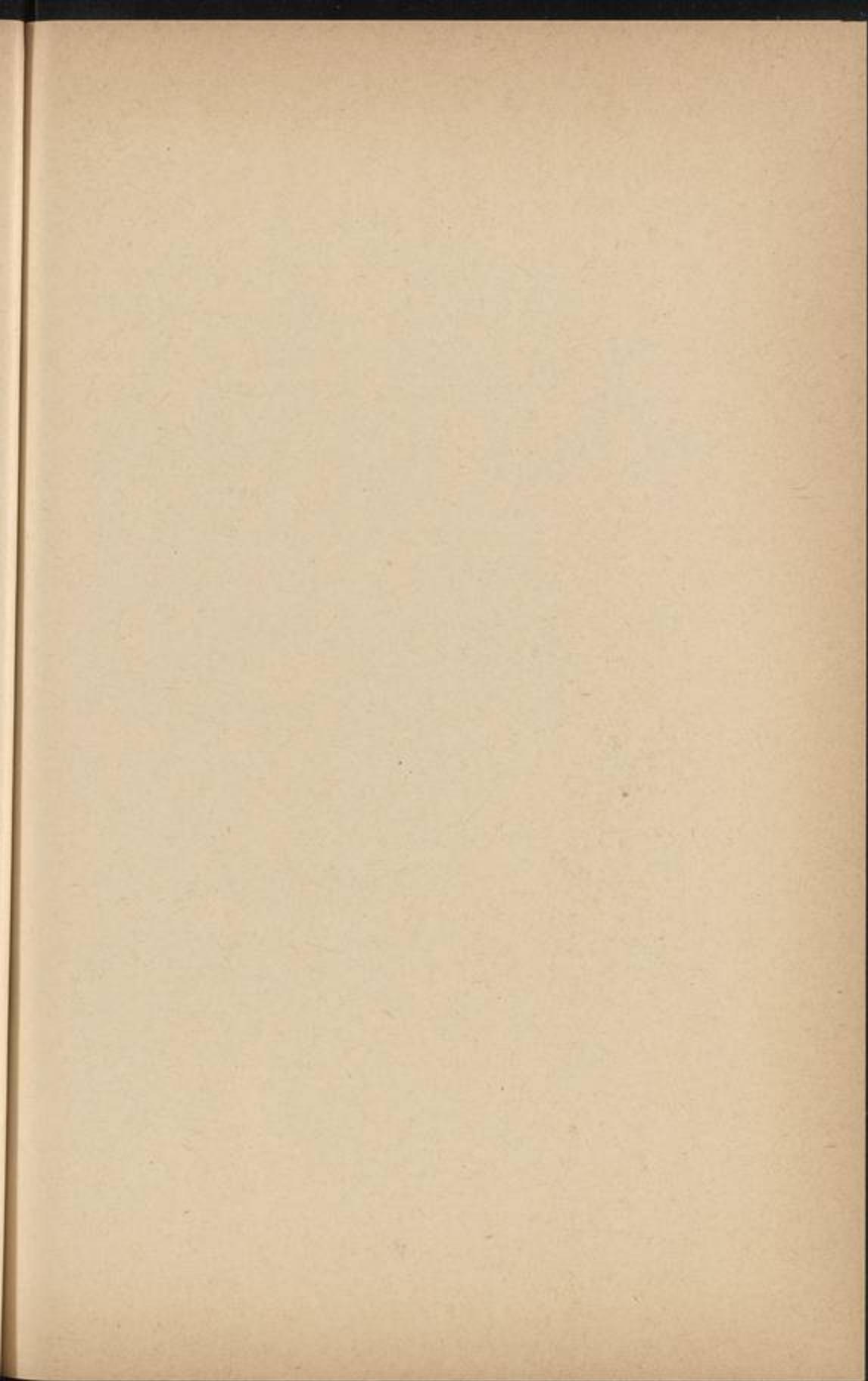
(٢) ص ٢٠١ .

(٣) هو قوله في هجاء بعض المأمورين في أيام الوالى على رضا :  
خنت الوزير الذى سواك من عدم وفيه نلت الغنى من بعد اعسار  
تبدى له النصح فى معمول كاتبه وترثى عن خراسان بدینار  
ديوان التميمي الورقة ٦٢ .

نامق ، وغير قليل من قصائد التميسى فى الوالى على رضا ، وقصيدة السيد حسين الحكيم فى حادثة ( عفك ) أيام الوالى داود ، وأبيات السيد ابراهيم الظباطى فى مدح السلطان عبدالعزيز أيام الاستيلاء على الاحساء .

ولا شك فى أن جمع الشعر المتاثر فى الدواوين والمخطوطات المبعثرة وضم أجزاءه فى بحث واحد وانقاد بعضه من الضياع ان هذا كله خير ما يدفعنى الى التفاؤل بنجاح المسعى والى كير الفتن بأنى قدمت شيئاً من الخدمة لأدب العراق وللباحثين فى البلاد العربية عامه .

غير أنى أعتقد أن عملى هذا ما هو الا غرس شجرة فى الحقل الكبير فعلى أن يجد المتبعون أكثر مما وجدت فسيضيروا الى هذا البحث بحوثاً أخرى أكثر جدة وطراقة .



# فهرست الموضوعات

مقدمة (ص ٣)

تمهيد - (ص ٧ - ٢٠)

الحالة السياسية والادبية في العراق قبيل القرن التاسع عشر :  
الاستيلاء العثماني - بداية المماليك - الحالة العامة - الثقافة العامة -  
الشعر والثر في هذه المرحلة .

الباب الاول (ص ٢١) :

عوامل الشعر السياسي - ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الاول (ص ٢٢ - ٧٠) :-

القسم الاول - الحالة السياسية في الدولة العثمانية :  
السلاطين ونظام الحكم - أهم الحروب والحوادث - الحرب مع  
روسيا - مع اليونان وجيرانهم - مع محمد على الكبير - مع الوهابيين  
في المرحلة الأولى - الحملة المصرية - مع الوهابيين في المرحلة الثانية .

القسم الثاني - الحالة السياسية في العراق :

الولاية الكبرى والمماليك - بعد المماليك - الكذب على السكان .  
الموصل والبصرة - الاجانب في العراق - ايران والعراق - الحوادث  
الوهابية - الحوادث الداخلية - العراق والتيارات الحديثة .

الفصل الثاني (ص ٧١ - ٨٩) :

الحالة الاجتماعية :-

صعبية التصوير - نظرة موجزة - عناصر السكان - المظهر القبلي -  
مظاهر الغنى والفقر - مظاهر الافراح والاحزان - الديانات والمذاهب -  
أثر الدين في حياة السكان - التصوف وأثره - التباعد .

الفصل الثالث (ص ٩٠ - ١١٣) :-

الحالة العلمية والادبية : قبل البحث - نصيب الدولة من العلم والادب -  
الحركة العلمية في العراق والمدارس العثمانية - المدارس القديمة -  
مراجعة الطالب - اختلاف المناهج وتتنوع الدراسات - التأليف وأهم  
المؤلفات - نثر المؤلفين والادباء - نهضة الشعر - موضوعات الشعر  
وطريقة الاداء \*

الباب الثاني (ص ١١٥)

الشعر السياسي - ويشتمل على تمهيد وخمسة فصول :  
تمهيد : - الشعر السياسي - معناه وتطوره \* (ص ١١٦ - ١٢٠)

الفصل الاول (ص ١٢١ - ١٤٨) :-

الشعر والحوادث الوهابية : في المرحلة الاولى - الشعر في المرحلة  
الثانية \* شاعر مع الوهابيين في المرحلة الاولى وفي المرحلة الثانية \*

الفصل الثاني (ص ١٤٩ - ١٨٠) :-

الشعر بين الحسن - العربي والشكوى العامة :  
طرق التعبير - الفخر والحماسة - الشكوى من الحياة - شعراء  
علويون - الثورة الجرثيمية - صوت جديد \*

الفصل الثالث (ص ١٨١ - ٢٠٢) :-

الشعر في ظل العقيدة :-

بعض أسلوباته وبوعنته - استهان المهدى - مقدمات في قصائد الرثاء -  
قصائد مستقلة في الاستهانة - وصف بعض الحوادث \*

الفصل الرابع (ص ٢٠٣ - ٢٥٨) :-

الشعر في ركب الدولة : قبل البدء - الشعر في موكب السلاطين -  
السلطان محمود الثاني - السلطان عبد المجيد الاول - السلطان  
عبدالعزيز - السلطان عبد الحميد الثاني \* الشعر والصدر العظيم

والوزراء • الشعر وولاية العراق • ولاة بغداد - الوالي داود  
وشعراوه - الوالي على رضا وشعراوه - الوالي محمد نجيب  
وشعراوه • الوالي محمد نامق وتلاته شعراه - الوالي مدبحة وتلاته  
شعراه • الوالي مصطفى عاصم وتلاته شعراه - الوالي سرى الكريدى  
وطائفه من الشعراء - ولاة آخرون : الحاج حسن رفيق • عطاء الله  
الكواكبى •

ولاة الموصل : آل الجليلي وشعراوهم • ولاة البصرة وحكامها - حسام  
الدين الحلبي - محمد منب - ناصر السعدون •

الفصل الخامس (ص ٢٥٩ - ٢٩٥) :-

القيم الفنية وال موضوعية : نظرة عامة في شعر القرن التاسع عشر - الشعراء  
في مستوى الثقافى - صدق الشعور والإداء - القديم والجديد -  
القيم الموضوعية والفنية في الشعر السياسي : الشعر والحوادث  
الوهابية - الشعر بين الحسّ العربي والشكوى - ثورة الشعر في  
ظل العقيدة - الشعر في ركاب الدولة - تكرار الصور - الركبة •  
نظرة موجزة •

خاتمة (ص ٢٩٧ - ٣٠١) •



## فهرست المصادر والمراجع العربية والترجمة

(أ)

- آراء الرصافي - تأليف معروف الرصافي • مطبعة المعرف - بغداد ١٩٥١  
أخبار بغداد وما جاورها من البلاد للسيد محمود شكري الآلوسي •  
(مخطوط) نسخة يعقوب سركيس - بغداد •  
أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث • تأليف ستيفن همسلي لونكريك  
وتعريب جعفر خياط • طبعة بيروت •  
أربيج الهند والمود في ترجمة أبي الناء شهاب الدين محمود • تأليف  
عبدالفتاح الشوااف (مخطوط) الحق بنسخة خطية من غرائب  
الاغتراب • نسخة السيد هاشم الآلوسي - بغداد  
الاسرار الالهية • للسيد محمود شكري الآلوسي - طبعة مصر •  
الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على - مطبعة دار الكتب - القاهرة  
سنة ١٩٣٦ •  
أعلام العراق - لمحمد بهجة الانزى • المطبعة السلفية - مصر •  
الانقلاب العثماني • برجي زيدان •  
أهداف الشعر العراقي في القرن التاسع عشر - ليوسف عزالدين - رسالة  
الماجستير المقدمة الى جامعة الاسكندرية •  
أوروبا والاسلام - بقلم أغا خان وزكي على - منشورات دار المكتشوف -  
بيروت •  
أوليات سلاطين تركيا • لمحمد جميل بهم • مطبعة العرفان - صيدا •

(ب)

- البابلية - للشيخ محمد على اليعقوب - طبع التجف •  
البادية - لعبدالجبار الرواوى - الطبعة الثانية • بغداد •

بحار الانوار للمجلسي المجلد الثالث عشر - الملحق - ايران  
بغداد كما وصفها (السواح) الاجانب : ترجمة سعاد هادي العمري -  
بغداد •

البلدان - لابن الفقيه •  
بواحت الحرب العالمية الاولى في الشرق الاذني - تأليف : جان بيشون -  
تعريب محمد عزة دروزه • مطبعة الكشاف • بيروت •

(ت)

تأريخ الاتراك العثمانيين - حسين ليب • مطبعة الوعظ • القاهرة ، ١٩١٧ •  
تأريخ آداب اللغة العربية • بطربي زيدان • مطبعة الهلال • ١٩٣١ •  
تأريخ حرب الدولة العلية ودولة اليونان سنة ١٨٩٧ م لـ كامل صدقى  
وعبد الواحد حمدى - طبعة بولاق سنة ١٣١٥ هـ القاهرة •  
تأريخ الدولة العلية العثمانية - محمد فريد • طبعة ثانية سنة ١٨٩٧ م القاهرة •  
تأريخ الديوانية قديماً وحديثاً • للحجاج ودادي العطية • النجف •  
تأريخ السليمانية - محمد أمين زكي • تعريب الملا جميل الملا أحمد  
الروزباني • طبع شركة النشر والطباعة • سنة ١٩٥١ م بغداد •  
تأريخ الشعوب الاسلامية - لـ كارل بروكلمان - تعريب الدكتور نبيه أمين  
فارس ومنير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت •  
تأريخ الشعر السياسي - أحمد الشايب • القاهرة •  
تأريخ الكاظمين - للشيخ جعفر نجوى • بغداد ١٩٥٠ م •  
تأريخ مساجد بغداد وأثارها - للسيد محمود شكرى الآلوسى - مطبعة دار  
السلام - بغداد •  
تأريخ المالكين فى بغداد - سليمان فائق - تعريب محمد نجيب الارمنازى -  
مخطوطه مكتبة الآثار - بغداد •

تأريخ الموصل - سليمان صائغ • الجزء الاول - القاهرة •  
تأريخ نجد - للسيد محمود شكرى الآلوسى • القاهرة •  
تأريخ اليمن - للشيخ عبدالواسع - القاهرة •  
تجارة العراق قديماً وحديثاً • يوسف غنية - بغداد •

تذكرة الشقيق الجامعة لمعرفة الطريق - للشيخ عبدالقادر الكيلاني •  
مخطوطه دار الكتب بالقاهرة - ٢١٤٧٩ ب •

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر - بحرجي زيدان - الطبعة  
الثانية • دار الهلال - القاهرة •

ترجمة الزهاوى - بقلمه - مخطوطة الاستاذ كوركيس عواد - بغداد •  
التصوف الاسلامي في مصر • للدكتور توفيق الطويل - القاهرة •  
تضريح الخاطر - ترجمة الشيخ عبدالقادر • تأليف محمد صادق القادرى  
الشهابى عربها عن الفارسية عبدالقادر بن محى الدين الاربلى -  
القاهرة •

تنزه العباد في مدينة بغداد - للمعلم نابلسون المازيني - بيروت ١٨٨٧ م  
التوقيفات الالهامية لمحمد مختار - الطبعة الاولى - بولاق - القاهرة •

### (ج)

جزيرة العرب في القرن العشرين • حافظ وہبة - الطبعة الاولى • مطبعة  
لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة •  
الجمنان المنضد في مدح الوزير أحمد - لحمد الغلامي - الموصل •  
جنة المأوى - للشيخ حسين التورى • ملحق - المجلد الثالث عشر من  
البحار • طبعة ايران •

### (ج)

حاضر العالم الاسلامي - تأليف لوثروب ستودار • تعریف : عجاج  
نويهض - الطبعة الثانية - القاهرة •  
حدائق الزوراء - لعبدالرحمن السويفي - مخطوطه - بغداد •

### (خ)

خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - محمد أمين زكي • تعریف محمد على  
عونی • القاهرة •

خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام • للسيد أحمد بن زيني دحلان  
القاهرة •

دائرة المعارف الاسلامية ٠ (الترجمة العربية) ٠ القاهرة ٠  
 ديوان مزید السرور ومزیل الحزون ٠ عبدالرضا البغدادی - مخطوط فى  
 مکتبة يعقوب سركیس ٠ بغداد ٠

## دواوین الشعراء :

- ديوان السيد ابراهيم الطاطبائی - مطبعة العرفان - صيدا ٠  
 ديوان الشيخ ابراهيم اليازجي - (العقد) ٠ طبع البرازيل ٠  
 ديوان الازرى - الشخ كاظم ٠ يومي ٠  
 ديوان البزار الموصلى ٠ مصر ٠ المطبعة الشرقية ٠  
 ديوان ابن عين - دمشق ٠  
 ديوان الاخرين البغدادي (الطراز الانفس) استانبول ٠  
 ديوان عبدالباقي العمري (الترائق الفاروقى) القاهرة ٠  
 ديوان السيد حيدر الحلبي (الدر اليتيم) يومي ٠  
 ديوان الشيخ حسين العشاري (مخطوط) مکتبة الآثار - بغداد ٠  
 ديوان السيد جعفر الحلبي (سحر بابل) صيدا ٠  
 ديوان السيد صالح القزويني (مخطوط) مکتبة الآثار - بغداد ٠  
 ديوان السيد صالح القزويني (الدرر الفروية) مخطوط - الآثار - بغداد ٠  
 ديوان الشيخ صالح الكواز (مخطوط) مکتبة العقوبي - النجف ٠  
 ديوان الشيخ صالح التميمي - طبع النجف - ونسخة مخطوطة في بغداد ٠  
 ديوان الزهاوى (الكلم والمنظوم) - بيروت ٠  
 ديوان الشريف الرضي - بيروت ٠  
 ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي - صيدا ٠  
 ديوان المتibi - القاهرة ٠  
 ديوان الكعبي - الحاج هاشم - النجف ٠  
 ديوان السيد عبدالجليل الطاطبائی (روض الخل والخليل) طبع الهند  
 والقاهرة ٠  
 ديوان الشيخ ناصيف اليازجي (ثالث القمرین) - بيروت

ديوان ابى فراس الحمدانى - ط ٣ - بيروت \*

ديوان البارودى - القاهرة \*

ديوان اسماعيل صبرى - القاهرة \*

(ذ)

ذكرى السعدون - الشیخ علی الشرقی - بغداد \*

(ر)

الروض الازهر - السيد مصطفی الواعظ \*

رسائل اخوان الصفا - القاهرة \*

روضات الجنات - السيد محمد باقر الخساري - طهران \*

رحلة المنشى - ترجمة المحامى عباس العزاوى - بغداد \*

رحلة ربيع - ترجمة بهاء الدين نورى - بغداد \*

(ز)

الزهاوى الشاعر - اسماعيل أحمد أدهم - القاهرة \*

(س)

سلطين بنى عثمان الخمسة - الدكتور مارى ملن باتريك - ترجمة حنا

حسن ورفيقه - بيروت

(ش)

الشرق الاسلامي الحديث - حسين مؤنس - القاهرة \*

شعراء بغداد وكتابها أيام داود باشا - لعبدالقادر الخطيبى الشهريانى -

بغداد ١٩٣٦ \*

شعراء الحلة - الشیخ علی الخاقانی - المطبعة الحیدریة النجف - ١٩٥١

\* ١٩٥٣

شعراء الغربى - الشیخ علی الخاقانی - النجف - ١٩٥٤

شمامۃ العبر والزهر المغیر فی ادباء القرن الثاني عشر - محمد بن مصطفی

الغلامی - مخطوط - مکتبة الآثار - بغداد \*

شهداء الفضيلة - الشیخ عبدالمحسن الامینی - النجف - ١٩٣٦ \*

(ص)

الصابئون في حاضرهم وماضيهم - عبدالرزاق الحسيني - صيدا .  
الصواعق الالهية في الرد على الوهابية - سليمان بن عبد الوهاب .  
ط ٢ - مصر .

الصراع بين الموالى والعرب - الدكتور بدیع شریف - دار الكتاب  
العربي - القاهرة - ١٩٥٤ .

(ع)

على هامش العراق بين احتلالين - الحاج ودای العطية - العراق .  
العراق بين احتلالين - المحامي عباس العزاوى - بغداد .  
العرب - تاريخ موجز - فیلیب حتی - بيروت - دار العلم للملائين .  
عناثر العراق - عباس العزاوى - ج ٢-١ - بغداد .  
عبدة وذکری - سليمان البستانی - القاهرة - مطبعة الاخبار سنة ١٩٠٨ .  
عبدالحمید من ولاية العهد الى المنفى - جلال نوری - ترجمة ابراهیم سلیم  
التجار - مصر .

عجبات الآثار في الترائم والاخبار - الشیخ عبدالرحمٰن البحري - القاهرة .  
العراق - دراسة في تطوره السياسي - فیلیب وبلارد آيرلاند - ترجمة  
جعفر خیاط دار الكشاف - بيروت - ١٩٤٩ .  
العقد المفصل - السيد حیدر الحلی - بغداد - مطبعة الشابندر .  
عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجف - ابراهیم فصیح بن  
صیغة الله الحیدری - مخطوط - مكتبة الآثار - بغداد .  
عنوان المجد - عثمان بن بشر التجدی - مکة .

(غ)

غرائب الاغتراب - أبو الثناء الألوسي - مطبعة الشابندر - بغداد  
غاية المرام - یاسین بن خیرالله العمری - مكتبة الآثار - بغداد .

(ف)

في الادب الحديث - عمر الدسوقي - القاهرة .

في الأدب المقارن - عبدالرزاق حميدة - القاهرة •

(ق)

قلب جزيرة العرب - فؤاد حمزة - القاهرة •

قلب العراق - أمين الريحاني - بيروت •

(ك)

كتاب التوحيد - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - القاهرة •

(ل)

لسان العرب - ابن منظور -

(م)

ماضي التجف وحاضرها - الشيخ جعفر محبوبة - صيدا •

باحث عراقية - يعقوب سركيس - بغداد •

مجموعة آثار رفيق العظم - مطبعة النار - القاهرة •

المجد التالد في مناقب الشيخ خالد - ابراهيم فصيح الحيدري - القاهرة •

مجموعة تراث العلماء - محمود شكري الآلوسي - (مخطوط) مكتبة الآثار  
- بغداد •

مجموعة الشيخ محمد رضا الشبيبي - بخط يده •

مجموعة عبدالغفار الآخرس - طبع شركة التجارة والطباعة - بغداد •

مجموعة للاخرين - لم تنشر - مخطوطة يعقوب سركيس - ونسخة عليها  
بخط يدي •

محضر تاريخ بغداد - على طريف الاعظمي - مطبعة الفرات - بغداد •

محضر تاريخ الحلة - الشيخ يوسف كركوش - مطبعة العرفان - صيدا •

محضر مطالع السعود - عثمان بن سند - بخط محضره أمين الخلوي  
سنة ١٢٩٣ هـ نسخة دار الكتب بالقاهرة •

محضر مطالع السعود - أيضا - يومي - المطبعة الحسينية سنة ١٣٠٤ هـ •

مذكرات مدحت باشا - تعریف يوسف كمال حياته - القاهرة

المسألة الشرقية - مصطفى كمال - مطبعة الآداب - القاهرة سنة ١٨٩٨ م

المسك الاذفر - السيد محمود شكري الآلوسي - بغداد  
 مشاهير الكرد وكرستان - محمد أمين زكي - ترجمة ساحة محمد  
 أمين زكي - القاهرة ٠  
 مطالع السعود في طيب أخبار الوالى داود - عثمان بن سند البصري -  
 مخطوط - مكتبة الآثار - مع مراجعة مخطوط مكتبة الاوقاف - بغداد  
 مقامات الآلوسي - أبو الثناء - طبع كربلاء - العراق - سنة ١٢٧٣ هـ  
 مقدمة ابن خلدون - المكتبة التجارية - القاهرة ٠  
 المالك في العراق - أحمد على الصوفي - مطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل ٠  
 من أمير الى سلطان - مصطفى فاضل - تعریب أحمد فتحي زغلول - مصر

(ن)

نشر الآلىء على نظم الامالى - السيد عبدالحميد الآلوسي - بغداد ٠  
 نزهة الدنيا - عبدالباقي العمرى - مخطوطة مكتبة الآثار - بغداد ٠  
 نشوء الفكره القومية - ساطع المصري - القاهرة - ط ٢  
 نشوء الشمول في السفر الى اسلامبول - لابى الثناء الآلوسي - مطبعة  
 الولاية - بغداد - سنة ١٢٩١ هـ ٠  
 نشوء المدام في العودة الى مدينة السلام - أبو الثناء الآلوسي - مطبعة الولاية  
 - بغداد - سنة ١٢٩١ هـ ٠  
 النهضة العربية في العصر الحاضر - محاضرة لشکیب ارسلان -  
 نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر - الدكتور محمد مهدي البصیر  
 - مطبعة المعارف - بغداد ٠  
 نيل الامانى في الدستور العثماني - عبدالمسيح الانطاكي - مطبعة العرب -  
 القاهرة ٠

(ي)

اليزدية - صديق الدملوجي - مطبعة الاتحاد - الموصل ٠

المراجع الاجنبية غير المترجمة :

- تاریخ جودت - المؤلف الترکي - استانبول - ط ٢  
حروب الايرانيين - سليمان فائق ( ترکي ) مخطوطه مکتبة الآثار - بغداد .  
دوحة الوزراء - رسول حاوي - ( ترکي ) مخطوطه مکتبة الآثار - بغداد .  
الرسالة التسع عشرية - احمد سهراب ( فارسي ) مطبعة السعادة - مصر .  
رسالة في تاريخ الكوله من ( المماليك ) - سليمان فائق ( ترکي ) مخطوطه  
مکتبة الآثار - بغداد .  
مرآة الزوراء ( ترکي ) - سليمان فائق - مخطوطه مکتبة الآثار - بغداد .  
Baghdad Thecity of Peace  
By Richard Coke. 2 no  
London 1935.  
Travels In Mesopotamia  
By —J—S—Bucingham.  
London 1827.  
Travels In Koordistan - Mesopot. Amia - Etc...  
By Baillie Fraser.  
London 1840.  
Travels of Robertker Porter.  
London 1830 - 31.  
Modern Trends In Islam-  
By: A.R. Gibb. 1950.

## الدوريات والجرائد

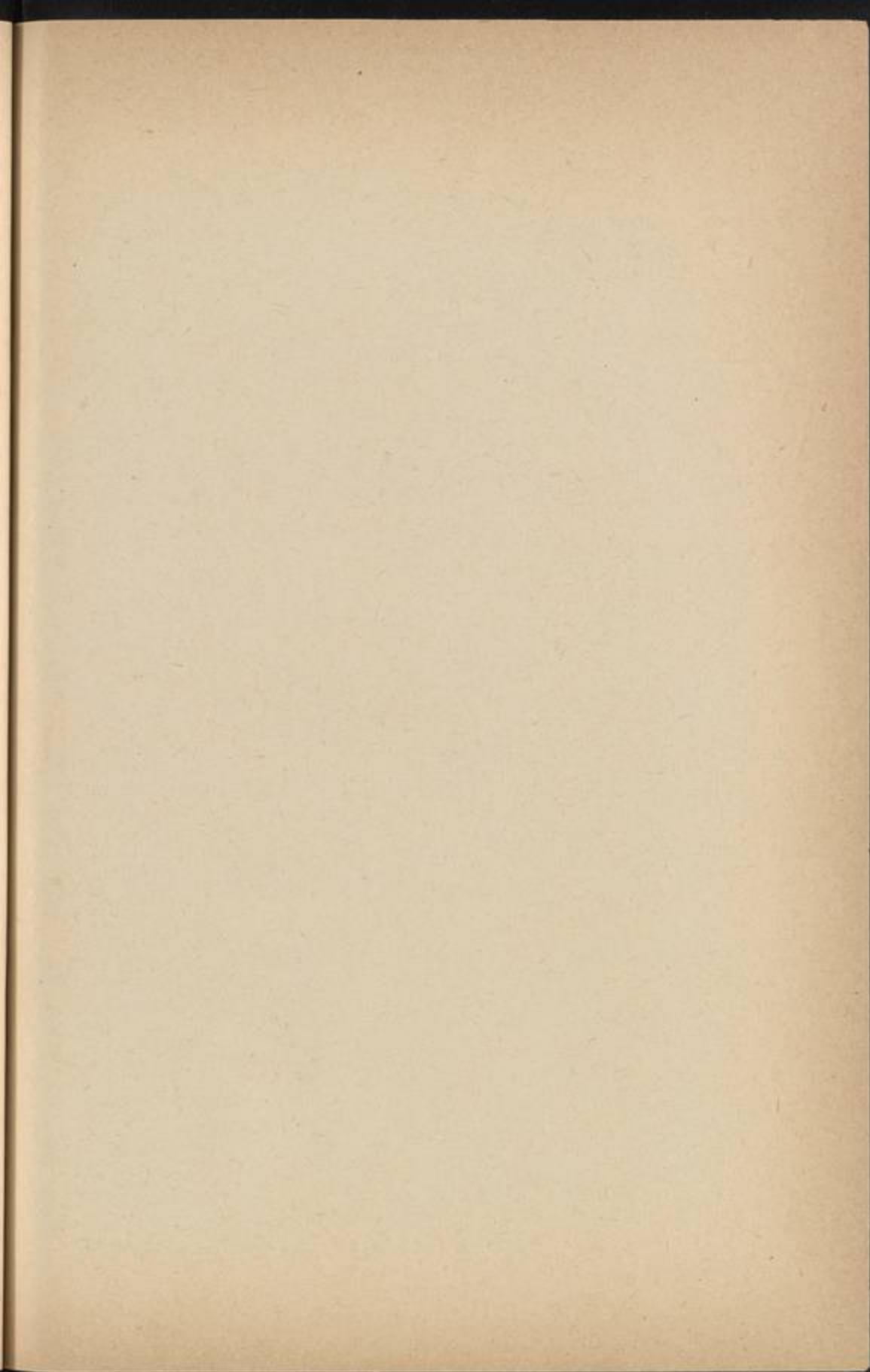
- الاساس - جريدة - القاهرة •  
البصرة - جريدة - صدرت في البصرة - العراق سنة ١٨٩٥ م •  
بصيرت - جريدة - تركية - الاستانة •  
تقديم وقائع - جريدة - تركية - الاستانة •  
حولية الثقافة العربية - لساطع الحصري - أصدرتها جامعة الدول العربية •  
القاهرة السنة الأولى ١٩٤٩ م •  
دار السلام - جريدة - بغداد سنة ١٩١٨ م •  
الرسالة - مجلة - القاهرة - سنة ١٩٤٧ م •  
الزمان - جريدة - بغداد ٢٩-٤٠١٩٥٠ م •  
الزوراء - جريدة - بغداد •  
سومر - مجلة - بغداد •  
سالنامه - تقويم سنوي - بغداد سنة ١٣٢٩ هـ •  
سالنامه - تقويم سنوي - البصرة سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١ م •  
سالنامه - تقويم سنوي - الموصل سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١١ - ١٩١٢ م •  
الشعب - جريدة - بغداد العدد الصادر بتاريخ ٢٩-٢٩ ١٩٥٥ م •  
الطليعة - مجلة - دمشق - ج ٧ س ٥ سنة ١٩٣٩ م •  
العرب - جريدة - بغداد سنة ١٩١٧ - ١٩١٩ م •  
لغة العرب - مجلة - بغداد مجموع السنوات •  
مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد ج ١ م ٣ سنة ١٩٥٤ م •  
مجلة مجمع اللغة العربية - القاهرة ج ٧ سنة ١٩٥٣ م •  
اليقظة - جريدة - بغداد ٢-١٩ ١٩٥٠ م •

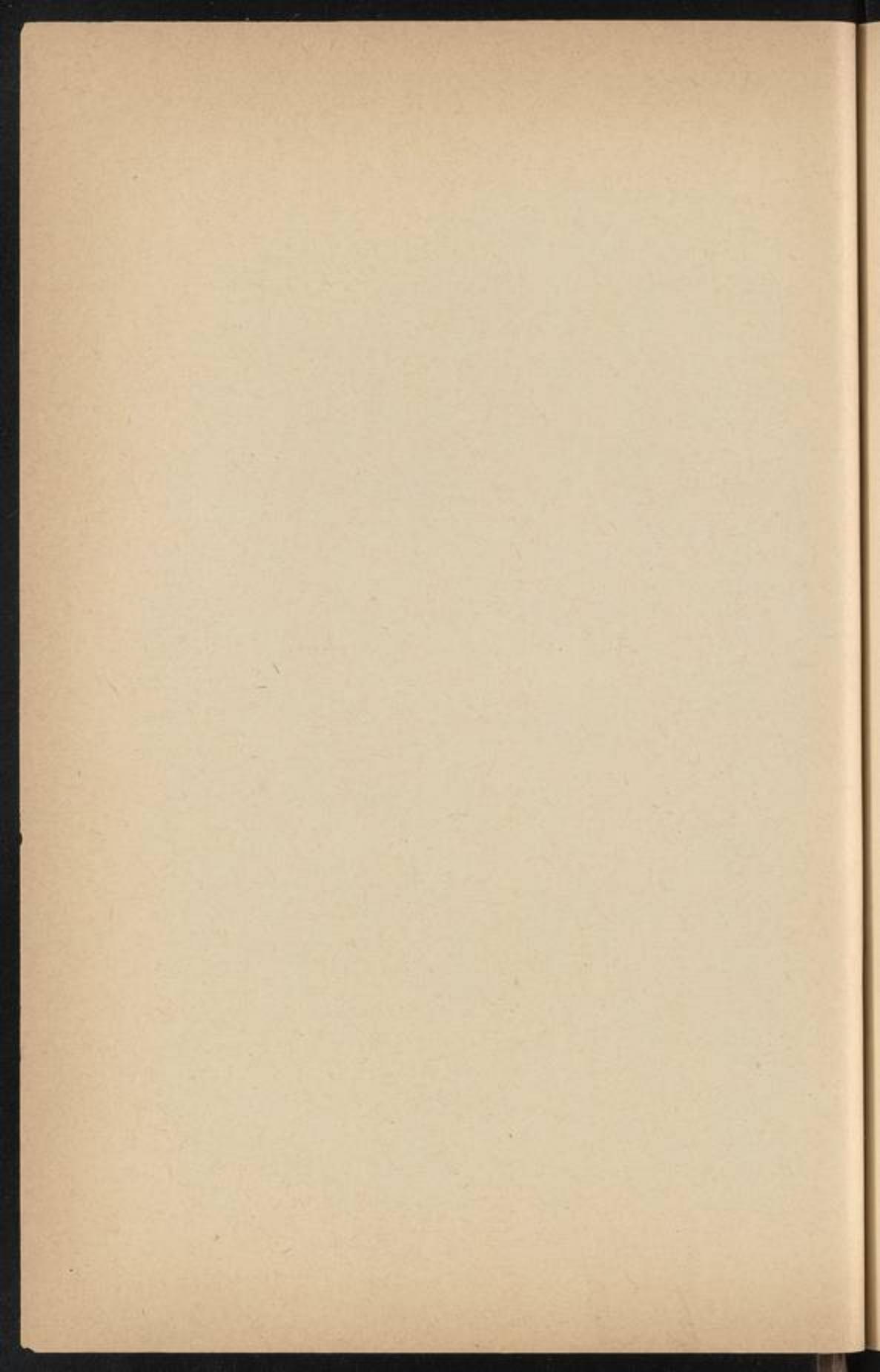


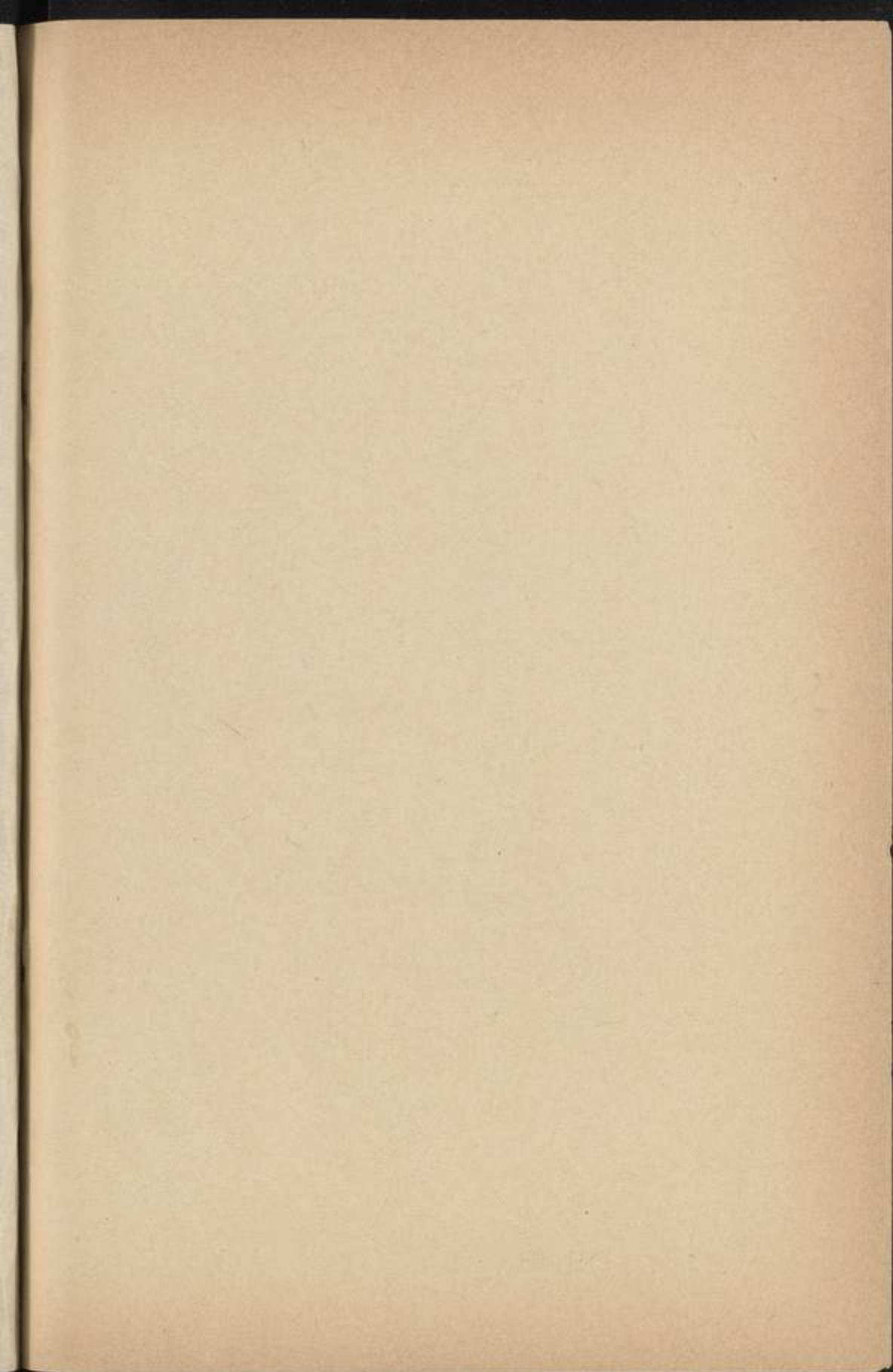
مكتبة لسان العرب

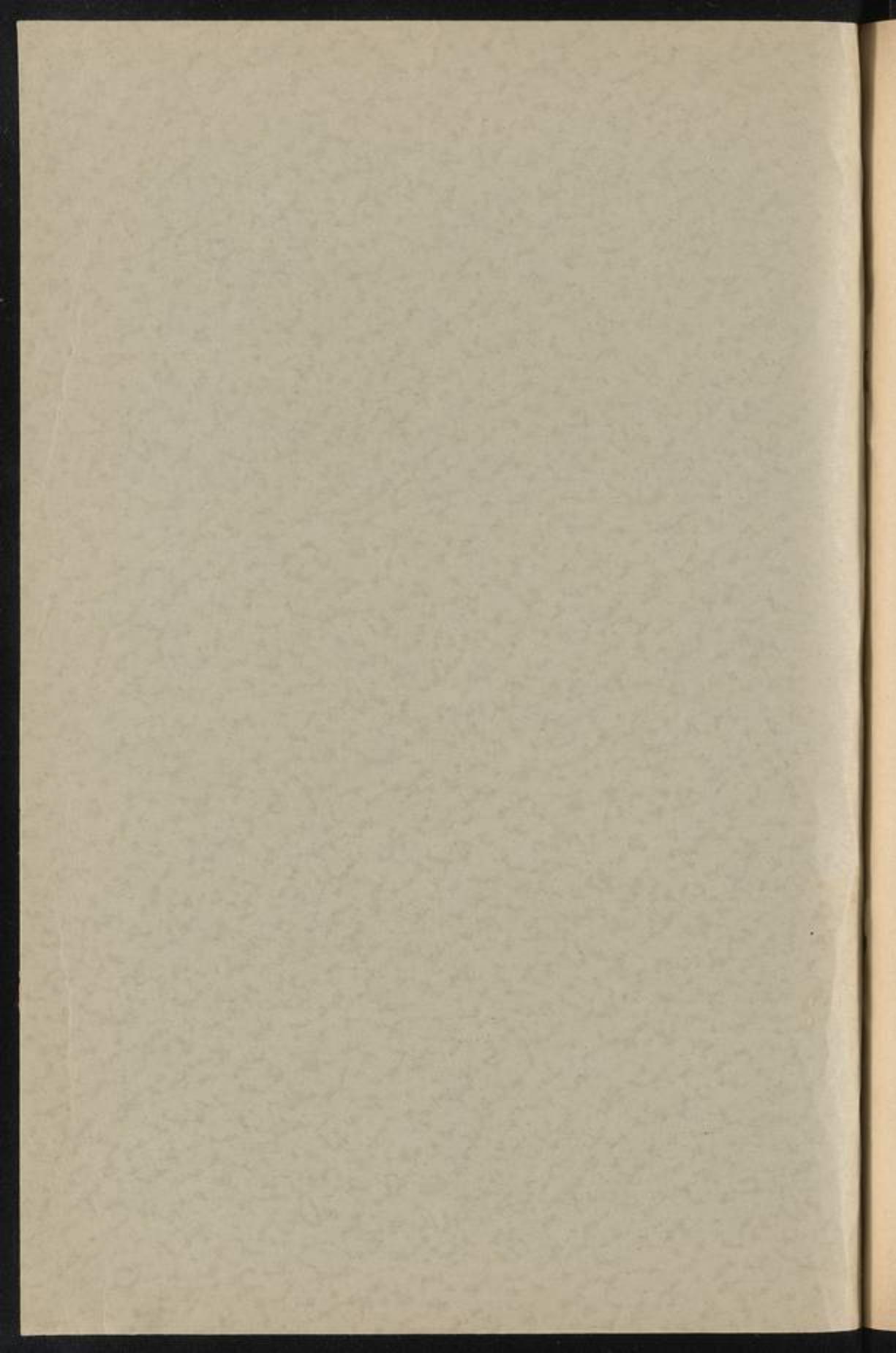
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

[lisanearb.com](http://lisanearb.com) رابط بديل









# **IRAQI POLITICAL POETRY**

**IN**

## **The Nineteenth Century**

**BY**

**IBRAHIM AL-WA'ILI**

**INSTRUCTOR AT THE FACULTY OF ARTS,  
UNIVERSITY OF BAGHDAD**

**Baghdad  
1981**

Rrinted at AL-ANI Printing Press